

بلاط سيف الدولة وأثره في الحياة الادبية

رسالة قدمها الى الدائرة العربية

في الجامعة الاميركية في بيروت

غازي محمد عنبتاوي

للحصول على درجة

"استاذ في الآداب"

الجامعة الاميركية في بيروت

بيروت - لبنان

حزيران سنة ١٩٦٠

مقدمة

لا شك في ان الفترة التي يقضيها الباحث في البحث عن موضوع يدرسه ، من الفترات الدقيقة التي تتنازعه خلا لها احاسيس مختلفة ، فهو تارة يفكر في موضوع ما ليكتب فيه ، وفجأة ينتقل الى التفكير في موضوع آخر ، وهكذا الى ان يوفق في اختيار الموضوع . والباحث في تفكيره هذا وتردده يأخذ بالاعتبار نقطتين هما : هل بحث اكهد الموضوع قبله أم لا ؟ وهل تتوفر لديه مصادر البحث ان هو اراد المباشرة في موضوعه أم لا ؟ وهذا هو ما حدث عندما بدأت البحث عن موضوع ادرسه ، يكون المتم لعملي الدراسي في هذه الجامعة . ففكرت بالكتابة عن المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي اولا ، وفكرت بالكتابة عن تطور نظرية اعجاز القرآن ثانيا ، وفكرت في امكانية تحقيق مخطوط ونشره ثالثا . ثم اقترح علي استاذى الدكتور محمد يوسف نجم الكتابة عن " بلاط سيف الدولة وأثره في الحياة الادبية " فقبلت الاقتراح ، وبمرور الايام اصبح الاقتراح حقيقة ممثلة في هذه الرسالة التي توءف دراستي لهذا الموضوع .

وللاجابة عن النقطتين اللتين ذكرت اقول ان هنالك ثلاثة مصادر او ثلاثة كتب تناولت أجزاء من هذا الموضوع . اول هذه الكتب هو " سيف الدولة وعصر الحمدانيين " للاستاذ سامي الكيالي ، وكان مقتصرا بادي الامر على الناحية التاريخية ثم زيدت عليه اضافات قصيرة في الطبعة الثانية . والدراسة الثانية كانت للدكتور مصطفى الشكعة بعنوان " فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين " وعنيت ببحث فنون الشعر في حلب والموصل ، ويمكن القول بانها اشتملت على دراسة جزئية لموضوعي ، وظهرت هذه الدراسة بعد ان كنت قطعت شوطا بعيدا في بحثي . أما

المصدر الثالث فكان " الشعر في ظل سيف الدولة " للدكتور درويش الجندی ، وظهرت هذه الدراسة بعد ان شارفت على نهاية الطريق في بحثي هذا ، وكانت تتناول أجزاء من الموضوع الواسع المتشعب الذي ابحث فيه . كذلك توفرت لي مصادر هذا البحث ، ولكن معظمها يتناول قلة من الشخصيات ذات العلاقة ببلاط سيف الدولة الحمداني . فكثيرة هي المصادر التي بحثت في المتنبي ، وكثيرة هي المصادر التي بحثت في ابي فراس ، وقليلة هي المصادر التي بحثت في بقية رجال البلاط من شعراء وادباء ونحاة .

واعترضتني الصعاب في هذا البحث ، فالموضوع واسع متشعب كدت اضل السبيل في بحثه ودراسته ، والمصادر تعلمنا بأن هنالك علاقات بين سيف الدولة والادباء ، وتعارف الناص على وجود هذه العلاقات ، ولما اردت استبانة هذه العلاقات وجدت لها قليلة جدا حتى انه لا يمكن تحديد نوع العلاقات بين سيف الدولة والادباء ، وثمة امر اخر من هذه الصعوبات ذلك هو قلة المصادر المخطوطة بين يدي ، فاضطرت ان اعتمد على امانة الباحثين الذين تسنت لهم فرصة الاطلاع على هذه المخطوطات .

وحاولت جهدي ، في هذا الموضوع الواسع المتشعب الاحاطة باطرافه ، وبناءه بناء منهجيا صحيحا ، متوصلا بين الحين والحين الى بعض النتائج المرجوة ، وقد اخذت نفسي بهذا كله دون ان اسمح لاحدي المسائل ان تجور على ما عداها من حولها ، لان التعمق المبعد في مثل هذا الموضوع الكبير يكاد لا يقف بالباحث عند حد .

من اجل ذلك خصصت لهذا المنهج الكبير مقدمة تاريخية درست فيها نشأة الدولة الحمدانية في ديار/بيعة من الجزيرة العراقية ، ثم صورت الجانب الغربي من الدولة الحمدانية

وهو الذي كانت عاصمته حلب. ثم درست شخصية سيف الدولة ، المحور الكبير لاكثر ما نشأ في تلك البيئة من شعر ونثر وبذلك انتهى القسم الاول .

اما القسم الثاني فقد صدرته بمقدمة ابنت فيها نواحي النشاط الادبي والاسباب

الباعثة عليه ، ولتبيان هذه النواحي تفصيلا بنيت الفصول التالية فدرست :

أ - أثر البلاط في الشعر والشعراء :

١ - شعر المديح والرثاء .

٢ - شعر الحرب ضد القبائل العربية ، وضد الروم .

٣ - شعر الوصف .

٤ - الشعر الشيعي .

ب - اثر البلاط في النثر :

١ - الكتابة والكتاب .

٢ - الخطابة .

٣ - اللغة واللغويون .

٤ - النقد الادبي .

واعتقد ان اعطاء صورة متكاملة عن نواحي هذا النشاط جهد يستحق البذل ، وان وضع الحدود المميزة لعصر من العصور او بيئة من البيئات الادبية امر يستحق العناية ، وقد بذلت من الجهد ما في الوسع والطاقة ، واحطت عملي من العناية بالقدر الكثير ، واني لارجو

ان ينال هذا الجهد ما يستحق من التقدير •

ولا يسعني في هذه المقدمة الا ان اسجل عظيم شكرى واقدم اوفر احترامي لاساتذتي

— اسرة الدائرة العربية في هذه الجامعة — كفاء جهودهم وافضالهم علي برعايتي خلال فترة

دراستي عليهم •

واسأل الله سبحانه وتعالى ان يمدني بالعون والتوفيق في معترك الحياة •

القسم الاول

مدخل البحث

الحمدانيون وسيف الدولة

جدول بامراء بني حمدان (١)

حمدان

ابو الهيجاء عبدالله (الموصل ٢٩٢-٣١٧)	داوود (ديار ربيعة ٣٠٩)	الحسين (ديار ربيعة ٣٠٧-٣٠٨)	ابراهيم	ابو العلاء سعيد { نهاوند ٣١٢ هـ } { الموصل ٣١٧ هـ } ٣١٩ هـ
-----------------------------------------	---------------------------	--------------------------------	---------	---------------------------------------------------------------------

في حلب

فراس ت ٣٥٧ هـ الحسين ت ٣٣٨ هـ في الموصل

(م) سيف الدولة علي

(م) ناصر الدولة الحسن

(ب) ابوتغلب ت ٣٦٩ هـ	(ج) ابو عبد الله الحسين ١	ج ابو طاهر ابراهيم د ابو البركات (ب) سعد الدولة ٢ ت ٣٨٠ هـ ٣ ت ٣٥٨ هـ
-------------------------	------------------------------	-----------------------------------------------------------------------------

(ج) سعيد الدولة

د علي ١	د شريف ٢
------------	-------------

حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج ٣ ص ١١٤

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٤٢

جدول بأمره بني حمدان (١)

حمدان

ابو الصرايا نصر (٢)	ابو الملا محمد	ابراهيم	الحسين	داوود	ابو الهيجا عبدالله
{ نهاوند ٢١٢ هـ }	{ الموصل ٢١٧ هـ }		(ديار ربيعة ٢٠٧-٢٠٨)	(ديار ربيعة ٢٠٩)	(الموصل ٢٩٢-٣١٧)

ابو فراس ت ٢٥٧ هـ الحسين ت ٢٢٨ هـ في الموصل في حلب

م ناصر الدولة الحسن م سيك الدولة طي

(ب) ابوتغلب ت ٢٦٩ هـ (ج) ابو طبلد الله الحسين ١ ابو ظاهر ابراهيم د ابو البركات (ب) سعد الدولة ت ٢٨٠ هـ ت ٢٥٨ هـ

(ج) سعيد الدولة

د طي ١ د شريك ٢

(١) حسن و ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ج ٢ ص ١١٤

(٢) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٤٢ .

نظرة في تاريخ الحمدانيين

الدور الاول

١- دور النشأة - في الجزيرة العراقية

يكاد نشوء الدولة الحمدانية في القرن الرابع الهجري ان يكون امرا طبيعيا - كثيرها من الدويلات الاخرى التي انفصلت عن جسم الدولة العباسية لانه كان قد توفر من الاسباب ما يجعل تكامل الدولة العباسية وترابط اجزائها امرا يشبه المستحيل . وفي مقدمة تلك الاسباب تلك الثورات الداخلية التي اضعفت الخلافة واستنزفت مواردها كحركات الخوارج (١) وثورات العلويين (٢) وثورة الزنج سنة ٢٥٧ (٣) وثورة القرامطة (٤) التي كانت اشد من كل الثورات في صرف اهتمام الدولة عن التنظيم الداخلي ، وكان الجيش خليطا من عناصر متنافرة يكثر بينها الشغب وتشتد الفتن احيانا حتى يفضي ذلك الى اهمال شأن الحدود . فكان لا بد من قيام دويلات فتية تأخذ على عاتقها ما عجزت الخلافة عن تاديته ، وكان لا بد للخليفة وهو الرجل المستضعف الواهن ان يبارك مثل هذه الدويلات ما دامت تذكر اسمه في الخطبة وعلى السكة وتعتزف بسلطة الخليفة اعترافا شكليا وتؤدي شيئا من المعونة المادية للدولة بحيث خزانتهلا ، ولم تنجح في اصلاح ماليتها جهود وزير مخلص صالح مثل علي بن عيسى (٥) .

(١) ابن الاثير ج ٦١٧ ، ٦١٦ ، ٦١٤ ، ٧١٤ ، ١٥٠٠ - ١٥٧ .

(٢) الطبري اخبار سنة ٢٥٧ ، ٢٥٥ .

(٣) الدوري ، عبد العزيز دراسات في العصور العباسية المتأخرة بغداد سنة ١٩٤٥ ص ٢٥ - ١٠٥ .

(٤) الدوري عبد العزيز دراسات في العصور العباسية المتأخرة بغداد سنة ١٩٤٥ ص ١٢٦ - ١٨٧ .

(٥) الدوري ، عبد العزيز دراسات في العصور العباسية المتأخرة بغداد سنة ١٩٤٥

وسنحت خير فرصة للطامحين في اطراف هذه الدولة بل وعلى مقربة من دار الخلافة في ايام المقتدر لان هذا الخليفة كان واقعا تحت تأثير النساء والخدم منصرفا الى حياة اللهو (١) ، وكانت كلمة واحدة من ام موسى القهرمان تكفي لتعزل وزيراً طيباً يخدم الدولة بكل ما اوتي من ذكاء وحصافة وقد خلف المقتدر خلفاء لم يكونوا احسن حالا منه بكثير لانهم كانوا ايضا لعبة في يد عسكر الاتراك حيناً وعسكر الديلم حيناً آخر وهوؤلاء هم (٢) :

القاهر بالله	٣٢٠
الراضي بالله	٣٢٢
المتقى	٣٢٦
المستكفي	٣٣٣
المطيع	٣٣٤ - ٣٦٣ هـ

في ذلك العصر المضطرب ظهر حمدان الذى تنسب اليه الدولة الحمدانية ، وهو عربي تغلبي الاصل ، فشارك في الحوادث السياسية التي وقعت في الموصل منذ سنة ٢٦٠ ، ودفعته اهدافه الطامحة الى ان يتضافر مع هارون الشارى الخارجى ٢٧٢ وان يستولي على قلعة ماردين بعيد ذلك ، وتنبه الخليفة الى ان خطراً يهدده في الجزيرة العراقية فارسل الى حمدان جيشاً استولى على ماردين وظفر به وسجنه في بغداد ، وكان لحمدان ابن اسمه الحسين وقف ضد هارون الشارى وهزمه فانعم عليه الخليفة بالخلع والاقطاعات واطلق من اجله حمدانا أباه (٣)

ولم يطل ولاء حسين هذا للدولة بسل سرعان ما اتفق مع بعض القواد والكتاب والقضاة على خلع الخليفة وهو يومئذ المقتدر ، وفي ١٠ ربيع الاول سنة ٢٩٦ اوقع الحسين بالوزير ابي احمد العباس حين كان منصرفاً من دار الخلافة وذهب

(١) ابن الطقطقى : الفخرى في الاداب السلطانية القاهرة سنة ١٩٢٣ ص ٢٣٥
 (٢) حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج ٢ ص ٢٠
 (٣) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٧ ص ١٦٦ - ١٦٧ ، ١٦٩ - ١٧٠

حسب اتفاق المتآمرين ليقضي على الخليفة ولكن الخليفة كان قد انذر بالشر فانحاز الى دار الخلافة وفسدت خطة المتآمرين ، وفي الغد عاد الحسين الى دار الخلافة مجددا المحاولة فقاتله من فيها من الخدم والخلعان ودفعوه عنها ، فانصرف محملا ما قدر عليه من الامتعة وسار الى الموصل (١)

وهنا يظهر الانقسام في الولاء بين بني حمدان انفسهم ، ذلك ان الخليفة حرض ابا الهيثم - اخا الحسين - على طلب اخيه ، فسار ابو الهيثم في اثره مدة عشرة ايام . حتى التقى الاخوان في معركة صغيرة استطاع ابو الهيثم فيها ان يأسر بعض اصحاب اخيه ، وان يأخذ منه عشرة آلاف دينار ، وبعدها عاد ابو الهيثم الى الموصل ثم الى بغداد (٢) . واضعفت هذه المعركة امر الحسين ، فارسل يشفع الوزير ابن الفرات لدى المقتدر فشفع له ومنحه الرضى ، فعاد الى بغداد واعيد اليه ما اخذ منه ، واخرج الخليفة واليا على قم (٣) ، ولعله فعل ذلك ليرضيه ويرتاح منه معا ، واشترك الحسين في المشرق مع جيوش الدولة التي تحارب الليث .

اما ابو الهيثم فقد كافاه المقتدر بتوليته على الموصل غير انه عاد فعزله عنها سنة ٣٠١ ، فلم ياب له لامره ، فارسل اليه الخليفة جيشا بقيادة مؤنس . فلما عرف ابو الهيثم ما ينتظره على يد هذا القائد خرج اليه مستأفيا بنفسه وذهب معه الى بغداد (٤) .

(١) ابن الاثير . الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٥-٦ .

(٢) ابن الاثير . الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٥-٦ .

(٣) " " " " " " ج ٨ ص ٢٠ .

(٤) " " " " " " ج ٨ ص ٢٧ .

ويبدو ان الحسين لم يقم طويلا في قم ، اذ نراه بعد انصراف ابي الهيجاء عن الموصل واليا على الجزيرة ، غير ان الوزير على بن عيسى الحف في مطالبته بما قبله من اموال للدولة ، فانتهز ذلك فرصة للثورة ممن جديد ، فبعث اليه الوزير جيشا بقيادة رافئ ، فدارت الدائرة على الحسين وانهزم الى ارمينية ، فتبعته فرقة بقيادة مؤنس حتى ادركته وقلت عليه القبض هو وابنه وجميع اهله ، ثم قبض المقتدر على ابي الهيجاء وعلى جميع اخوته وجسمهم ، وقتل الحسين عام ٣٠٦ (١) .

وبعد ذلك اعطيت ديار ربيعة لابراهيم بن حمدان ، فلم تطل مدته في حكمها اذ توفي عام ٣٠٨ ، فخلفه عليها داود في السنة التالية (٢) .
 اما ابو الهيجاء فقد اطلق ايضا ونصب واليا على طريق خراسان من ارض الموصل ، على ان يظل في بغداد ويرسل من ينوب عنه . وكانت له اعمال حربية ضد المفسدين من الاكراد والاعراب على تلك الطريق . ولكن لم يكد ابو الهيجاء يبصر املا في مؤامرة جديدة لنزع المقتدر حتى شارك فيها ونجحت الخطة هذه المرة فعزل المقتدر سنة ٣٢٧ وولى الثائرون القاهر (٣) ، فكافأ الخليفة الجديد ابن حمدان بان اقطعه ما بيده من اعمال طريق خراسان * حلوان والدينور وهمزان وكنكور وكرمان وشاهان والراذات ، ودقوقا وخانيجار ونهاوند ، والهيصة والسيروان وماسبذان وغيرها (٤) .
 الا ان خلافة القاهر كانت قصيرة الاجل لم تدم اكثر من يومين ، وعاد بعدها المقتدر الى الخلافة ، فكتب بيده كتاب امان لابي الهيجاء ، ولكن القدر عاجل ابا الهيجاء قبل ان يخرج ذلك الكتاب ، وجي برأسه الى المقتدر فجزع لفقده على رغم تقلبه في طاعته (٥) .

-
- (١) ابن الاثير * الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٢٢ - ٢٧ .
 (٢) " " " " " " ج ٨ ص ٤١ - ٤٤ .
 (٣) " " " " " " ج ٨ ص ٦٨ - ٦٩ .
 (٤) " " " " " " ج ٨ ص ٦٩ - ٧٠ .
 (٥) " " " " " " ج ٨ ص ٧٠ .

وخلف ابو الهيجاء ولدين احدهما هو الحسن الذي لقب بناصر الدولة والثاني هو علي الذي لقب بسيف الدولة . وافر المقتدر ناصر الدولة على ما كان لابييه من قبل ، واستمر له ولاؤه الحكم في ديار ربيعة والموصل حتى سنة ٣٨٠ . وهذا هو الفرع الشرقي من الحمدانيين ، وتاريخهم مليء بالخلافات حينا بين افراد العائلة الحمدانية نفسها وحينا بين القبائل التي كانت تدين لهم بالطاعة وكانت صلتهم بالخليفة كما كانت من قبل مترددة بين الطاعة والعصيان ، ولها هجم البريدي على بغداد سنة ٣٣٠ ارسل الحسن اخاه عليا لنجدة الخليفة (المتقي) وسبب هذه المساعدة الهامة خلع الخليفة على الاخوين واعطاهما اللقبين اللذين تقدم ذكرهما (١) ، وظهر واضحا ان منطقة ديار ربيعة لا تكفي اخوين طامحين . فوجد سيف الدولة علي لنفسه مخرجا بالاستيلاء على جزء من ديار الشام وبهذا يبدأ عهد ثان من تاريخ الدولة الحمدانية .

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٨ ص ١٣٥ .

الدور الثاني

٢ - دولة الحمدانيين في ديار الشام .

يعود ارتباط الحمدانيين بحلب الى سنة ٣٣٠ هـ، ففي هذه السنة قلد ناصر الدولة علي بن خلف الشام وديار مصر، ولكن هذا انقلب على ناصر الدولة فصار وزيراً للإخشيد محمد بن طغج، الذي سرعان ما قبض عليه وزجه في غياهب السجن، حيث بقي حتى وفاة الإخشيد، فاطلق وبقي يأنس المؤمني واليا على حلب في سنة ٣٣١ . وفي السنة التالية اتفق ناصر الدولة وتوزون على ان تكون الاعمال من مدينة الموصل الى آخر أعمال الشام لناصر الدولة هو أعمال السن الى البصرة لتوزون وان لا يتعرض احدهما لأعمال الأخر . وولى ناصر الدولة ابا بكر محمد بن علي بن مقاتل حلب وديار مصر وديار مصر والعواصم، ثم ولى بعده ابا علي الله الحسين بن سعيد بن حمدان أعمال ابن مقاتل وما يفقه من الشام . ودخل ناصر الدولة الرقة بالسيف، وتوجه بعدها الى حلب فملك البلاد، وبقي في حلب حتى ذى الحجة من السنة نفسها، اذ غادرها لقدم ابن طغج وسبب ضعفه . ولما وصل الرقة وجد فيها الخليفة المتقي لله هاربا من توزون التركي، ومعه سيف الدولة . ولم تفتح له ابواب الرقة الا بعد ان تم الصلح بين سيف الدولة، و ابا عبد الله الحسين ابن حمدان وكان جرى بينهما كلام في الموصل (١) .

ولما استقر الامر للإخشيد في حلب تبادل الرسل مع المتقي ثم التقى الاثنان في الرقة في محرم سنة ٣٣٣ هـ، حيث قدم الإخشيد للمتقي الهدايا والمال، وكتب المتقي عهدا للإخشيد بالشامات ومصر، على ان الولاية له ولابنه ابي القاسم ائوجور من بعد الى ثلاثين سنة (٢) . وعاد الإخشيد

(١) ابن العديم، كمال الدين - زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق الدكتور ساي الدهان

دمشق سنة ١٩٥١ ج ١ ص ١٠٢ - ١٠٦ .

(٢) ابن العديم، ج ١ ص ١٠٦ - ١٠٧ .

من الرقة الى حلب فعصره ، وولى ابا الفتح عثمان بن سعد الكلابي حلب حما ولى أخاه انطاكية .
وحسد ابا الفتح اخوته فراسلوا سيف الدولة ليسلموا اليه حلب وكان سيف الدولة قد طلب من أخيه
ناصر الدولة ولاية نفال له : " الشام امامك وما فيه احد يمنعك منه " . (١)

وعرف سيف الدولة اختلاف الكلابيين وهجزهم عن مفاومته فسار الى حلب ، وما ان
وصل الفرات حتى خرج اخوة ابي الفتح للقاته ، وخرج معهم ابو الفتح ايضا . ولما قطع سيف
الدولة الفرات اكرم ابا الفتح دون اخوته ، وأركبه معه في المعارية ، وأخذ يسأله عن اسم كل قرية
يمران بها وكان ابو الفتح يجيبه حتى مروا بقرية يقال لها ابرم . فسأل سيف الدولة ابا الفتح عن
اسمها فقال له " ابرم " فظن سيف الدولة انه اكرهه بالسؤال فقال له ابرم من الابرام . فسكت
سيف الدولة عن سؤاله ولما مروا بقرية كثيرة ولم يسأل سيف الدولة ابا الفتح عن اسمائها قال ابو
الفتح : " يا سيدى ، يا سيف الدولة ، وحق رأسك ، ان القرية التي عبرنا عليها اسمها ابرم
واسأل عنها فبرى " . فأعجب سيف الدولة بذلك . (٢) ودخل سيف الدولة حلب يوم
الاثنين لتعان خلون من شهر ربيع الأول سنة ٣٣٣ هـ . (٣)

ولم يشأ الاخشيد ان يتنازل لسيف الدولة عن حلب فسير اليه عسكرا
بقيادة كافور ويانس المونسي ، فلقبهم سيف الدولة ، وكان غازيا للروم ، بالرستن فانهزم
كافور ومن معه وأسر سيف الدولة نحو اربعة آلاف وهرب كافور الى حمص فدمشق وكتب
معلما الاخشيد بما حصل معه ، كما اطلق سيف الدولة الاسرى جميعهم ، ثم سار
سيف الدولة ببغية دمشق فدخلها في رمضان سنة ٣٣٣ هـ ، وهرج الى الاعراب ، ولما عاد
الى دمشق منعه اهلها من دخولها ، وعلم الاخشيد بذلك فسار من الرملة يطلب سيف

(١) المصدر السابق : ج ١ ص ١١١

(٢) ابن العديم : ج ١ ص ١١١ - ١١٢

(٣) ابن العديم : ج ١ ص ١١٢

الدولة، وما ان وصل طبرية حتى كان سيف الدولة قد عاد الى حلب
بغير حرب لان اكثر اصحابه وعسكره استأمنوا الى الاخشيد فلحق به الاخشيد
الى ان نزل معرة النعمان والتقى بسيف الدولة في ارض قنسرين في
شوال سنة ٣٢٣. (١) .

وهرب سيف الدولة يبغي النجاة بنفسه فلم يتبعه احد من جند
الاشخيد، ودخل الرقة وقيل انه اراد دخول حلب فمنعه اهلها (٢) .
ودخل عسكر الاخشيد حلب واعملوا في اهلها الاذى وفيها التخریب وقطع
الاشجار (٣) . ثم ترددت الرسل بين سيف الدولة والاشخيد، واستقر الامر
على ان افرج الاخشيد له عن حلب وحمص وانطاكية، وقرر عن دمشق ما لا
يحملة اليه كل سنة . وتزوج سيف الدولة بابنة اخي الاخشيد عبيد الله بن
طنج وكان ذلك في ربيع الاول سنة ٣٢٣ (٤) .

وفي ذى الحجة من هذه السنة توفي الاخشيد محمد بن طنج
وولي الامر بعده ابنه ابو القاسم انوجور ولكن كافورا استولى على مقاليد الامور
وعاد كافور من دمشق الى مصر وما ان علم سيف الدولة بذلك حتى
سار الى دمشق فملكها وجبى خراجها . (٥)

ويروى ان سيف الدولة كان يساير الشريف العقيقي في بعض الايام بدمشق
فقال له سيف الدولة : " ما تصلح هذه الغوطة ان تكون الا لرجل واحد "
فقال له الشريف العقيقي : " هي لا توام كثير " فقال له سيف الدولة : " لكن
اخذتها القوانين ليتبرأ أهلها منها " فاسرها الشريف واعلم أهل دمشق بذلك (٦) .

-
- (١) ابن العديم : ج ١ ص ١١٣ - ١١٤ .
(٢) " " " " ج ١ ص ١١٥ .
(٣) " " " " ج ١ ص ١١٥ .
(٤) " " " " ج ١ ص ١١٥ .
(٥) " " " " ج ١ ص ١١٥ - ١١٦ .
(٦) " " " " ج ١ ص ١١٦ - ١١٧ .

وطالب سيف الدولة اهل دمشق باموال الاخشيد فكتبوا كافوراً، فخرج
ومعه ابن الاخشيد، وخرج سيف الدولة الى اللجون وجرت معركة بين
الجيشين هزم فيها سيف الدولة وعاد الى دمشق ومنها الى حمص حيث
جمع جمعاً لم يجتمع له قط مثله، ومن بني عقيل ومن بني نمير وبني
كلب وبني كلاب والتقى مع عساكر ابن طنج في من عذرا، وانهزم في
هذه المعركة ايضاً، وكان يأنس المونسي من جماعة سيف الدولة الا انه
انحاز الى انطاكيه، فراسله انوجور وكافور وضمنا له حلب ان هو وقف في وجه
سيف الدولة، فملكها مدة شهر ثم سار سيف الدولة في نهايته الى حلب
وهزم يأنس وكان ذلك في شهر ربيع الآخر سنة ٣٢٦ وترددت الرسل بين سيف
الدولة وانوجور وتم الاتفاق بينهما على ما كان عليه بين سيف الدولة وبين الاخشيد
دون المال المحمول عن دمشق (١) .

" وعمر سيف الدولة دارة بالحلبة وقلد ابا فراس مغبج وما حولها من
القلاع واستقرت ولاية سيف الدولة لحلب من سنة ٣٢٦ وهذه هي الولاية الثالثة " (٢) .

٣ - سيف الدولة الحمداني .

نشأته :

ولد سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان في السادس عشر او السابع
عشر من ذي الحجة سنة ٣٠٣ هـ، وهو ٢٢ حزيران ٩١٦ م، في الموصل
حيث كان ابوه واليا (٣) . وعاش في كنف والده معيشة ارسقراطية، ومما
ان يشب حتى يصاحب اخاه ناصر الدولة في الغزوات التي كانت في الغالب

(١) ابن العديم * ج ١ ص ١١٢ - ١١٩ .

(٢) " " ج ١ ص ١١٩ - ١٢٠ .

(٣) Schlumberger, Gustave, Nicephore Phocas, Paris 1890 p. 120 .

لتثبيت حكم الخليفة العباسي ، وكان سيف الدولة يحترم اخاه ويحبه كوالده . (١)

وتفقطع الصلة بأخبار الأمير الحمداني ، وسرعان ما اتصل عندما أصبح قائدا عسكريا يطلب منه اخوه السير من نصيبين الى بغداد ، لنصرة الخليفة المتقي لله وابن رائق ضد البريديين الذين غادروا واسط الى بغداد للاغارة عليها . وما ان وصل البريديون بغداد حتى أخرجوا الخليفة وابنه وابن رائق منها وهم على أسوأ حال . وما ان علم سيف الدولة ذلك حتى اسرع في المسير لملاقاة الخليفة ، وكان يحمل اليه من اصناف الاموال والثياب والدواب والطيب الكثير ، وكذلك الى بقية القواد والجند ، وحمل اليهم من الدقيق والشعير والتبن وجميع آلات الدواب ما كافاهم وزاد عن حاجتهم ، فأمر الخليفة بضرب اسمه واسم اخيه على الدنانير والدراهم زيادة على تلقيهما بناصر الدولة وسيف الدولة ، وسار سيف الدولة مع الخليفة وابن رائق الى بغداد ، وما ان عرف البريديون بذلك حتى انحدر عن بغداد فلاحق به سيف الدولة واقتتل معه وهزمه . وأكثر الناس من الدعاء لسيف الدولة في المساجد والطرقات وكان ذلك سنة ٣٣٠ هـ . (٢)

ويورد كنفار عن مخطوط لابن ظافر نص الرسالة التي بعث بها الخليفة المتقي لله الى سيف الدولة عند خروجه لحرب البريدي وفيها يقول : (٣) بسم الله الرحمن الرحيم ، عرفت - لا اخلائي الله منك - ما تقرر عليه العزم في رواحك - قرنه الله بالخير التامة والمعونة الشاملة والكفاية الجامعة - ووصله بالنصر والفلاح والظفر والفتح - فتعجلت الاستيحاء لبعذك والتحسر لما يفوت من قريك - لا خلوت منك - وكنت أحب ان الفاك وأسر برؤيتك قبل نفيوك ، ولما تعذر ذلك دعوت الله لك بجميع الصحابة ولي عليك بحسن الخلافة وان يسعدنا بذلك سعادة محمودة البدى والعاقبة . انه سميع الدعاء لطيف لما يشاء . ولا يزال قلبي متطلعا لمعرفة خبرك الى ان يرد علي من مستفرك بما تريبه وتمضيه وتدبره وتمشيه ، فتعمل - لا

(١) شلمبرجه ص ١٢٠

(٢) كنفار . ماريوس فخب تاريخية وأدبية جامعة لأخبار الأمير سيف الدولة الحمداني الجزائر سنة ١٩٣٤ ص ١١ - ١٣

(٣) كنفار ص ١٣ . عن مخطوط لابن ظافر

اخلاقي الله منك - على ملاحظتي من ذلك في كل وقت وساعة بما تعلم حسن موقعه مني
والسلام *

ولعل هذه الرسالة تدلنا على ما كان لسيف الدولة عند الخليفة من
منزلة أئمة ، كما نستطيع ان نستخلص من ثناياها وتبين مقدار نصرة سيف الدولة
للخليفة ، فان الخليفة كان يعتبره سنداً له وهوناً *

هذه المنزلة التي كان سيف الدولة يحتلها عند الخليفة كانت عاملاً فعالاً في
العلاقات الطيبة الناشئة بين الدولة الحمدانية ومركز الخلافة في بغداد ، فنحن لانجد أي
تعرض من بغداد لسيف الدولة والدولة الحمدانية في حلب بل ان معز الدولة بن بويه قبل
توسطه لديه في شأن اخيه ناصر الدولة ، فأبرم الصلح معه شريطة ان يضمن سيف الدولة
أداء الأموال الواجب على اخيه دفعها لبيت المال ببغداد . (١)

ويضيف المحاسني في كتابه " شعر الحرب في أدب العرب " ان ما اسلفت
بأن سيف الدولة لم يكن في فاتحة عهد الحرب الا داعية للخليفة العباسي ، وظل محافظاً
على صلته به ولو ان هذه الصلة لم تتعد الاسم . (٢)

وقد اعتبر المسلمون ، بل العرب ، سيف الدولة مخلصاً لهم ومنقذاً
ما كانوا ينردون فيه من مهاوى الفساد والانحلال . ورأى فيه بعضهم القائد
العربي الذي كان بإمكانه ان يجمع شمل الأمة بقوة شخصيته وشدة
عزمه . ورآه بعضهم داعية الاسلام ورائع رأيته فهذا هو المتنبئ بمدحه بقوله :

(١) حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج ٣ ، ص ١٢١

(٢) المحاسني : زكي ، شعر العرب في أدب العرب ص ٢١٤

ولست مليكا هازما لنظيره ولكنك التوحيد لشرك هازم

بل زاد المثنوي على ذلك حين فضل سيف الدولة على الخليفة فقال :

فيا عجا من دائل اثم سيفه اما يتوفى شفرتي ما تقلدا
ومن يجعل الضرغام بازا لصيده تصيده الضرغام فيما تصيدا

سيف الدولة الحاكم *

اجتمعت لسيف الدولة صفات عدة كانت سببا هاما في جذب الشعراء اليه ، فثجاعته وحروريته المتعددة وفرت لهم مواد المدح ، وكان كرمه الفياض يرغبهم في صحبته . وميله الى العظمة والاستبداد بالرأى سهل عليهم اساليب التفضيم والتبجيل ، وحببه للادب ومعرفته بالشعر عززا فيهم روح المنافسة ، اما ^{عسيرة} عسيرة للعرب فقد اعادت اليهم ما انقرض من موضوعات الفخر القديمة ، وكان تساهله وسعة ثقافته يجراهم على اقوال ما كانوا يجروا عليها في حضرة اميرجاهل ضيق الصدر .

ولجا سيف الدولة ، في سبيل جمع المال وانفاقه على حروبه ضد الروم ، الى كافة الوسائل ، فصادر نصيين التي كانت من اعظم بقاع الجزيرة واحسن مونها واكرها فواكه وغلات ، وجار على اهلها وهم بني حبيب بن ابناء عمومة بني حمدان في نفس الوقت ، فاضطروا الى الهرب بجمع ما عندهم الى ديار الروم وكانوا اثني عشر الف فارس اكرمهم ملك الروم ، فبعث هؤلاء الى من تركوهم في ديارهم محسنين اليهم ما اصبحوا عليه من رغد عيش فلاحق بهم هؤلاء وكونوا جيشا يغير على الحصون الاسلامية . وسيف الدولة في عمده هذا انما اتبع خطة اخيه ناهج الدولة ، ويصف ابن حوقل الحالة بقوله : " بان جل البلد قد خرب وناسه قد هلكوا ليوبق الله متلي ذلك بما يملى له ويزيد كربه من توفير الظلم ولكل شي نهاية " (١) .

(١) ابن حوقل : كتاب المالك واعمالك ليدن سنة ١٨٧٣ ص ١٤٠ - ١٤٣ .

وما اصاب نصيبين اصاب الرقة والراققة من مدن ديار مصر وكان لهما عمارة واشجار واعمال ومياه ورساتيق وكصور فقلّ لحظهما من كل حال وضعفتا بما حملهما سيف الدولة من الكلف، ومصادرة اهلها مرة بعد اخرى (١) .

ويروى ان الهجريين استهدوا من سيف الدولة حديدا فقلع سيف الدولة لهم ابواب الرقة وهي من حديد وسد مكانها، واخذ حديدا من ديار مصر ثم كتبوا اليه انا قد استغنيا عن الحديد، فأخذ القاضي ابو حصين الابواب وكسرها وعمل منها ابوابا لداره . ثم كتب الهجريون الى سيف الدولة يلتمسون الحديد، فاخذ الابواب التي عملها ابو حصين وجمع ما قدر على جمعه من الحديد حتى ~~صلحت~~ الباعة والبقالين وحمل الحديد في الفرات الى هيت ثم منها اليهم برا (٢) .

ويذكر ابن العديم ان سيف الدولة اخذ يحتال بشتى الوسائل المشروعة وغير المشروعة ليجمع المال فزاد الضرائب وارفق السكان واستصفي الاموال فقال القاضي ابو حصين علي بن ^{عبد} الملك الرقي : " كل من هلك فليسيف الدولة ما تركه، وعلى ابي حصين الدرك " ولكن سيف الدولة كان يندم على ذلك فقال عندما قتل ابو حصين في مغارة الكحل وبعد ان دامه بحصانه : " لارضى الله عنك فانك كنت تفتح لي ابواب الظلم . " (٣) ولعل سيف الدولة كان اول من استن ضريبة الارث في الشرع الاسلامي .

ولعل مصاريف سيف الدولة واعطياته ونفقاته كانت سببا هاما في لجوءه الى كافة الوسائل للحصول على المال، ~~فقد~~ ^{فقد} كنار وصفا لمصاهرة سيف الدولة

(١) ابن حوقل : كتاب المالك واعمالك ص ١٥٣ - ١٥٤

(٢) مسكويه : علي بن احمد تجارب الامم مصر سنة ١٩١٥ ج ٢ ص ٢٠٣ .

(٣) ابن العديم : زبدة الحلب ج ١ ص ١١٢ .

لأخيه فقال انه عندما صاهر سيف الدولة أخاه ناصر الدولة سنة ٣٥٤ ، وزوج ابنيه ابا
المكارم و ابا المعالي بابنتي ناصر الدولة ، وازوج ابا تغلب ابن اخيه بابنته ست الناس
أمر بضرب دنانير في كل دينار منها ثلاثون ديناراً و عشرون ديناراً و عشرة دنانير مكتوب
عليها : " لا اله الا الله محمد رسول الله ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فاطمة
الزهراء الحسن الحسين جبريل عليهم السلام " و على الجانب الآخر " أمير المؤمنين
المطيع لله ، الأميران الفاضلان ناصر الدولة وسيف الدولة الأمير ابوتغلب و ابوالمكارم
المكارم " و جاؤا بما لم يجد به احده ، حتى بلغ ما انفقته سبعمائة الف دينار . (١)

سيف الدولة الأديب

قال الثعالبي : " كان سيف الدولة اديبا شاعرا محبا لجيد الشعر شديد
الاهتزاز لما يمدح به ، فلو ادرك ابن الرومي زمانه لما احتاج ان يقول :

ذهب الذين تهزهم مداحهم هز الكماة عوالي الممران
كانوا اذا امتدحوا رأوا ما فيهم ملا ريحة منهم بمكان (٢)

اما شعر سيف الدولة فتلعلل يتيمة الدهر المصدر الوحيد الذي روى قسما من
اشعاره ، وتنوعت اغراض هذا القسم الذي اورده الثعالبي فقال سيف الدولة في الوصف :

وساق صبيح للصبح د عوته فقام وفي اجفانه سنة الغض
يطوف بكاسات العفار كأنجم فمن بين مقفض علينا ومقفض
وقد نشوت أيدي الجنوب مطارنا على الجؤد كنا والحواشي على الأرض

(١) كتار : النخب ص ٢٦٣
(٢) الثعالبي ، ابو منصور : يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر بتحقيق محمد محي الدين
عبد الحميد - القاهرة سنة ١٩٤٢ ج ١ ص ١٦

على احمر في اخضر تحت مبيض
مصبغة والبعض اقصر من بعض (١) *

يطرزها قوس الغمام باصفر
كاذيال خود اقبلت في غلائل

ولسيف الدولة في القاب^{الغار} قوله * (٢)

وعاتبني ظلما وفي شفه العتب
فهلا جفائي حين كان لي القلب
تجنى له ذنبا وان لم يكن ذنب

تجنى علي والذنب ذنبه
واعرض لما صار قلبي بكفة
اذا برم العولى بخدمة عبده

وله في عتاب اخيه قوله * (٣)

وقلت لهم بيني وبين اخي فرق ؟
تجافيت عن حقي فقتم لك الحق
اذا كنت ارضى ان يكون لك السبق

رضيت لك العليا وقد كنت اهلها
ولم يك لي عنها نكول وانما
ولا بد من ان اكون مصليا

ولسيف الدولة في الغزل * (٤)

ت ولم اخل قط من اشفاق
ك **مجرا** يا انفس الاعلاق
والذى بيننا من الود باق
ولفراق يكون خوف فراق

راقبتني العيون فيك فاشفق
ورايت الحمود يحسدني في
فتمنيت ان تكوني بعيدا
رب هجر يكون خوف هجر

-
- (١) الثعالبي * يتيمة الدهرج ١ ص ٣١
(٢) " " " " ج ١ ص ٢٢ - ٢٣
(٣) " " " " ج ١ ص ٢٣
(٤) " " " " ج ١ ص ٢٢

وله فيه ايضا * (١)

كعرب الطائر الفزع	اقبله على جزع
وخاف عواقب الطمع	رأى ماء فاظماه
ولم يلتذ بالجرع	وصادف فرصة فدنا

وله في النزل ايضا * (٢)

فالى كم انت تظلمه ؟	قد جرى في دمه دمه
جرحته منك اسهمة	رد عنه الطرف منك فقد
خطرات الوهم توألمه ؟	كيف يستطيع التجلد من

واذا انعمنا النظر في هذه النماذج الشعرية لنقيم من خلالها شعر سيف الدولة خرجنا من كل ذلك بعدد من الحقائق هي *

أ - كان شعر سيف الدولة شعرا رقيقا يفيض سهولة ورقة ، لا حشو فيه ولا تزيد ، سهل المعاني لا غريب فيه .

ب - ليست هذه النماذج هي كل ما قاله سيف الدولة ، فلا شك في ان هنالك غيرها وهي تدل على ان القائل شاعر لا بد من ان يكون له شعر غير هذا .

ج - ان سيف الدولة استعان بالبديع في اشعاره ولا سيما في وصفه لقوس قن وهو في هذا الامر يدل على ثقافة شعرية لا مأخذ عليها .

(١) التعالي * يتيمة الدهرج ١ ص ٢٢

(٢) " " " " ج ١ ص ٢٣

ذكر شلمبرجه ان النحوى الكبير ابن خالويه، الذى كان من المقيمين في بلاط سيف الدولة، قال عنه : " انه كان ناهية اللغاة وكان الشعر في حياته اعظم شيء يمكن ان يتأثر به بعد السلاح (١) . وما دام ذلك كذلك فلا بد من ان يكون لسيف الدولة بعض الآراء في الشعر والشعراء، ربما اصاب في بعضها وربما اخطأ في البعض الآخر، الا انني لن ابحت ذلك في هذا الموضع بل في فصل لاحق اعني به* . " اثر البلاط الحميداني في النقد الادبي " .

وفاته :

قيل في يوم الجمعة لخمس بقين من صفر سنة ٣٥٦ هـ - ٩٦٧ م توفي سيف الدولة بـحمدان، ودفن في ميا فارقين، ووضع تحت خده لينة صغيرة من تراب كان جمعه من نفض الغبار الذى كان يجتمع عليه في عزواته وكان عمره اذ ذاك اربعا وخمسين سنة (٢) .

(١) شلمبرجه ص ١٢٤ .

(٢) كقار : الفخب، ص ٢٧٦ - ٢٧٩ .

القسم الثاني

اثر بلاط سيف الدولة في الادب

مقدمة

حفل بلاط سيف الدولة بعدد غير قليل من الشعراء والادباء واللغويين والكتاب حتى لا يدانيه في هذه الناحية^١ أمير آخر الا ما كان من شأن بلاط المعتمدين عباد بالاندلس، على ان بلاط سيف الدولة يزيد عليه بتنوع حالات النشاط واختلاف الاتجاهات بينما كانت شهرة بلاط المعتمد قاصرة في الاكثر على الكتابة والشعر. فمن الشعراء الذين تحلقوا حول سيف الدولة: المتنبى وابو فراس والواواء والبيضا والسرى الرفاء والصنوبرى وابن نباتة السعدى وكشاجم والخالديان سعيد ومحمد والناي وابو زهير المهلهل والناشي^٢ الأصغر والسلامي والخليع الشامي . ومن الناشرين ابو بكر الخوارزمي وابو الفرج البيضا وخطيب سيف الدولة ابن نباتة الفارقي، كما نجد نوطا من الانصال بين سيف الدولة وبين كل من اسحق الصابي^٣ وابي الفرج الاصفهاني وابي علي الحاتمي . والتف حول سيف الدولة من اللغويين ابن خالويه وابن جني وابو الطيب اللغوى الحلبي وابو على الفارسي .

فما الذى نعنيه حين نقول : اثر البلاط في الادب ؟ وما السبب في تجمع هذا العدد الكثير حول سيف الدولة ؟ اذا قلنا اثر البلاط في الادب، عنيانا ان هناك شخصية كبيرة هي شخصية سيف الدولة خلقت للأدب العربي في فترة ما، هي القرن الرابع، في بيئة معينة هي بيئة حلب، بما فيها من حياة حضارية جديدة وما فيها من مناظر طبيعية، ادبا غزيرا خصبا لم يكن ليتأتى لها في عصر آخر، وان شخصية سيف الدولة

قد اصبحت بخصائصها الذاتية واعمالها الحربية محورا لادب كثير من شعر ونثر، وان اهتمام سيف الدولة نفسه هو الذى كان يوجه الادباء والشعراء في كثير من النواحي التي طرقتها وان هذه الدولة الحمدانية كانت في بعض احوالها ذات ميول شيعية، فكل ما يتصل بهذه الميول من ادب انما كان تقاربا بين العادحين والممدوحين، ولذلك فان هذه الدراسة ستعنى بكل هذه النواحي فتصور العلاقة بين شخصية سيف الدولة والشعر اى تدرس المدائح التي كان بطلها سيف الدولة، ثم تدرس الشعر الذى خلد الاعمال الحربية سواء ما كان منها ضد الروم او ضد القبائل العربية، ثم تدرس العلاقة بين الشعر وبين الطبيعة الحلبية في تلك الفترات، ثم اثر التشيع في الشعر، فاذا انتهى القول في الشعر تعرضت الدراسة لاشر البلاط في الكتاب والكتاب، ثم في اللغة واللغويين ثم في حركة النقد الادبي .

ويقيني ان هذه الدراسة تحاول ان تصور ما يمكن ان نسميه نهضة ادبية عامة تحت ظل سيف الدولة في القرن الرابع، وقد تكون لها اشباه في مكان آخر، ولكن اى نهضة اخرى لم تبلغ من الروعة ما بلغته تلك النهضة اذ قيض لها من اقدان الادباء والشعراء مالا يكاد يجتمع في زمان واحد ومكان واحد، وكل امر مقرون باسبابه، ومن اسباب ذلك، ان الدويلات التي انفصلت عن بغداد كانت كقيلة بان تكون هي "العواصم الادبية" يوم لم يكن الادب يستطيع ان يعيش ^{وقوع} الا في ظل حاكم جواد سخي، وقد كان سيف كذلك يمثل في انظار الملتفين حوله المثل الاعلى لراي الادب، والمثل الاعلى للبطل العربي المكافح، وكان تشجيعه للادب وسخاؤه بالمال في سبيله مضرب الامثال حتى قال فيه البهفاء: "وكان آثر الاشياء عنده وانفقها عليه واحبها اليه ان يسأل فيعطي وان يستزاد فيزيد وان يطالب وينظر حتى كان دائما يعزل للانسان شيئا يريد هبته له ^{ظفر} ظهره ويقول: * اريد ان اعطي فلانا هذا، فيخرج ممن يحضر الرجل، فيضد ^{بصر} ولا يعطيه، فيقول له الرجل: * ائيش صراة مسورة مولانا فيقول والئيش فضولك فيقول: * هذا والله لي عزله مولانا * فيقول، لا، فيقول: *

بلى فيأخذه ويجازيه عليه فاذا فعل ذلك اعطاه وزاده شيئا آخر" (١) .

وكذلك ضرب سيف الدولة دنانير الصلات وكان الدينار منها بعشرة مثاقيل ، وقد بلغ في هذا مبلغ الاسراف والتبذير ، وقال البيهقي عندما اعطي عشرة منها :

نحن بجور الامير في حرم	نرتع بين السعد والنعم
ابدع من هذه الدنانير لم	يجر قديما في خاطر الكرم
فقد غدت باسمه وصورته	في دهرنا عورة من العدم

فزاده عشرة اخرى (٢) .

ويروى كذلك ان اعرابيا رث الهيئة انشود سيف الدولة يوما فقال :

انت علي وهذه حلب	قد فقد الزاد وانتهى الطلب
بهذه تفخر البلاد وبالا	م يعم تزهى على الوري العرب
وعبدك الدهر قد اضربنا	اليك من جور عبدك الهرب (٣)

فقال سيف الدولة : " احسنت ولله انك " وأمر له بمائتي دينار .

وقال ابو القاسم عثمان بن محمد العراقي قاضي عين زربة : حضرت

مجلس الامير سيف الدولة بحلب وقد وقاه القاضي ابو نصر محمد بن محمد النيسابوري فطرح من كفه كيسا فارغا ودرجا فيه شعر استأذنه فـ

(١) التوحي : ابو علي المحسن بن علي : نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة القاهرة باعتنا

مرجوليون سنة ١٩٢١ ج ١ ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

(٢) الثعالي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٠ .

(٣) " " " " ج ١ ص ٢٠ .

انشاده فانن له ، فأشدد قصيدة أولها :

حبا وك معتاد وأمرك نائفذ وهدك محتاج الى ألف درهم

فلما فرغ من انشاده ضحك سيف الدولة ضحكا شديدا وأمر له بألف دينار فجعلت في

في الكيس الفارغ الذي كان معه . (١)

ويذكر الثعالبي كذلك ان ابا فراس كان يوما بين يديه في نفر من ندائه فقال

لهم سيف الدولة : أياك يجيز قولي وليس له الا سيدي (يعني ابا فراس)

لك جسمي تعله قد ي لم تحله

لك من قلبي المكا ن فلم لا تحله

فارتجل ابو فراس :

انا ان كنت مالكا فلي الامر كله

فاستحسنه وأعطاه ضيعة في منبج تغل الف دينار . (٢)

وكان الخالديان من خواص شعراء سيف الدولة فبعث اليهما مرة وصيفة ووصيفا

وهي كل واحد منهما بدرة وتخت من ثياب مصر : فقال احدهما من قصيدة طويلة :

لم يغد شكرك في الاخلاق مطلقا الا ومالك في النوال حبيس

خولتنا شمساً وبدرا أشسرت بهما لدينا الظلمة الحفديس

رشأ اتانا وهو حسنا يوسف وفزالة هي بهجة بلقيس

هذا ولم تفتح بذاك وهذ حتى بعثت المال وهو نفيس

اتت الوصيفة وهي تحمل بدرة وأتى على ظهر الوصيف الكيس

وبررتنا مما اجادت حوكه مبروزات حسنه تنيس
فعدا لنا من جودك المأكول والدم مشروب والمنكوح والملبس (٣)

(١) ابن خلكان : شمس الدين . وفيات الاعيان وأنبأ ابنا الزمان ، تحقيق محمد محي الدين

عبد الحميد - القاهرة سنة ١٩٤٨ ج ٣ ص ٨١ - ٨٢

(٢) الثعالبي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٠ - ٢١

(٣) الثعالبي : يتيمة الدهر - ج ١ ص ٢٢ - ٢٣

ويروى عن أبي اسحق إبراهيم بن هلال الصابن قوله : " طلب مني رسول سيف
الدولة ، وكان قد قدم الى الحضرة ، شيئا من شعري ، وذكر ان صاحبه رسم له ذلك فمدانته
اياما ثم الح علي وقت الخروج فأعطيته هذه الثلاثة ابيات وهي :

ان كنت خنتك في الأمانة ساعة ^{أعوج}
فدمت سيف الدولة المحمدا
وزعت ان له شريكا في العلى
وجحدته في فضله التوحيدا
فسما لو اني حالف بغموسها
لغريم دين ما أراد مزيدا
وقال الصابي ، فلما عاد الرسول الى الحضرة ودخلت عليه مسلما أخرج لي كيسا يختم سيف
الدولة مكتوبا عليه اسمي ، وفيه ثلاثمائة دينار . (١)

وفي خزانة الأديب ان سيف الدولة أمر بحساب ما أعطي لأبي الطيب فكان
خمسة وثلاثين ألف دينار في اربع سنين . (٢)

ولا شك في ان هذه الأعطيات الكثيرة ، التي كان يغدقها سيف الدولة على
شعرائه ، أثرت في ازدهار بلاطه وذيوع صيته وشهرته . فبالطال جلب او حصل على أفضل
الشعراء والأدباء ، وكان هؤلاء يفتقون رقبا على شعر بعضهم ، فكان لا بد من ان يقدم
الشاعر زناد شاعريته ليأتي بأجود ما يستطيع والا اصبح مضغة في انواء زملائه ، فجا
شعر البلاط الحمداني قويا مسبوكا لفظا ومعنى ، وكانت قوة هذا الشعر سببا في انتشاره
وذيوع صيت سيف الدولة بالتالي .

كذلك كان للأعمال والحروب التي قام بها سيف الدولة أثر بارز في شعر
الشعراء الذين لازموه وأهمهم المتنبّي وأبو فراس - اللذان كانوا فارسين علاوة على
انهما شاعران - فروحاً هذين الشاعرين وشاعريتهما وجدت متنفسا وسبيلا للخروج

(١) الشعالي بيتمة الدهر : ج ١ ، ص ٢٣

(٢) البغدادي ، عبد القادر - خزانة الأديب ولب لباب لسان العرب ، بولاق سنة ١٢٩٩

والانطلاق للتعبير عما لهذه الحروب من اثر في نفسيهما • وسوف ابسط
في الفصل القادم بعض ما قالاه من شعر في الحرب •

وصحيح ان شعر الحرب يغذى الروح المتوثية الا ان هذه الروح
تخرج الى صقل وتجميل فنجد في بلاط سيف الدولة من لم يقل شعرا
في الحرب قط بل وصف الطبيعة ، او قال مسلماً ^{شعراً} ومن هؤلاء الصنوبري
وكشاجم والسعدى والخالديان •

ولقد كان الشعر الحمدي^{السيدي} التاريخي الذي يمكننا بواسطة تتبع اخبار
سيف الدولة ، فاذا ما غزا وصفوا غزواته ، واذا ما بني حصنا ارخوا لبنائه واذا
قابل جيشه جيشاً آخر ، وصفوا هذا الجيش ، ولقد عرف الناس
المتنبي مداحاً كبيراً وعده الادباء شاعراً وعبقرياً وحكيماً بصيراً ، ونسوا انه
مؤرخ صادق •

قال الغزولي : اجتمع لسيف الدولة ما لم يجتمع لغيره من الملوك ،
كان خطيبه ابن نباتة الفارقي ومعلمه ابن خالويه ، ومطربه القاربي ، وطباؤه كشاجم •
وخزنة كتبه الخالديان والصنوبري ومداحه المتنبي والسلافي والواواء دمشقي والنامي وابن
نباتة السعدى والصنوبري وغير هؤلاء • (٢) •

(١) الغزولي : مطالع البدور في منازل السرور القاهرة سنة ١٢٩٩ ج ٢ ص ١٧٦ •

اثر البلاط في الشعر والشعراء

١ - العديج :

عاش سيف الدولة الحمداني في عصر تضال فيه النفوذ العربي الى درجة كاد معها ان ينعدم ، وقد تصور بعض الشعراء ، وهم محقون في تصورهم ، ان سيف الدولة هو الحاكم الذي يمكن ان تعود على يديه امجاد العرب الماضية . واذا ما زدنا على ذلك كرم سيف الدولة وجوده وجدنا انهمذين الاميرين لايفريان الشعراء بمدحه ، وهم في ذلك انما يصدرن عن ايمان بما يقولون كالعتبي او طمع في نوال اعطيان الامير وصلاته كالنابي وغيره من الشعراء . واذا ما اردنا بيان المعاني التي مدح بها الشعراء سيف الدولة وجب علينا ان نأخذ كل شاعر على حدة .

١ - النامي :

مدح ابو العباس احمد بن محمد النامي سيف الدولة فتخنى بكرمه وجوده ، متعجبا من حالة الحرب التي لا يتركها سيف الدولة فقال : (١)

فانت لمن رجاك كما يريد
وسيفك الوريد له وريد
فيصحو وهو نشوان يמיד

خلقت كما ارادتك المعاني
عجيب ان سيفك ليس يروى
واعجب منه رمحك حين يسقى

(١) التعالي . * يتيمة الدهرج ١ ص ١٩ .

كذلك جعل النامي من ممدوخه سيفا مصلتا على العدى اذا
ما فكر هو علاء في العدوان ، وسيف الدولة عندما تقع الشدائد اسرع من
الحمامة واثبت فيها من قلب صعبه عذبه الهوى (١) .

لكم يا بني العباس سيف على العدى حسام متى يعرض له الداء يحسم
اخف الى يوم الوغى من حمامة واثبت من شوق بقلب مستيم

واظهر النامي كذلك ان سيف الدولة في شغل بالحرب دائما فلا ينقضي
عليه العام حتى يعود الى الغزو ، وسيف الدولة على كسر الايام مقصد طلاب
العطاء والجود (٢) .

امير العلا ان العوالي كواسب علاءك في الدنيا وفي جنة الخلد
يعمر عليك الحول سيفك في الطلا وطرفك ما بين الشكيمة واللبد
ويمضي عليك الدهر : فعلك للعلا وقولك للتقوى وكفك **للرفد**

ويورد الثعالبي قصيدة للنامي في مدح سيف الدولة ، سار فيها على نهج
القدمى فاستهلها بذكر الديار والوقوف عليها ممتطيا ناقمة فقال : (٣)

العامة بمغاني داره لم اذا امامه في دار لها امم
باى حكم لا يام الفراق نأت بناعب كاعب والبين يحتكم ؟
عقلت عيسا كاني كنت حاسدها بدار سلى وترب الدار مستلم
احدى الحصان اماءت بي وقد صرمت يوم الحصى وهوها ليس ينصرم

-
- (١) الثعالبي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٢٥ .
(٢) " " " " ج ١ ص ٢٢٥ .
(٣) " " " " ج ١ ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

بعد هذه المقدمة ينتقل الشاعر الى مدح الامير فيقول ان قلبه
عندما علم يهجر حبيته شبيه بقلب عدو من اعداء سيف الدولة وهو
يغر ليلوذ بمهجته، ولعل حالة الخوف في كلا الموقفين واحدة، سيف الدولة
هو القدر والاجل الذي يمكن ان يتحكم في ارواح الاعداء، بل انه يتحكم
في الخيل فهي ظامئة تارة وريا تارة اخرى، واحسن الشاعر التخلص في هذا
الامر فقال :

كأن قلبي معار للنوى جـرماً
ناظ الحمائل في ليث وفي قمر
كأنه اجل او طرفه **وجبل**
يا مظمى الخيل او تروى ذوابه
من قلب قرن على وهو مهنم
وفي الحمائل قد **زيطت** به الهمم
او سيفه قدر في الروح يحتكم
والخيل تشرب من **اشواقها** اللجم

والشاعر في هذا الامر يشبه سيف الدولة بالرسول حين ساعدته الملائكة
في احدى معاركه .

وتدخلت ملائكة النصر بين الخيل، كيف لا يكون ذلك وقد اراد الله نصره
سيف الدولة ؟ فتم له النصر في يوم كثير الغبار - وساعده في ذلك
العز والحزن - حتى كأن الشمس مخمدة، مما حدا بالنهار ان يتساءل عن الافق
والارض، فالافق رماح تسيير الى مستقرها في صدور الاعداء والارض انقلبت الى
انسهار من الدماء التي كانت تسرف من صدور هؤلاء فقال :

اذا ملائكة النصر اختلطت بها
لم تدع يا علم المجد المقابلنا
لا يكتف النصر يوماً انت شاهده
النصر اسرجها والعز الجمها
قال النهار له والشمس مخمدة
هذا عجاج فأين الافق وهو قنا ؟
تشابه العالم النورى والنسم
الا وسبح اجلالا لك العلم
واليوم من نفعه قد كاد ينكم
والحزن امسك بالاسراج لا الحزن
وللعنايا شمس غمدها القمم
وتلك خيل فأين الارض وهي دم ؟

ويخلص النامي بعد ذلك الى مدح سيف الدولة فيقول ، ان انتصار
سيف الدولة تحطيم لقواعد الشرك ، وقد تحدث في ذلك ^{الذئاب} والنسور لانها
وجدت ما يقوتها بفضل رماح سيف الدولة التي لا تثطم لانها تعودت دائما
الرضاع من صدور الاعداء ، ولعل آل حمدان هم ذرة هذه الارض فالملك
لهم والعمال لهم وكذلك الحمد فهم اصحاب السماحة والكرم*.

قواعد الشرك والارواح تنحطم	محمد سيفك سيف الدولة انحطمت
ويخبر النسر نسر وهو يبتسم	يحدث الذئاب ذئب وهو مبتسم مبتهج
ورمحك ابن وضاع ليس ينفطم	قد ارضعتك ثدى الارض ذرتها
والعمال مقتسم والحمد مفتتم	من آل حمدان حيث الملك مقبل
جار السماح عليهم في الذي حكموا	قوم اذا حكموا يوما لانفسهم

وينهي الشاعر تصيدته بمخاطبة سيف الدولة ، ابن العلاء والكرم ، والرأي
بل الشجاعة والعزم ، بانه مهما قال فانه مقصوفي وصفه فافعاله تضيع
حدا لكل كلام فتعطله* :

فانت ذا والحيا والصارم الخدم	امن علاء ام ندى ادعوك ؟ ام بهما
كفوا الجواد من الاعجاب يحتدم	ان يعجل الرأي تلحقه بغايته
ان الاسود تمطى ثم تعترن	وان تأنيت عزما لم يفتك عدا
فضك فيك يقيني انك الامم	ان لم اقم امما للمدح من فكري
ما حيلتي قد تناهني دونك الكلم	اذا طلبتك لم الحقك في امد
فعطلت كل ما قالوا وما نظموا*	وما علي اذا ما كنت ناظمها

٢- ابو الفرج الببغا (١)

كذلك كان ابو الفرج الببغا من مداح سيف الدولة ، وكان له دالة كبيرة عليه ، فكتب اليه مرة يطلب منه رسمه في الكسوة فقال : (٢) الرضا بالمأمول اطال الله بقاء سيدنا الامير دليل على همة الأمل . ومحل المسؤول في نفسه مترجم عن نفاسة نفس المسائل . اذ كان الناس من التخلق بالكرم والتفاضل بالهمم في منازل غير متقاربة ومراتب غير متناسبة وشرف أدبه في شرف طلبه :

ورجاء سيف الدولة الشرف الذي يتقاصر التفصيل عن تفصيله
ضمنت تأميلي نداء فـرد ه جدلان من سفر الظنون بسوءاله
رافقت حين بلغت ورد تواله عن ورد ممتنع النوال بخـيله
فالغيث يغبطني على انعامه والد هر يحسدني على تأميله

وعلي بأني اقرب مؤلمه ايده الله اليه وأوجبهم حرمة عليه وأشد هم استؤادة لنعمه
وأكثرهم سحبا على كرمه بعثني على التقرب الى قلبه بالسؤال ومناجاة كرمه بلسان الآمال :

ان تعلم الايام موضع عبده من عزه ومكانه من رائه
بشواهد الخلع التي يغد وبها متطاولا شرفا على نظرائه
فمن العجائب حسن توقيع له وموقع التوقيع من شفعاثه

فعل ان شاء الله تعالى .

وللببغا في مدح سيف الدولة والتغني بكرمه قوله : (٣)

(١) هو ابو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد ، اكثر شعرا وجيدا مقاعده فيه جميلة ، خدم سيف الدولة مدة وتنقل بعد وفاة الامير في البلاد ، والببغا لقب "لقب به لحسن فصاحته وقيل للشدة في لسانه ، وكتبها ابن جني الفبغا" . (ابن خلكان ج ٢ ص ٢٧٧) وزاد هل (J. Heil) على ذلك بأنه كان يلي المتنبى في مواهبه الشعرية ، واشتهر بأنه كان من احسن مفكري وشعراء عصره كما جرب مواهبه في جميع الاقراض الشعرية ونبغ في المديح الى حد بعيد . (ترجمة الببغا الموسوعة الاسلامية الجزء الاول) .
(٢) التنوخي : نشوار المحاضرة ج ١ ص ٢٥٩ - ٢٦٠
(٣) الثعالبي : بتيمة الدهرج ١ ص ٢٤٧

قصوت امسك عن اوصاف نعمته
 لما تحصنت من دهرى بمعقله
 وواصلتني صلوات منه رحمت بها
 لم يبق لي امل ارجونداك به

عجزا وينطق عن آثارها حالي
 سمت بحملانه الحاظ اقبالي
 اختال ما بين عز الجاه والمال
 دهرى لانك قد افنيت آمالي *

٣ - الواواء

ومن الشعراء الذى اتصلوا ببلاط سيف الدولة الحمداني ابو الفرج الواواء *
 فقد ذكر الدكتور سامي الدهان في مقدمته للديوان ان الواواء اتصل بسيف
 الدولة بين سنتي ٣٢٣ - ٣٢٥ هـ ولم يجزم الدكتور الدهان فيما اذا كان
 الواواء قد اقام في حلب او انه انشد سيف الدولة القصائد في دمشق (١) *

مدح الواواء سيف الدولة بثلاث قصائد عدد ابياتها مئة وتسعة مطلع

اولها

صولج لامين في عذارين في ذهيبين جوهريين (٢)

ومن يقرأ هذه القصيدة يتبين ضعفها معنى ومبنى الا انها اشتملت على
 بيتين اختارهما الثعالبي واغودهما في يتيمة هما *

من قاس جدواك بالغمام فما انصف في الحكم بين شكلين
 انت اذا جدت ضاحك ابدا وهو اذا جاد دامح العين (٣)

من
 اما القصيدة الثانية فكانت امتن/ الاولى واحكم سبكا ، وقد سار فيها على منهج
 الشعراء القدامى فوقف على الاطلال فقال (٤)

(١) الواواء دمشقي ، الديوان تحقيق الدكتور سامي الدهان دمشق سنة ١٩٥٠ ص ١٢ - م ١٤ *

(٢) الواواء الديوان ص ٢٢٠ *

(٣) " " ص ٢٢٢ - ٢٢٣ * اليتيمة ج ١ ص ١٩

(٤) " " ص ٢٤ - ٢٨ *

قفوا ما عليكم/وقوف الركائب ^{من}
لنبذل مذخور الدمع السواكب

ثم ذكر بعد ذلك حبيته شأنه في ذلك شأن سابقه :

تعشق دمعي رسمها فكأنها
تظلم على رسم من الدمع واجب
تليد هوى في الرسم حتى كأنما
هو الرسم الا انه غير ذاهب

ولما وقفنا ساحة الحي لم نطق
كلاماً تتاجينا بكسر الحواجب

ثم يصف الليل وكواكبه التي تغيب مسرعة وتظهر قصر الليل اذا ما اجتمع الحبيبان •
ويترك الليل ويجد العزم ليصل الى ممدوحه :

سأهبط من بحر الليالي مذهباً
متى قصرت بي في هواه مذهباً
واسحب ذيل العزم في ارض همة
الى واهب امواله للمواهب
الى من يظل الجود يقسم انـه
هو الجود موقوفاً على كل طالب
هو السيف الا انه ليس نابياً
اذا عاقه المقدور عن كل ضارب
اذا شاجروه بالرماح تشاجرت
وتصبح ايدى النقى ايدى خيوله
وكم خاض نقعا يمطر الهام وقعته
الى الموت في صفي فنا وقواهب
اذا شئت عوناً لا يذل لحادث
فناد على اسم الله " يا سيف غالب " ١

ولعل آخر قصائد الواواء في مدح سيف الدولة لا تختلف عن قصيدته الثانية
في المنهج ، فهو يقف فيها على ملاعب الطفولة ليتذكر محبوبته ويصف الليل والناقاة
التي تنقله الى ممدوحه ، وكان في كافة انتقالاته (في القصيدة) موقفاً ، فقال في مدح

سيف الدولة : (١)

ولما اجزتها بساحة طاهر
الى كعبة الامال والمطلب الذى
الى من يرى ان الدموع غلائل
ومن لا تراه طالبا غير طالب
عجيب **للأطراف** الرماح اذا ارتمت
بعلوات صبر لم تزل تستعيده
فتى الپس الايام ثوب شبيبة
تظل العناية تحت ظل سيوفه

ذهبنا بها في مذهبات المذاهب
به حليت اجياد عطل المواكب
وان ركوب الموت خير العراكب
ولا زاهبا الا على غير زاهب
بها وافدات الطعن من كل جانب
الى الحرب حتى زال صبر المحارب
وكانت قديما في جلابيب شائب
اذا خطر الخطي بين الكتاب

ويأخذ بعد ذلك في وصف الات الحرب ومعداتنا ثم يطلب من سيف الدولة
ان يريح هذه الات لانها نحلت من الضرب فقال :

المضارب

ارجها قليلا كي تقر فانها
تمريك الايام وهي شواهد
ابا حسن هذا ابن مدحك قد اتى
بما **لكة** للسمع مملوكة به
اذا انشدت في مشهد شهدوا لها
لتعلم اني "حاتم" والشعر والذى

من الضرب امست ناحلات **المضارب**
بانك ما ابقيت عتبا لعاتب
لمدحك والايام خضر الشوارب
عجائبها من امهات العجائب
بحسن التناهي في اختصار المذاهب
غرائبه فيه حسان الغرائب

٤ - المتنبى

مدح ابو الطيب سيف الدولة الحمداني بعدد من القصائد ، لا اعدو الواقع
ان قلت ان معظمها **ورد** في جبين الشعر العربي ، وفيما يلي مطالع بعض
مدائحه :

وفاء كما كالريح اشجاء طامسه	بان تسعدا والمدح اشفاه ساجمه (١)
_____	_____
اين ازمنته ايهذا الهمام	نحن نبت الربى وانت الغمام (٢)
_____	_____
رويدك ايها الملك الجليل	تأى وعدة مما تنيل (٣)
_____	_____
الام طماعية العاقل	ولا رأى في الحب للعاقل (٤)
_____	_____
اعلى المعالك ما يبني على الاسل	والطعن عند مجيهن كالقيل (٥)
_____	_____
سر حل حيث تحله النوار	واراد فيك مرادك المقدار (٦)
_____	_____
لا الحلم جاد به ولا بمثاله	ولا ادكار وداعه وزياله (٧)
_____	_____
ايدرى الريح اى دم اراقا	واى قلوب هذا الركب شاقا (٨)
_____	_____
اذا كان مدح فالنسيب المقدم	اكل فصيح قال شعرا متميم (٩)

(١)	المتنبى	• الديوان تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام ص ٢٤٢
(٢)	"	• ٢٤٩ ص " " " " " "
(٣)	"	• ٢٥١ ص " " " " " "
(٤)	"	٢٥٨ ص " " " " " "
(٥)	"	٢٦٥ ص " " " " " "
(٦)	"	٢٦٨ ص " " " " " "
(٧)	"	• ٢٧٤ ص " " " " " "
(٨)	"	• ٢٧٨ ص " " " " " "
(٩)	"	• ٢٩٠ ص " " " " " "

وتشمل من دهرها من يشمل (١)	اينفع في الخيمة العزل
دعا فلباه قبل الركب والابل (٢)	اجاب دمعي وما الداعي سوى طلل
وللحب ما لم يبق مني وما بقي (٣)	لعينيك ما لقي الفؤاد وما لقي
انا اهوى وقلبك المبتول (٤)	ما لنا كلنا جو يارسول
فسمعا الامر امير العرب (٥)	فهتم الكتاب ابر الكتب

ورد في الاخبار ان المتني اتصل بسيف الدولة سنة ٣٢٧ هـ فقبل (٦) :
 لما قدم سيف الدولة انطاكية سنة ٣٢٧ هـ كان بها المتني الذي قدم اليه واثني
 عليه عنده (وكان سيف الدولة قد عرف منزلة المتني في الشعر والادب) واشترط
 عليه انه اذا ما انشده مديحا انشده وهو قاعد ، وانه لا يكلف تقبيل الارض بين
 يديه فنسب الى الجنون ، وانشد المتني اول قصائده في سيف الدولة فقال :

وفاء كما كالريح اشجاء طاسمه بان تسعدا والدمع اشفاء ساجمه

والواقع ان هذه القصيدة لم تكن اول قصائد المتني في سيف الدولة - ولي
 رجع الى تحليلها - بل كانت الثانية . اما القصيدة الاولى التي نظمها الشاعر فكانت

-
- (١) المتني الديوان تحقيق الدكتور عزام ص ٢١٧٥ .
 (٢) " " " " " " ص ٢٢٨ .
 (٣) " " " " " " ص ٣٣٥ .
 (٤) " " " " " " ص ٤٢٧ .
 (٥) " " " " " " ص ٤٢١ .

(٦) البديعي ، يوسف - الصبح المبني عن حيشية المتني - دمشق ١٣٥٠ ص ٣٥ .

ذكر الصبا ومرابع الارام جلبت حمامي قبل وقت حمامي

«وكان ابو الطيب اجتاز سنة ٣٢١ برأس عين وقد اوقع سيف الدولة لعمر بن حابس من بني اسد وبني ضبة ورياح من بني تميم ولم ينشدها اياه، فلما لقيه دخلت في المدح» (١) :

ويرجح الاستاذ محمود محمد شاكر ان المتني لقي سيف الدولة في هذه السنة ، اي سنة ٣٢١ هـ - واتصل بينهما الود قليلا قليلا ، وفي القصيدة أبيات تدل على ان لسيف الدولة بعض الافضال على المتني ، ويتعجب الاستاذ شاكر من هذه القصيدة لما تضمنته من حب واعجاب فقال المتني :

وتعذر الاحرار صير ظهرها	الا اليك علي ظهر حرام
انت الغريبة في زمان اهله	ولدت مكارمهم لغير تمام
اكثرت من بذل النوال ولم تنزل	علما على الافضال والانعام
صغرت كل كبيرة ، وكبرت عن	لأنه وعدت سن غلام
ورفعت في حلل الشناء وانما	عدم الشناء نهاية الاعدام
عيب عليك ترى بسيف في الوفي	ما يصنع الصمصام بالصمصام ؟
ان كان مثلك كان او هو كائن	فبرئت حينئذ من الاسلام (٢)

وينتقل المتني بعد ذلك الى الدعاء له ، والدعاء بالسقياء ، وكان هذا البيت مشاركا بالنسبة للمؤرخين اذ كانت ام سيف الدولة حية سنة ٣٢١ ، فكيف يدعو المتني لها بالسقياء ويرجح ^{وهي حية} الدكتور عبد الوهاب عزام ان كلمة "ابويك" انما تعني "جديك" واذا ما اخبرنا بتعليل الدكتور عزام (٣) استقام الرأي القائل باتصال المتني

(١) المتني * الديوان ص ٤٠٨

(٢) شاكره محمود محمد المتني المقتطف يناير سنة ١٩٢٦ ص ٥٤

(٣) عزام : الدكتور عبد الوهاب ذكرى ابي الطيب بعد الف عام القاهرة سنة ١٩٥٦ ص ٨٩ - ٩٠

بممدوحة سنة ٣٢١ • اما البيت فهو :

صلى الاله عليك غير مودع وسقى ثرى ابويك صوب غمام

اما قصيدة المتنبي في سيف الدولة ، والتي جعلها بعض الرواة اولى قصائده فانها في الواقع من عيون شعر المتنبي ، والمتنبي الذي كان **ياهل** في لقاء الحاكم العربي الامثل اعد العدة لهذا اللقاء فنظم فريدة من فرائده بدأها بمخاطبة عينيه اللتين **اشجكتاه** بالدمع عندما تذكر ربح الاحبة ، ومطلع القصيدة لا يختلف عن قصائد القدماء من حيث الابتداء بالوقوف على الاطلال ، ولقد اطال ابو الطيب في الوقوف على الاطلال ودعا على نفسه بالبلبلى ان لم يطل الوقوف وهو كئيب حزين للذكرى التي انبعثت في نفسه :

وفاء كما كالربح اشجاه طاسمه بان تسعدا والدمع اشفاه ساحمه
وما انا الاعاشق كل عاشق اعق خليليه الصغيين لائمه
بليت بلى الاطلال ان لم اقف بها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه
كئيبا توقاني العوازل في الهوى كما يتوقى ريش الخيل حازمه

ويدعو بعد ذلك بالسقيا لهذه الاطلال ، التي انقلبت النساء فيها الى ازهار والخدم الى كمام تحميها . واذا ما اراد الشاعر المفسر مع محبوبته فانه لا حاجة به الى القمر لانه القمر معه يهديه وينير له الطريق ، اذا نظر اليه ناظر فانه يعود الى ايام **صباه** .

سقاك وحيانا بك الله انما على العيس نور والخذور كئامه
وما حاجة الاطلال حولك في الدجى الى قمر ما واجد لك عادمه
اذا ظفرت منك العيون بنظرة اناب بها معي المطي ورازمه

وتفرد حبيب الشاعر بالحسن فكان الحسن احبه فاختره دون غيره من الناس ليكون مثالا له ، وليس باستطاعة احد ان يسي هذا الحسن لان هنالك رمح

قومه التي تحول بينه وبين الأعداء ، بل ان هذه الرماح هي التي تسبي من كل حي نساء الكريعات
ليقمن بخدمة الحبيب الذي كانت الستائر بينه وبين الناس ، الغبار أولا والبخور ثانيا .

حبيب كان الحسن كان يحبه فأثره اوجارني الحسن قاسمه
تحول رماح الخط دون سبائه وتسبى له من كل حي كرائمه
ويضحى غبار الخيل ادنى ستوره وآخرها نشر الكباء الملازمة

اما وقد اضطر المتنبى لفراق محبوبه للانتقال الى مدح سيف الدولة فانه يقول ان هجر للا
الأحبة قد اصبح امرا مألونا لديه ، نعرف وذاق موارته حتى جاوز مرحلة الشباب الى الشيب
ولا يد له في ذلك لأن الذي سبب له الشيب هو الذي جعله شابا في الماضي . ولا مفر لكل
فرد من الصبى والشيخوخة ، وسواد الشعر وبياضه ، اما هذا البياض فليس عيبا ولكن اجمل
الشعر اسوده الا ان كرم المدح احسن في الشباب الذي فقد ، فقال :

وما استغربت عيني فراقا رأيت ولا علمتني غير ما القلب عالمه
فلا يتهمني الكاشحون فانني رعيت الردى حتى حلت لي علاقته
مشب الذي يبكي الشباب مشبيه فكيف ترقيه وبانيه هادمه
وتكلمة العيش الصبى وعقبيه وغائب لون العارضين وقادمه
وما خضب الناس البياض لأنه فبيح ولكن احسن الشعر فاحمه
واحسن من ماء الشبيبة كله حيا يارق في نازة انا شائمه

ولقد احسن المتنبى التخلص والانتقال من فرض الآخر في هذه القصيدة
فهو قد لقي مدوحه في خيمة مزدانة بالرسوم والصور ، وعلى الفازة صور
الرياض والاشجار على اعصانها حمام ولكن هذه الحمام لا تغني
اما جوانب الفازة فقد طرزت بالحواشي وصفوف الدر ، وترى من الصور
كذلك حيوانات البر وهي تتقاتل الا انها في الحقيقة تعيش

في سلام لأنها من الجماد ، اما اذا ما هبت الريح فانك ترى ان هذه الصور قد بدأت في الحركة ، وأصبحت الصورة حفيقة . وعلى هذه الجوانب صورة ملك الروم وقد سجد لسيف الدولة الا ان انفة سيف الدولة وكبرياءه منعه من السماح للملك بتقبيل يديه فقبل ملك الروم بساط سيف الدولة ، بعد ان اکتوى بنار حربه فقال :

عليها رياض لم تحكها سحابة	واغصان دوح لم تغن حمامة
وفوق حواشي كل ثوب موجه	من الدر سمط لم يثقبه ناظمه
ترى حيوان البر مصطلحا به	يحارب ضد ضده ويسالمه
اذا ضربته الريح ماج كأنه	تجول في مزاكيه وتداى ضراغمه
وفي صورة الرومي ذى التاج ذلة	لابلج لا تيجان الا عمامه
تقبل افواه الملوك بساطه	ويكبر عنها كمنه وبراجمه
قياماً لمن يشفي من الداء كيه	ومن بين اذني كل قرم واسمه
قبائعها تحت العرافق هيبة	وانفذ مما في الجفون عزائم

واذا ما سار سيف الدولة للحرب فانه يسير بجيشين احدهما من الجنود والثاني من الطير الذي يسير مع الجند ، حتى اذا ما وقعت المعركة بدأت الطيور تنهش في جثث قتلى الأعداء ، اما ثياب ملوك الروم فهي اجلة لخيل سيف الدولة وأجسام هؤلاء الملوك هي الطريق المصنوع التي تمشي عليها الخيول ، ويخاطب الشاعر سيف الدولة بقوله ان ضوء الصبح قد مل من كثرة افارتك فيه مباغته للعدو وكذلك مل سواد الليل من كثرة مزاحمتك له لانه لا يقدر ان يكفك عن القتال ، وكذلك الحال بالنسبة للرمح والسيوف ، اما العقبان فانها تشكل سحابا اذا ما طارت فوق جيش سيف الدولة ، الذي هو سحاب آخر ، فاذا طلبت العقبان السقيا وفرها لها السحاب السائر على الأرض اي الجيش فيجريان دم العدو :

له عسكرا خيل وطيور اذا رمى	بها عسكرا لم تبق الا جماجمه
اجلتها من كل طاع ثيابه	وموطنها من كل باغ ملاغمه

ومل سواد الليل مما تزاخمه
ومل حديد الهند مما تلاطمه
سحاب اذا استقت سقتهلها صوامره

فقد مل ضوء الصبح مما تغيره
ومل الفنا مما تدق صدوره
سحاب من العقبان يرحف تحتها

وقد جعل المتنبي العزم مركوبه لا يصاله الى الامير الحمداني . وقطع في سبيل الوصول
اليه صحارى لا يمكن ان يسير بها الذئب وهو الجلود على الجوع ، ولا الغراب
وهو السريح في الطيران وما ان وصل الى سيف الدولة حتى رأى بدرا لا يرى
القمير في السماء بدرا مثله ، وخاطب بحرا جوادا كريما لا يمكن لسابح ان
يصل الى شاطئه ، ولشعره ما اصاب الشاعر بخيبة الامل ان رأى في هذا
الامير صفات كثيرة لم يصفها الشعراء ولم يذكرها في وصفهم له ، وكان
الشاعر اذا ما اراد الذهاب الى بلد بعيد اسرى ليلا وحاله في هذا الامر كالسر
الذى يكتمه الليل ، الا ان المجد سل سيف الدولة ليحميه من اللثام ، وابقى
هذا السيف مسلولا فلم يردده الى غمده ولم يكن الضرب سببا في ثلمه ، اى ان
سيف الدولة هو سيف المجد يتقلده الخلفاء ويضرب الله به اعداءه ، والواقع
ان اعداء سيف الدولة عندما يحاربونه فانهم لا يدرون انهم عبيد له لانهم
يصبحون اسراء ، وكذلك اموالهم ، فانها تصبح غنائمه .

على ظهر عزم موءيدات قوائمه
ولا حملت فيها الغراب قوائمه
وخاطبت بحرا لا يرى العبر عائمه
بلا واصف والشعر تهذى طعامه
سريت فكنت الليل والسر كاتمه
فلا المجد مخفيه ولا الضرب ثالمه
وفي يد جبار السموات قائمه
وتدخر الاموال وهي غنائمه

سلكت صروف الدهر حتى لقيته
مها لك لم تصحب بها الذئب نفسه
فابصرت بدرا لا يرى البدر مثله
غضبت له لما رأيت صفاته
وكنت اذا يعمت ارضا بعميدة
لقد سل سيف الدولة المجد معلما
على عاتق الملك الاغر نجاده
تحاربه الأعداء وهي عبيده

واذا كان البعض يرى ان الدهر والزمان امر كبير وخطير فانهم

مخطئون فسيف الدولة اكبر واعلى من الدهر، والذين يرون الموت امرا عظيما فانهم ايضا مخطئون لان الموت خادم عند الامير، وان تسميته بالسيف ظلم له فما كل سيف يمكن ان يقطع رؤوس الابطال وشدائد الزمان

ويستعظمون الموت والموت خادمه	ويستكبرون الدهر والدهر دونه
وان الذى سماه سيفاً لظالمه	وان الذى سعى علياً لمنصف
وتقطع لزيات الزمان مكارمه	وما كل سيف يقطع الهام وحده

والواقع ان هذه القصيدة كانت نقطة البداية لخلاف المتنبي والنقاد فلقد اخذ ابن خالويه على المتنبي تعدية فعلي شفاء وشجاء، ورد المتنبي على ذلك بانه لم يرد التعدية وانما اراد التفضيل (١)، كما كانت نقطة بداية هجوم المتنبي على الشعراء لانهم يقصرون في وصف مكرمات سيف الدولة فقال :

غضبت له لما رأيت صفاته بلا واصف والشعر تهزى طماطمه

وحول القصيدة كذلك عددا من الصور الجميلة، التي يمكن القول بانها كانت خارجة على المؤلف من التشابيه العربية من هذه الصور قوله :

بليت بلى الاطلاع ان لم افف بها وقوف شحيح ضاع في التراب خاتمته
وكذلك وصف مناعة المحبوب في قوله

(١) المتنبي الديوان شرح البرقوقي هامش ص ٥٦ •

تحول رماح الخط دون سبائه
ويضحي غبار الخيل ادني ستوره
وتسبي له من كل حي كرائمه
وأخرها نشر الكباء الملازمه

وابدع الشاعر في وصفه للخيمة التي كان بها سيف الدولة إذ انه ابرز
من خلال هذه الصور **اعتزازه** بعروبته كما ابرز لنا أنفة سيف الدولة
وكبرياءه حين قال :

وفي صورة الرومي ذي التاج ذله
تقبل اخواه الملوك بساطه
لابلج لا تيجان الا عمائم
ويكبر عنها كمه وبراجمه

وإذا ما انتقلنا بعد ذلك الى الصور الاخرى وجدنا ان المتني
يبرز لنا من خلال وصفه قوة جيش الامير إذ قال :

له عسكريا خيل وطير اذا ربي
بها عسكريا لم تبق الا جماجمه

سحاب من العقبان ينحرف تحتها
سحاب اذا استسقت سقطها صوارمه

✓ وبين الشاعر اهمية ممدوحه فلم يركب ناقة او فرسا في سبيل الوصول
اليه بل انه ركب ما هو ممتع على الناس اجمعين ، فركب العزم وقال

سلكت صروف الدهر حتى لقيته
على ظهر عزم مؤيدات قوائمه

ولست في حاجة الى ذكر مهارة المتني في حسن التخلص والانتقال من
غرض الى آخر في قصائده ولعل هذه القصيدة خير دليل على ما ذكرت
ففيها انتقل الشاعر من ذكر ايام الشبية الى مدح سيف الدولة فقال في ذلك :

واحسن من ماء الشبية كله حيا بارق في فارة انا شائمه

ولبت المتني في بلاط سيف الدولة بعد هذه القصيدة مدة ثمانى سنوات
اذ انه انصرف عنه سنة ٣٤٥هـ (١) . وكان سيف الدولة يصطحب المتني معه في
غزواته ، ويستمتع اليه ينشده مدائحه فيه حتى بلغ مقدار ذلك ثلث ديوانه .
وكان المتني خلال هذه المدة شاعر سيف الدولة المفضل هالا ان الحاسدين
تمكنوا من الكيد له عند الامير فأعرض هذا عن شاعره الذى ما ان لا حظ
ذلك حتى نظم قصيدة في عتاب اميره مطلعها :

واهر قلباه من قلبه شم ومن بجسي وحالي عنده سقم

ولن اتناول هذه القصيدة بالبحث في هذا المكان الا انني سأؤجل
ذلك الى فصل لاحق .

استحدث المتني في مدحه للامير الحمداني معاني عدة ، قد تكون
شائعة قبله ، الا انها اُقتُرنت بالمتني وسيف الدولة . واخشي ان يقودني هذا
الامرالى البحث في اى من الاثنين كان سببا في شهرة الآخر ، والواقع
ان لكل منهما فضلا على الآخر ، فسيف الدولة الهب شاعرية المتني بالحروب
والغزوات التي كان يخوضها ضد الروم ، وأتى المتني فسجل بحسبه المرهف
هذه الغزوات واتى فيها بمعان جميلة سهلة حفظها الناس ورددوها ، فأنت
اذا ذكرت المتني اقترن في ذهنك سيف الدولة ، واذا ما ذكرت سيف الدولة
اقترن اسمه في ذهنك باسم المتني . من هذه المعاني التي اقترنت باسم
المتني وسيف الدولة قول المتني في مدح الامير* .

(١) عزام ذكرى ابي الطيب ص ٨٩ .

خضعت لمنصك المناصل عنوة
ولست مليكا هارما بالنظيره
واذل دينك سائر الاديان
لكنك التوحيد للشرك هان

جعل المتنبي ممدوحه بطلا ينظر اليه الناس كبطل يمكن ان يخلص
الاسلام من براثن الشرك والفساد ، ونحا المتنبي منحى آخر في مدح الامير
فضله على الخليفة العباسي حين قال :

فيا عجا من فائل انت سيفه
ومن يجعل الضرغام بازا الصيده
اما يتوق شفرتي ما تقلدا
تصيده الضرغام فيما تصيدا

كذلك جعل الشاعر من ممدوحه بطلا تفاخر العرب به فقال :

رفعت بك العرب العماد وصيرت
انساب فخرهم اليك وانما
قمم الملوك موافد النيران
انساب اهلهم الى عدنان

وقال في مدح الامير من خلال وصف السيوف ومدحها :

تهاب سيوف الهند وهي حدائد
فكيف اذا كانت نزارية عربا

٥ - ابو فراس .

ونحن اذا انتقلنا بعد ذلك الى ابي فراس لندرس مدائحه في
سيف الدولة ، فاننا نفاجا بأن ابا فراس لم يكثر في مدح سيف الدولة ،
بل انه نحا في هذا الامر منحى آخر لم يسلكه غيره من الشعراء ،
فمدح ابي فراس لابن عمه هو في الواقع مفاخرة به ، ولم يعتبر نفسه
مادحا اذ قال :

نطقت بفضلتي وامتدحت عشيرتي
فلما انا مداح ولا انا شاعر
بل انا ابا فراس يقول في شعره : (١)

الشعر ديوان العرب
لم اعد فيه مفاخرى
ومقطعات ربما
لا في المديح ولا الهجا
ايضا عنوان الأذب
ومديح آبائي الفجب
حليت منهن الكتب
ولا ولا المجون ولا اللعب (٢)

ولم يكن سيف الدولة يهين ابا فراس ليكون شاعرا بل هياة ليكون فارسا ، وهو

يقول في ذلك :

(١) ابو فراس ، الديوان مطبعة دار بيروت ودار صادر ص ٢٢ .

(٢) يعلق الاستاذ آدم متر على هذه الابيات في كتابه " الحضارة الاسلامية بقوله : " وان كان الكثير من شعره في الفخر ليس الاخيالا لا حقيقة وراءه " (الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى ، القاهرة سنة ١٩٤٧ ج ١ ص ٣٨٥) واني لأعجب كيف يصدر مثل هذا القول عن الاستاذ متر وهو المتخصص في القرن الرابع الهجرى ، ألم يكن الحمدانيون ذوى سلطان ونفوذ في وقت عز فيه السلطان على العرب؟ ترى أكان الحمدانيون فكرة في القرن الرابع الهجرى حتى يكون الفخر بهم خيالا لا حقيقة وراءه؟ لا لم يكونوا كذلك وقد رأينا وعلمنا اخبارهم في مقدمة هذه الرسالة ، ألم يشترك ابو الهيجا ، مع ابي عم ابي فراس في خلع المقتدر مرتين؟ ألم يتقلد الحمدانيون امارتي الموصل وحبب خلال القرن الرابع الهجرى؟ وبعد ذلك يأتي الاستاذ متر ليطلقها سهلة ان فخراي فراس ليس الاخيالا لا حقيقة وراءه ، فلو لم يفخر ابو فراس الا بسيف الدولة لكاه ذلك ، ففي اخبار سيف الدولة ووقائع ضد الروم ما يكفي الحرب جميعا - في ذلك العصر - ليفخروا به ! فكيف بابن عم سيف الدولة !؟

وإذا ما قارنا بين شعر فراس في مدح سيف الدولة وشعر المتنبي في سيف الدولة، وجدنا أن شعراً أبي فراس لا يمكن أن يعتبر مديحاً، فهو بالواقع فخرٌ بانتصارات الأمير، بينما كان شعر المتنبي في الأمير مديحاً ممتازاً بالمعنى المفهوم من لفظة "المدح". كذلك كان أبو فراس ينظر إلى سيف الدولة نظرتة لفصيل له بينما كانت نظرة المتنبي لسيف الدولة تقوم على أساس أن سيف الدولة هو للعرب جميعاً وليس وقفاً على آل حمدان وحدهم، فالعرب جميعاً يشاركونهم فيه. ولعل السبب في هذا التباين بين الشعارين ونظرتيهما إلى سيف الدولة يعود إلى نشأة كل منهما، فابو فراس لم يكن يعد نفسه ليكون مداحاً، وساعده على ذلك نشأته الأرستقراطية - إن جاز لي أن استعمل هذا المصطلح في هذا المكان - التي كانت تعتبر المدح وسيلة من الوسائل التي يكسب بها الشعراء، والمتنبي عاش في عصر رأى فيه التفكك يحيق بالدولة العربية، وكان يأمل أن تتم إعادة بناء الدولة على يدى الأمير الحمداني. وكان فخر أبي فراس بالأمير ^{أمراً} يعود في أصله إلى السليقة والطبيعة التي عاش فيها الشاعر، فهو لم يتعرض لهزات كادت تعصف به، كما كان الحال بالنسبة للمتنبي الذى خبر الزمان وقاسى من مرارة الحرمان في حياته، عدا عن السجن الذى قضى فيه مدة من الزمن.

٦ - ابن نباتة السعدى

ومدح ابن نباتة السعدى سيف الدولة بمدائح عدة فضله في بعضها على مائر العرب مشبهاً إياه بكلام الله الذى هو افضل من كل كلام العرب فقال (١) :

يا من ثرى قدميه طينة العرب
عند العيان فليس الصفر كالذهب
فليس مثل كلام الله في الكتب .

حاشاك ان تدعيك العرب واحدها
فان يكن لك وجه مثل اوجههم
وان يكن لك نطق مثل نطقهم

ومدح سيف الدولة بقصيدة لامية بدأها بمخاطبة الدهر وتخني فيها بكرم
سيف الدولة وشجاعته فقال (١)

يا ايها الدهر ان العي كالخطل
نواله جعل الارزاق من قبلي
وما تمهل يوما في ندى وردى
ما دهرنا غير سيف الدولة البطل
وعزه **صبيح** الايام من خولي
الا قضيت للفتح البرق بالكسل

ويقتل بعد ذلك الى ذم الروم والاسرى منهم فقال ان سيف الدولة كان
ياسرهم بالحرب اما الان فانه يأسرهم بالخوف من اسمه وفعله، ولم يتخل
سكن عاداته فهو كريم معهم الى أبعد الحدود حتى ان ملك الروم تمنى لو
أنه اسير **الامير** ينال من عطف الكيفية الاسرى فقال :

قد كنت تأسرهم بالسيف منصلتا
من يزرع الضرب يحصد طاعة عجبا
كانت سحابك فيهم كل بارقة
فاليوم سحباك فيهم كل بارقة
حتى تمنى ملك الروم حظهم
فصرت تأسرهم بالخوف والوهل
ومن يربي العلاء يأمن من الشكل
صحراء تهطل بالايدي على القلل
غراء تهطل بالاموال والحلل
وانه معهم في الاسر لم يزل

وبمضي الشاعر بعد ذلك الى شكر سيف الدولة لما قدمه له من اعطيات وصنائع
بلغت من الكثرة حدا كبيرا لدرجة انه كان يعطي الشاعر كل ما يتمناه فاصبح
في هذه الدنيا بلا أمل يرجوه فقال

(١) التعالي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٨١٧ - ٣٨٨ •

وما اريد عطاء غير ودكم
قد جوت لي باللهي حتى ضجرت بها
ان كنت ترغب في بذل النوال لنا
لم يبق جودك لي شيئا أوملة
ومشركم ينجلي من جودكم بجلي
وكدت من ضجر اثني علم البخل
فاخلق لنا رغبة او لا فلا تنل
تركنتي اصحب الدنيا بلا امل

ووصف ابن نباتة شجاعة سيف الدولة واقدامه ، كما قال ان سيوفه تخيف اكثر من الموت
لانها هي التي تجلبه ، فهو دائما ساهر ليناال المكرمات (١) :

سيوفك امضى في النفوس من الردى
فتى يتحامى لذة النوم جفنه
اطرفك شاك ام سهاوك عاشق
ومن سهرت في المكرمات جفونه
وخوفك امضى من سيوفك في العدى
كان لذيذ النوم في جفنه قذى
يغار على عينيك من سنة الكرى
وعسى طوفه في جوهها انجم الحلا
ولا تخمد العينان والقلب منتضى
فليس ينام القلب والجفن ساهر

٧ - السرى الرفاء :

وكان الوفاء (٢) السرى ابن احمد الكندى من الشعراء الذين اتصلوا بسيف الدولة
ومدحوه ، وصف سيف الدولة عند لقاءه للملوك وكانوا وقوفا لا يجراون على القعود في حفرة ،
ويدعو للامير بأن يختار ما يشاء من الامنيات التي لا بد من ان يكون الانتصار على العدو
اهمها فقال (٣) :

حضرنا والملوك له قيام
وزرنا منه ليك الغاب طلقا
تغض شواطرا فيها انكسار
ولم نر قبله ليثا يزار

(١) الثعالبي : يتيمة الدهرج ٢ ص ٣٨٨

(٢) اشتهر بالرفاء لأنه كان يرفو الثياب في الموصل ، ولم يزل في ضنك من العيش الى ان
خرج الى حلب واتصل بسيف الدولة ، واستمكر من المديح له ، فطلع سعده بعد الافول ،
وبعد صحيته بعد الخمول وحسن موقع شعره عند الامراء من بني حمدان ، وثقي في البلاط
الحمداني حتى وفاة سيف الدولة ، ثم سار بعد ذلك الى بغداد . (الثعالبي - يتيمة
الدهرج ٢ ص ١١٧ ، ١١٩٠)

(٣) السرى الرفاء : الديوان ص ١٠٥ - ١٠٦

فكان لجوهر المجد انتظام
فعمت مخيرا لك في الاماني
فضيفك للحيا المنهل ضيف
وكان لجوهر الموح انتشار
وكان على العدد لك الخيار
وجارك للربيع الطلق جار

وله في وصف جيش سيف الدولة قوله (١) :

كم معرك عرك القنا ابطاله
هبت رياحك في زراه سماءا
فتركت من حر الحديد مصائفا
فسقاهم في النقع سما ناقعا
وغدت سماوك تستهل فجاءعا
فيه ومن فيض الدماء مرابعا

- ٨ -

اولئك هم الشعراء الذين اقاموا في بلاط سيف الدولة ومدحوه بغرر خالدة
من اشعارهم ولو اني اوردت جميع ما قيل لما تسنى لي ذلك لوفرتة هلى انني لم
اعتر على اى شعر في المديح لا ثنين من الشعراء اقاما في بلاط
سيف الدولة وكانا خازني كتبه ، اعني بهما الخالديين ، حتى ان الشعالي
في ايراده الاخبارها ، وذكره طائفة من اشعارهما لم يذكر لهما شيئا من
المديح في سيف الدولة .

وكذلك فلقد وفد على بلاط سيف الدولة عدد من الشعراء يبتغون صلات
الامير الحمداني ، اجد لزاما على ان اورد ما عشرت عليه من اشعار
لهم في مدح سيف الدولة .

قال الخليل الشامي في سوال سيف الدولة (٢) :

- (١) السرى الرقاء : الديوان ص ١٦١ .
(٢) الشعالي يتيمة الدهرج ١ ص ٢٧١ .

(٣)

انا شاعر، انا شاكِر، انا ناشر
 هي سئة فكن الضمين لنصفها
 وانا عندى كالسؤال فهل ترى
 انا راجل، انا جائع، انا عارى
 اكن الضمين لنصفها بعيار
 ان لا تكلفني دخول النار.

كذلك وفد الناشيء الاصغر على سيف الدولة وودعه بقوله (١)

اودع، لا اني اودع طائعا
 وارجع لا التى سوى الوجد صاحبها
 تحملت عنا بالصنائع والعللا
 رعاك الذى يرى بسيفك دينه
 واعطى بكرهى الدهر ما كنت مانعا
 لنفسي ان القيت بالنفس راجعا
 فنستودع الله العلا والصنائعا
 ولقائك روض العيش اخضر يانعا

وادرك الطاهر الجزرى سيف الدولة وقال فيه (٢) :

وحاجة قيل لي نبه لها عمرا
 حسبي عليان ان تاب الزمان
 فلي علي بن عبد الله منتج
 وهم فقلت علي قد تنبه لي
 وان جاء المعاد بما في القول والعمل
 ولي علي امير المؤمنين علي

وحدث ان دخل الشعراء على سيف الدولة بعد انصرافه من
 الحرب وكان فيهم رجل شاي انشده .

وكانوا كقارٍ وسوسوا خلف حائط
 وكنت كسنور عليهم تسقفا

(١) الثعالبي : يتيمة الدهرج ١ ص ٢٣٠ .

(٢) " " " نشرة عباس اقبال طهران سنة ١٣٥٢ ج ١ ص ٤٦ .

فأمر باخراجه فقام على الباب يبكي ، فأخبر سيف الدولة ببكائه فرق قلبه وأمر برده وقال له : مالك تبكي ؟ قال : قصدت مولانا بكل ما أقدر عليه أطلب منه بعض ما يقدر عليه فلما خاب أمني بكيت . فقال له سيف الدولة : ويلك فمن يكون له مثل هذا الفخر يكون له ذلك الفظم ، ومم كنت أملت ؟ قال : خمسمائة درهم . فأمر له بألف درهم وانصرف . (١)

وكان أبو حصين الرقي ، قاضي حلب على زمن سيف الدولة يرسل أبا فراس شعرا وقال في ذكر سيف الدولة في إحدى قصائده :

لولا الأمير وان الفضل مبدؤه	منه لقلت ان الفضل منك بدا
دام البقاء له ما شاء مقتدرا	تضي أوامره ان حل أو عقدا
يذل أعداءه عزا ويرفع من	أولاه فضلا ويبقى للعلا أبدا

(أثر البلاط في الشعر والشعراء)

٢- الرثاء

لئن كان المديح تغنيا بأثر المدوح وإبرازا لصفاته ، فالرثاء تعدد لمآثر الميت وإبراز لصفاته ، والشاعر في مديحه يصف شجاعة ومدوحه في معترك القتال ويتغنى بكرمه وسماحته ورجاحة عقله وسداد رأيه في ما يعرض له أو يعرض عليه . فالمدح يصف حيا ، بينما يعدد الرثاء صفات الميت . وتتفاوت المراثي من حيث رقتها وقوتها المؤثرة في نفس الإنسان بتفاوت العلاقة بين الراثي والمرثي . فإذا كان الميت مدوح الشاعر ، كان الرثاء معبرا عن

(١) الحموي : ابن حجة ، نمرات الأوراق (مطبوع على هامش المستطرف)

القاهرة سنة ١٢١١ ج ١ ص ١٢٢ - ١٢٨

مصيبة الشاعر بموت ممدوحه • وابو تمام في رثائه لمحمد بن حميد الطوسي
يبين لنا حزنه الشديد لفقد اميره بل انه يطلب من الناس البكاء على هذا
الفقيد الذي عظمت المصيبة في فقداه فيقول :

كذا فليجل الخطب واليفلح الامر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

واذا كان الميت قريبا من اقرباء الممدوح سلك الشاعر في رثائه للميت معك
المعزى الذى يحاول ان يخفف من وطأه المصيبة على ممدوحه • ويمكن
القول بان شعر الرثاء في بلاط سيف الدولة الحمداني كان من هذا
النوع الاخير وشعراء البلاط في مراتبهم يعززون سيف الدولة باقربائه الذين
اختطفتهم يد المنون واحدا بعد الآخر • وما دام الامر كذلك فما
احرانا في هذا المقام ان نلحق شعر الرثاء بشعر المديح •

ذكرت ان شعر الرثاء في البلاط الحمداني اقتصر ^{على} تعزية سيف الدولة
ببعض اقربائه واعزائه • ولما توفيت أم سيف الدولة رثاها المتنبى بقصيدة استهلها
بالحديث عن الموت وقبض ارواح الاحياء ثم تحدث بعد ذلك عن الدهر
وغدوره بالاصدقاء واطهر حزنه لفقد ام سيف الدولة فقال (١) :

وتقتلنا المنون بلا قتال
وما ينجين من خيب الليالي
ولكن لا سبيل الى الوصال
نصيبك في منامك من خيال
فوادى في غشاء من نهال
تكسرت النصال على النصال
لاول ميتة في ذا الجلال

نعد العشرية والحوالي
ونرتبط السوابق مقلبات
ومن لم يعشق الدنيا قديما ؟
نصيبك في حياتك من هيب
رمانى الدهر بالارزاء حتى
فصرت اذا اصابني سهام
وهذا اول الناعين طرا

ولم يخطر لمخلوق ييال
على الوجه المكّن بالجمال
وقبل اللحد في كرم الخلال
جديدا ذكرناه وهو بالي
بل الدنيا توؤول الى زوال

كان الموت لم يفجع بنفس
صلاة الله خالقنا حنوط
على المدفون قبل التراب صونا
فان له ببطن الارض شخصا
وما احد يخلد في البرايا

ولقد اخذ النقاد عليه وصف وجه الاميرة بالجمال (١) ، لانه يرثي
والدة الامير الحمداني واعادوا ذلك الى فساد في الحل وسوء في ادب
النفوس، واخذ عليه الدكتور طه حسين ذكره البلى والانحلال لجسم الاميرة
وهو يعزى بها ابنها (٢) - ويستمر المتنبي في تعزية سيف الدولة ، ويطلب
منه الصبر على المصائب ويواسيه بان امه ماتت ميتة كريمة تتمناها كل
انثى لانها رأت مجد ابنها وعاشت حياة كريمة لم تكدرها خلالها
منخصات الدهر فقال :

تمنته الهواقي والحوالي
يسر الروح فيه بالزوال
وملك على ابنك في كمال
نظير نوال كوك في النوال
كأيدي الخيل ابصرت المخالي

اطاب النفس انك مت موتا
وزلت ولم ترى يوما كريبها
رواق العز فوقك مسبطر
سقى مشواك غاد في الخوادي
لساحيه على الاجداث حفش

ويظهر الشاعر بعد ذلك تفجعه والمه لفقد الاميرة فيقول :

وما عهدى بمجد عنك خالي
ويشغله البكاء عن السوءال
لو انك تقدرين على فعال

أسائل عنك بعدك كل مجد
يمر بقبرك العافي فيكي
وما اهداك للجرى عليه

(١) الثعالي * يتيمة الدهر ج ١ ص ١٦٨ *

(٢) حسين ، الدكتور طه * مع المتنبي القاهرة سنة ١٩٢٦ ج ٢ ص ٢٨٤ *

نزلت على الكراهة في مكان
تحجب عنك راحة الخزامى
بعذر يدار كل ساكنها غريب
بعدت عن النعامي والشمال
وتمتع عنك انداء الطلال
طويل الهجر منبت الحبال

ثم يمدح ابنها سيف الدولة بعد ان يصفها بالحصانة والصدق ، ويعود بعد
هذا المدح الى استكمال الرثاء ، ووصف الجنازة وتصوير حال الجوارى وقد انسكبت الدموع
من مآقيهن فيقول :

حصان مثل ماء المزن فيه
يعلها نطاسي الشكايا
اذا وصفوا له داء بشعر
وليس كالأغاث ولا اللواتي
ولا من في جنازتها تجار
مشى الأثر حولها حفاة
وابرزت الخدور مخبات
أنتهن
المصيبة غافلات
كتوم السرطادة المفال
وواحد لها نطاسي المعالي
سقا أسنة الأسل الطواني
تعديلها القيود من الحجال
يكون وداعها ففض النعال
كان المرو من زف الرثال
يضعن النقس أمكنة الغوالي
فدمع الحزن في دمع الدلال

ويذكر المتنبي بعد ذلك ان أم سيف الدولة خير من كثير من الرجال ،
فالشمس وان كانت انش فهي ولا شك افضل من القمر والله وان كان مذكرا ، فقال :

ولو كان النساء كمن فقدنا
وما التأنيث لاسم الشمس عيبا
يدفن بعضنا بعضا وتمشي
وكم عين مقبلة النواحي
لفضلت النساء على الرجال
ولا التذكير فخرا للرجال
واخرنا على هام الأوالي
كحيل بالجفادل والرمال

وينتهي أبو الطيب قصيدته هذه بمدح سيف الدولة فيقول :

كانك مستقيم في محال
فان المسك بعض دم الغزال

رايتك في الذين ارى ملوكا
فان تفق الانام وانت منهم

وقال المتنبى في رثاء طفل صغير سيف الدولة :

وهذا الذى يعنى كذاك الذى يبلى

بنا منك فوق الرمل ما بك في الرمل

قال في رثاء يماك غلام سيف الدولة :

لاأخذ من كل حالاته بنصيب

لا يحزن الله الامير فاني

وعزى المتنبى سيف الدولة بوفاة اخته الصغرى فقال :

تكن الافضل الاعز الاجلا

ان يكن صبر ذى الرزينة فضلا

ودلل الاستاذ محمود محمد شاکر في بحثه عن المتنبى ببعض ابیات من هذه القصيدة ليثبت ما ذهب اليه من حب المتنبى لخولة اخت سيف الدولة الكبرى (١) -

جعل القسم نفسه فيه عدلا
درن سرى عن الفؤاد وسلى
وتبيت ان جارك اعلا

قاسمك المنون شخصين جورا
فاذا قسمت ما اخذن بما غا
وتيقنت ان حظك اوفى

ويستطرد الاستاذ شاکر فيقول : فابو الطيب يطلب من سيف الدولة ان يقيس اخته الصغرى التي ماتت الى اخته الكبرى التي بقيت لهما وان هو فعل ذلك لوجد فيما يفعل سلوى له وتسلياً للهم عن قلبه واذا ما قاس سيف

الدولة هذين الامرين " ليتقن " أن حظه في بقاء الكبرى او في من حظ الموت في اخذ الصغرى . فكيف يكون المتني على يقين من ذلك الا وهو يعرف الكبرى معرفة افضل به الى مثل هذا اليقين ثم يورد قول المتني :

خطة للحمام ليس لها رد
فانما لم تجد من الناس كفوها
وان كانت المسماة ثكلى
ذات خدر ارادت الموت بعلا

ويتعجب الاستاذ شاعر من ان يكون ذلك عزاء فان ابا الطيب قد قدم الكبرى في المنزلة ، فكان الاولى ان تموت الكبرى اذ انها ولا شك افضل عند ابي الطيب من الصغرى التي لم تجد في الناس من يكون كفوها لها ليتزوجها فاختارت الموت لها بعلا ، وهذا هو التناقض الذي وقع فيه المتني . ولقد اقتربت في عيني صورة الكبرى بصورة الصغرى فلم يجرعلى سنن ونهج وذلك لاضطراب نفسه الذي اظهرما في قلبه وكشف عنه حين ذكر الكبرى فقال : " فاذا قست "

ويعزى ابو فراس سيف الدولة بموت اخته الصغرى بقوله انه لا بد في هذه الدنيا من فاقد وفقيد فمن الخير ان يكون سيف الدولة معزى لا معزى به اذا لم يكن بدا من الموت ، وكان الاولى بمن اخذ على المتني ذكر الجمال في رثاء ام سيف الدولة ان يذكر انه من قلة الذوق تعزية انسان بمثل ما قال ابو فراس (١) :

قولا لهذا السيد الماجد
هيهات ! ما في الناس من خالد
قول حزين مثله فاقد :
لا بد من فقد ومن فاقد
ان كان لا بد من الواحد
كن المعزى ، لا المعزى به

(١) ابو فراس : الديوان طبعة بيروت ص ٧٦ .

ويعمد انصراف المتني عن سيف الدولة ومغادرة الشاعر مصر الى
العراق اتى من ينعي خولة له فرشاها بقصيدة اظهرت ما في نفسه من
حب لها فقال :

يا اخت خير اخ يا بنت خير اب
اجل قدرك الاتسمى مؤمنة
لا يملك الطرب المحزون منطقته
كناية بهما عن اشرف النسب
ومن يصفك فقد سماك للعرب
وُدِّعته وهما من قبضة الطرب

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر
حتى اذا لم يدع لي صدقه املا
فزعته المنية ابا الطيب بخولة ففاضت عاطفته ولم يستطع كبح ~~حبح~~
جماعها ، فذكر انه قضى الليل ساهرا حزنا على فقد خولة ويتسائل ،
كيف يكون ليل سيف الدولة اذا كان ليله طويلا ؟ ثم يقسم بحرمة الفقيده
بانته سهر الليل ذارفا الدموع حزنا على فقدتها فيقول :

ارى العراق طويل الليل مذ نعت
يظن ان فؤادي غير ملتهب
بلى وحرمة من كانت مراعية
ومن مضت غير موروث خلائقها
وهمها في العلى والمجد ناشئة
يعلمن حين تحيا حسن مبسمها
فكيف ليل فتى الفتيان في حلب ؟
وان دمع جفوني غير منسكب
لحرمة المجد والقصار والادب
وان مضت يدها موروثه النسب
وهم اتراها في اللهو واللعب
وليس يعلم الا الله بالمشرب

فليت طالعة الشمسين غائبة
وليت عين التي اب النهار بها

ولا ذكرت جميلا من صفاتها
الا بكيت ولا ود بلا سبب

ونحن اذا اعدنا النظر في هذه الابيات وجدنا فيها ما كان
في نفس المتني وقلبه من حب وعاطفة جياشة انطلقت قوية ملء حنجرتة .
وكان حب المتني لخولة سببا في تعريض حياته للقتل وتأمري العشاء
عليه .

ودلل الاستاذ شاكر على حب المتنبى لخولة بعدة أبيات له فيها اشارات

الى ما ذهب اليه منها :

وما صباة مشتاق على أمل من اللقا كمشتاقي بلا أمل

وينتقل بعد ذلك الى القول بأن أهل خولة واقفون له بالمرصال ، فقال :

متى ترر قوم من تهوى زيارتها لا يتحفوك بغير البيض والاسل (١)

ويضي الاستاذ شاكر ويرى ان اصول حب المتنبى لخولة بقيت نامية في قلبه حتى

بعد مغادرته لسيف الدولة فقال : " ولكنه حين فارق سيف الدولة ودخل مصر

ظهرت في شعره رقة لا عهد له بها ، ولا تكون العلة في هذه الرقة التي ظهرت فيه

بعد ان جاوز الاربعين ، واستحكم واستمر مريره واستوت طبيعته على طريقة من القوة

والتشدد والاستمساك من اجل فراق سيف الدولة وحسب ، فان ذلك الفراق بين (الرجلين)

لا يعمل في تغيير الطبيعة المتأصلة كل هذا العمل ، وليس لشيء من العمل في تغيير

الطباع وتبديلها مثل ما للحب في القدرة على ذلك . وكان ابو الطيب حين فارق

سيف الدولة ، يتلفت قلبه الى تلك التي خلفها من ورائه وخلف عند ها قلبه وواطفه ، فأثار

ذلك في قلبه ذكرى وآلاما جعلت الدنيا تضيق بها نفسه وتضجر منها ، فكان أول ما لقي

كانورا لقيه بالبيت الذي عدّه الأبناء والنقاد من سوء أدب المتنبى ومن جفائه وغلظته ،

وليس الأمر على ذلك فان الرجل لم يكن جانبا ولا غليظا ولا سيء الأذب ولا ضعيفا

ضعيف البيان ، ولكنه كان كما حد ثناك مرهف الحس ، تغليه العاطفة على امره ، فلا يملك

لبيانه تصريفا ، وتصرف عاطفته هذا البيان كما شاءت والعاطفة لا تعرف امرا ولا كبيرا ولا تفرق

بين لقا الملوك ولقا الصعاليك ، فلذلك رمى وجه كانور بهذا :

(١) شاكر ، المقتطف ، العدد السابق ص ١٢٦

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا
تمنيها لما تمنيت ان ترى
وحسب المنايا ان يكن امانيا
صديق فاعيا او عدوا مداجيا

" ثم يمضي ابو الطيب على طريقته حتى يرق رقعة ، ولو انت قلبت ديوانه كله لم تجد لها شيئا ولا مثيلا ، وذلك قوله في خطاب قلبه ، ذلك القلب الذي حطم فيه فراق خولة وهذا بنيان رجولته وقوته " ❖

جيتك قلبي ، قبل حبك من نأى
واعلم ان البين يشيك بعده
فان دموع العين غدر برها
اقل اشتياقا ايها القلب ، ربما
خلقت الوفا لو رجعت الى الصبا
وقد كان غدارا فكنت انت وانيا
فلست فوادى ان رايتك شاكيا
اذا كن اثر الغادرين **جوابا** ❖
رايتك تصفي الود من ليس صافيا
لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

" فليس في الابيات حبه لسيف الدولة وحسب بل فيه نفحات من لوعة الحب الذي يستولي على القلب ، حب المرأة التي يهجرها الرجل وهو يعلم يقينا انه لا يهجرها وانما يهاجر قلبه الذي بين جنبيه ومعانده ويراعمه (١)"

وهناك ابيات اخرى للمتنبي ، **اورها** الاستاذ شاعر ليدل على حب المتنبي لخولة ، هي قوله (٢) :

اود من الايام ما لا توده
يباعدنا حبا يجتمعن ووصله
ابنى خلق الدنيا حبيبا حديمه
واشكو اليها " بيننا " وهي جنده
فكيف بحب يجتمعن وصدده ؟
فما طلي منها حبيبا ترده

(١) شاعر : المقتطف ص ١٣٧ - ١٣٩

(٢) " " ص ١٣٩ - ١٤٠

يراد من القلب نسيانكم

وتأبى الطباع على الناقل

رحلت فكم باك باجفان شاورنا علي
وما ربة القرط المليح فكانه
فلو كان ما بي من حبيب مقنع
رعى واتقى رمي ومن دون ما اتقى

وكم باك باجفان ضيغم
باجزع من رب الحسام المصم
عذرت ولكن من حبيب معمم
هوى كاسر كفي وقوس واسهبي

والظاهر ان خولة كانت كاخياها سيدة السيدات فابو فراس حين يبعث الى
سيف الدولة معزبا يظهر ما كان يكنه لها من حب، ويقول انه يشارك
الامير في المصاب الذي لم يستطع صبرا عليه، فهو مؤرق الجانبين
للحادث الجلل * فيقول: (١)

اوصيك بالحزن لا اوصيك بالجلد
اني اجلك ان تكفي بتعزية
هي الرزية ان ضنت بما ملكت
بي مثل ما بك من حزن ومن جزع
لم ينتفضني بعدى عنك من حزن
لاشركتك في اللاواء ان طرقت
ابكي بدمع له من حسوتي مدد
ولا اسوغ نفسي فرحة ابداء
وامنع النوم عيني ان يلم بها
يا مفردا بات يبكي ولا معين له
هذا الاسير المبقى لا فداء له

جل المصاب عن التعنيف والفند
عن خير مفتقد، يا خير مفتقد
منها الجفون فما تسخور على احد
وقد لجأت الى صبر فلم اجد
هي المواساة في قرب وفي بعد
كما شركتك في العماء والرغد
واستريح الى صبر بلا مدد
وقد عرفت الذي تلتقاه من كمد
علما بانك موقوف على السهد
اعانك الله بالتسليم والجلد
يفديك بالنفس والاهلين والسولد

(١) ابو فراس: الديوان طبعة بيروت ص ٧٥ - ٧٦ *

الركاب والخادم يضبط السير عليها وكأنه كان يعني نفسه وان لم يقصد ما قال (١) :

كل الانام الى ذهاب	ابيتي لا تجزي
للجليل من المصاب	ابيتي صبوا جميلا (٣)
من خلف سترك والحجاب	نوحى علي بحسرة
وكيف عن رد الجواب	قولي اذا ناديتني
س لم يمتح بالشباب	زين الشباب ابو فرا

ولما توفي سيف الدولة رثاه البغاء بمقطوعة اوردها الهملاني صاحب التكملة
يقول البغاء (٢) :

عن اى حادثة يعزى السدين	خلف المدائح بعدك التابين
يهن العقول ولا نراه يكون	ما كان في الدنيا كيومك مشهد
جلل لديه وكل خطب دون	لم يبق محذورا فكل مصيبة
فحراكه منزعجت عنه سكون	هب للهدى من بعد فقدك سلوة
فيها لمنسرب الدموع معين	ابقى نعيك في القبائل لوعة
كانت عليه به الخطوب تهون	ولي بسيف الدولة العزالذى

(١) ابو فراس : الديوان تحقيق الدهان ج ٢ ص ٤٧

(٢) الهملاني : التكملة - مجلة المشرق ، كانون ثاني - شباط سنة ١٩٥٨ ص ٧٥ .

في ذلك مادحا سيف الدولة (١) :

وبين طرفات المكارم والتلدد	فتى قسم الايام بين سـيـوفه
وبيض يوما بالفضائل والمجد	فسود يوما بالعجاج وبالغها
واحجامه في الزحف عن فارس فرد	ترى ابن طنج في ثلاثين جحفا
اذا كر القى البيض حدا على حد	وكان لسيف الدولة العزم عادة
حد يث المعالي قصه قصص الجهد	أيا سائلي عن يومه اسمع فانه
وقد نهدت من صدر غير الشرى نهد	وقالت له الهيجا في صدر سيفه
وطرفك من رأى وسيفك من حقد	كانك من ودرك من تقى
واسقيتهم ماء على قصب الهند	فاظماتهم والماء معترض لهم
نفودرت العقبي لذي الحق لا الحشد	الم تر فرعوناً وموسى تنازعا
لتغريقه كالبحر وامدده بالمد	فغرقه في البحر فاجعل فوقها
بجودك فاض البحر من ذلك الثمد	فلوجئت ثمدا ناضبا ورفدته

١ - الحرب ضد القرمطي :

ويذكر كنان عن مخطوط لابن ظفر ان سيف الدولة ظفر بالقرمطي المقرب بالهادى سنة ٣٣٦ هـ - ٩٤٦ م - واستنقذ ابا وائل تغلب بن داود بن حمدان الذي كان يتولى حمص لابن عمه سيف الدولة ، وخرج ابو وائل فسي طلب اعراب عاثوا في عمله واعتصموا بقرية يقال لها الحدث واتفق خروج القرمطي صاحب الخال ومعه قبائل طيء وكلب فلقي ابا وائل واسره ، وورد الخبر الى سيف الدولة في حلب فسار الى القرمطي والتقى به على ماء يقال له امهين على نحو خمسين ميلا من حمص ، وهزمه واختر رأسه واستنقذ ابا وائل كما هدم قرية الحدث وانغم

(١) الهمداني - المصدر السابق ص ٤٠٦

اهلها خمسة الاف دينار وكانت غيبته تسعة ايام . وفي ذلك يقول المتنبي قصيده التي مطلعها (١) :

الام طماعية العـاذل ولا رأى في الحب للعاقل

واشار ابو فراس الى ذلك في قصيده " لعل خيال العامرية زائر " فقال (٢) :

وأجلى الى " الجولان " " كلبا " و " ظينا " واقفر " عجب " منهم " وأشاعر
وباتت " نزار " يقسم الشام بينهما كرم المحيا لودعي مغاور
علاء " كليب " للضباب " علاءه " وهاضر " طي " " للجعافر " حاضر
وانقذ من مس الحديد وثقله " ابا وائل " ، والد هر اجدع صاغر
وآب ورأس " القرمطي " امامه له جسد من الكعب الرمح ضامر
وقد يكبر الخطب اليسير وتجتني اكابر قوم ما جناه الا صاغر
كما اهلكت " كلبا " غواة جلاتها وم " كلابا " ما جنة " الجعافر "
شربنا ولعينا بالسيوف نفوسهم ونحن اناس بالسيوف نتاجر

ويذكر بعد ذلك ان سيف الدولة لم يتعرض لنساء الخارجين عليه ، لانهن من عرضه

ولا يجوز ان يكشف سترهن استارهن ، وقد قدرت النساء لسيف الدولة صنيعه هذا فاعتبرن

انفسهن عبيدا له .

وصنا نساء نحن اولى بصونها رجعن ولم تكشف لهن سـتائر
ينادينه والعيس تزجي كأنها على شرفات الروم ، نخل مواقر
" الا ان من ابقيت ، يا خير مفعم ، عبيدك ما ناح الحمام السواجر ،
فخرجوك احسانا ، ونخشاك صولة ، لانك جبار وانك جابـرا "

(١) كقار النخب ص ٢٢٠ - ٢٢٢

(٢) ابو فراس الديوان ج ٢ ص ١١٩ - ١٢٠

الحرب ضد بني كلاب :

وفي سنة ٣٤٣ احدثت بنو كلاب حدثا بنواحي بالس وسار سيف الدولة خلفهم ومعه ابو الطيب ، فادركهم بعد ليال بين مائين يعرفان بالخبارات والخرارات من جبل البشـر ، فاقـع بهم ليلا فقتل وملك الحرم وابقى واحسن الى الحرم (١) وفي ذلك يقول المتنبي (٢) :

بغيرك راعيا عبث الذئباب	وبغيرك صارما ثلم الضراب
وتملك انفس الثقلين طـرا	فكيف تحوز انفسها كلاب
وما تركوك معصية ولكن	يعاف الورد والماء الشراب

ثم يصف المتنبي بعد ذلك خروج سيف الدولة ولحاقه بالخوارجين في البادية

واقتنائه آثارهم فيقول :

طلبتهم على الامواه حتى	تخوف ان تفتشه السحاب
يهز الجيش حولك جانبـيه	كما نفضت جناحيها العقاب
وتسأل عنهم الفلوات حتى	اجابك بعضها وهم الجواب

ثم يذكر المتنبي بعد ذلك ان سيف الدولة حفظ لنساء العرب كرامتهن فحافظ

عليهن ورفق بهن واكرمهن :

فقاتل عن حريمهم وفسروا	ندى كفيك والنسب القراب
وحفظك فيهم سلفى معد	وانهم العشائر والصحاب
تكلف عنهم صم العوالي	وقد شرقت بظعنهم الشهاب
واسقطت الاجنة في الولايا	واجهضت الحواهل والسقاب
وعمر وفي ميامنهم عمـور	وكعب رفي مياسرهم كعاب
.....

(١) كـار : النخب ص ٢٢٤

(٢) المتنبي : الديوان تحقيق عزام ص

تخاذلت الجماجم والرقاب	اذا ما سرت في اثار قوم
عليهن القلائد والمصاب	فعدن كما اخذن مكرمات
واين من الذي تولى الثواب	يثبنك بالذي اوليت شكرا
ولا في صونهن لديك عاب	وليس مصبرهن اليك شيئا
اذا ابصرن غرتك اغتراب	وليس في فقد هن بني كلاب

وبعد ذلك يتذكر المتنبي انه عربي ، ويجب عليه ان يعتذر عن هذه القبائل بل ان

يدافع عنها وينصب من نفسه محاميا عن بني كلاب فيقول :

تصيبهم فيؤلمك المصاب	وكيف يتم بأسك في اناس
فان الرفق بالجاني عتاب	ترفق ايها المولى عليهم
اذا تدعو لحادثة اجابوا	وانهم عبيدك حيث كانوا
باول معشر خطئوا فتابوا	وعين المخطئين هم وليسوا
وهجر حياتهم لهم عقاب	وانت حياتهم غضبت عليهم
.....
فحل بغير جارمه العذاب	وجرم جره سفها قوم
فقد يرجو "عليا" من يهاب	فان هابوا بجرمهم "عليا"
فمنه جلود قيس والثياب	وان يك سيف دولة غير قيس
وفي ايامه كثروا وطابوا	وتحت ربابه نبتوا واثوا
وذل لهم من العرب الصعاب	وتحت لوائه ضربوا الاعادى
ثناء عن شمسهم ضباب	ولو غير الامير غزا "كلابا"

ثم يعود المتنبي الى وصف غزوة سيف الدولة لبني كلاب وكيف ان جيشه الكبير بدد شمل

القبيلة وجعل رجالهم بعد الغزوة كالنساء فقال :

له في البر خلفهم عباب	رميتهم ببحر من حد يد
-----------------------	----------------------

فمساهم وسطهم حريـر
ومن في كفه منهم قنـاة
وصبحهم وسطهم تـراب
كمن في كفه منهم هـضاب

وينهي المتنبي قصيدته هذه بطلب الصبح عن هذه القليلة :

كذا فليسر من طلب الاعادي
ومثل سراك فليكن الطـلاب

اما ابو فراس فنظم في هذه الغزوة قصيدته البائية . قال ابن خالويه (١) : قال الامير ابو فراس : خرج سيف الدولة في طلب بني كلاب ، ومن انضاف اليها فلحق حلة بني نمير ورئيسها معاث ، فاحتوى عليها ، فخرجت اليه ، ابنة معاث مسفرة حافية كالشمس الطالعة وانكبت على مسابر الامير سيف الدولة فصيح لها عن الحلقة وامر برد ما أخذ " فكتب اليه ابو فراس يداعبا بقوله (٢) :

وما انس لا أنس يوم المغار
دعاك ذووها بسوء الجوار
فوافتك ترفل في مرطها
وقد خلط الخوف لما طلـع
تسارع في الخطولا خفة
فلما بدت لك فوق البيوت
فكنت اخاهن اذ لا اخ
وما زلت مذ كنت تولي الجميل
وتغضب حتى اذا ما ملكت
فولين عنك يفد ينهـا
ينادين بين خلال البيوت (م)

محجة لفظتها الحجب
لما لا تريد وما لا تحب
وقد رأيت الموت من عن كتب
تدل الجمال بذل الرغب
وتهتز في المشي لا من طرب
بدا لك منهن جيش لجب
وكتت اباهن اذ ليس اب
وتحمي الحرم ، وترعى النسب
اطعت الرضا وعصيت الغضب
ويرقعن من ذيلها ما انسحب
" لا يقطع الله نسل العرب "

(١) ابو فراس : الديوان ج ٢ ص ١٧

(٢) " " " " ج ٢ ص ١٧ - ١٨

أمرت - وأنت المطاع الكريم - ببذل الامان ورد السلب
وقد رحن من مهجات القلوب بلأخر غنم واغلى نشب
فان هن يا بن السراة الكرام رددن القلوب رددنا النهب

٣ - الحرب ضد عامر وعقيل وغيرهما من القبائل العربية

وفي سنة ٣٤٢هـ - ٩٥٣م تجمعت عامر بن صعصعة عقيل وقشير والعجلان واولاد كعب ابن ربيعة بن عامر بمرج سلميه وكلاب بن ربيعة بن عامر ومن معها بموقع الزرقاء بين خناصره وسورية وبحثوا فيما يلحقهم من سيف الدولة ، واتفقوا على مشاغلتهم من كل ناحية ، واتصل به ما اتفقوا عليه ، وكان معهم بعض قواد من كعب كانوا في جيش سيف الدولة ، وزحفوا على اعماله فقتلوا واليه على زعرايا ووالي قنسرين ، وانشغل سيف الدولة عنهم بوفود من طرسوس ومعهم رسول ملك الروم يطلبون منه الهدنة والغداة ، وتأخرت ايام مسيرهم ، مما زاد في طمع القبائل الثائرة فارسل سيف الدولة طليعة من طلائعه الى قنسرين ، ثم سار هو بعد ذلك الى قرية تسمى الراموسة على ميلين من حلب ، ثم توجه بعد ذلك الى بني كلاب فتلقاء شيخها طالبين منه قبول تسليمهم فقبل ، ووانضمت فرسانهم اليه وساروا معه الى سلميه حيث التقى بكعب ومن تجمع معها ، وتقاتلوا لبضع ساعات كانت نتيجتها النصر الموقر لسيف الدولة ، وفر آل المهنا ووجوه عقيل وقوادها فلحق بهم في تدمر ، وكانوا قد قصدوا طريق السماوة قبله ويمينا فلحق بهم وقتل واسر وحوى المال كما صفح عما ملكه من الحرم وقفل عائدا لما وجد هم يموتون من العطش ، وعاد سيف الدولة الى معسكره ظافرا واقام بتدمر يومين ثم توجه الى أرك فالسحنة ، فعرض ، فالرصافة فالرقة ، ثم قدمت اليه وفود نمير مستعيذة بعفوه فعفا عنهم ، وعاد بعد ذلك الى حلب حيث وصلها لست خلون من شهر ربيع الاول (١) . فقال ابو الطيب مادحا

مجرعوالينا ومجرى السوابق

تذكرت ما بين العذيب وسارق

وقال ابو الطيب كذلك يصف ايقاع سيف الدولة بهذه القبائل ، ولم يكن ابو الطيب مع سيف الدولة في هذه المعركة فشرحها له فقال مادحا (١) :

وطرك في ندى ووفى يحار	طوال قنا تطاعنها قصار
تظن كرامة وهي احتقار	وفيك اذا جنى الجاني أناء
بضبط لم تعود نزار	واخذ للحواضر والبوادى
وتنكره فيعروها نزار	تشمه شمم الوحش اناء

اما ابو فراس فكان احد قادة جيش سيف الدولة في هذه المعركة ، فقال في وصفها قصيدة بائية تعتبر سجلا صادقا لحوادثها . بدأ ابو فراس قصيدته هذه بالبكاء على الطلول ، جريا على عادة الشعراء القدامى ، ثم ذكر بعد ذلك انه بدأ يجتاز مرحلة الشباب بدليل الشيب الذي بدأ يلوح ، ولكن هذا الشيب ليس من كبر ولكنه من اصدقائه واحبابه فقال (٢) :

ونار ضلوعه الا التهابا	ابت عبراته الا انسكابا
اغب من الدموع لها سحابا	ومن حق الطلول علي الا
ولكني سألت فما أجابا	وما قصرت في تسأل رعبا
وودعت الغواية والشبابا	رأيت الشيب لاح فقلت : أهلا
رأيت من الاحبة ما أشابا	وما ان شبت من كبر ، ولكن
وصيرن الصدود لها ركابا	بعثن من الهمم الي ركابا

بعد هذه المقدمة اللطيفة ينتقل ابو فراس الى ناحية اخرى ، برزت جليلة في شعره أعني بها الفخر ، فهو يفخر بانه من عائلة الحمدانيين التي اذا ما قورنت ببقية الناس لكانت الرأس وكان الناس بالنسبة اليها ذنابا ، ويصف بعد ذلك بأس الامير سيف الدولة بل بأس الاسرة الحمدانية فيقول :

(١) كنار : النخب ص ٢٣٣

(٢) ابو فراس : الديوان ج ٢ ص ١٢ - ١٦

وامنعهم ، وامرعههم ، جنابا ؟	ألم ترنا اعز الناس جارا
حللنا النجد منه والهضابا	لنا الجبل المظل على نزار
ونوصف بالجميل ولا نحابى	تفضلنا الانام ولا نحاش
بأنا الرأس والناس الذنابى	وقد علمت ربيعة بل نزار
فتحنا بيننا للحرب بابا	فلما ان طغت سفها كعب
اذا شئنا منحناها الحرابا	منحناها الرغائب غير أنا

اما اذا ثار سيف الدولة فان الامراء الحمدانيين يثورون جميعا كالا سود اذا ما هيجت ، فالحمدانيون اسود وسيوف ورماح ، بل هم السهام تصل الى هدفها الذى تقصده :

كما هيجت آسادا غضابا	ولما ثار سيف الدين ثرنا
صوارمه اذا لاقى ضرابا	استنته اذا لاقى طعاننا
فكنا عند دعوته الجوابا	دعانا والاسنة مشرعنا
وغرس طاب غارسه فطابا	صنائع فاق صانعها فضاقت
مراميها فراميها اصابا	وكنا كالسهام اذا اصابت

هذه السهام كانت تنتقل من بلد الى اخر فهي تارة في الجبابة واخرى في معان

والصبيرة والقباب والبدية بل انها تقطع المواقع قطعاً :

ونكبن الصبيرة " و " القبابا "	قطعن الى " الجبابة " بنا " معانا "
يلاحظن السراب ولا سرايا	وجاوزن " البدية " صادييات
وجئن الى " سلمية " حين شابا	عبرن " بماسح " واللليل طفيل
دوين الشد تصطخب اصطخابا	فما شعروا بها الا ثباتنا
به الارواح الشد تصطخب اصطخابا	تناهبن الشاء بصبر يمام

ثم ينتقل بعد ذلك الى ذكر اجتماع بين عقيل والمهنا ولحاق سيف الدولة بهم الى تدمر

وسلوكلهم طريق السماوة ومحاربتهم فيقول :

تنادوا فانبرت من كل فج
وقاد "ندي بن جعفر" من "عقيل"
فما كانوا لنا الا أسارى
كان "ندي بن جعفر" قاد منهم
وشدوا رأيهم "ببني قريع"
ولما اشتدت الهيجا كنا
وأمنع جانبا واعز جارا
سقيناه بالرماح بني "قشير"
وسقناهم الى "الحيران" سوقا
ونكبتنا "الفرقلس" لم نرده
وملن عن "العوير" وسرن حتى
وامطرن "الجباة" بمرجحن
وجزن "الصحصحان" يخدن وخدا
سوابق ينتحبن لنا انتحابا
شعوبا قد أسلن به الشعابا
وما كانت لنا الا نهابا
هدايا لم يرغ عنها ثوابا
فخابوا - لا أبا لهم - وخابا
أشد مخالبا وأحد نابا
وأوفى ذمة وأقل عابا
بيبطن "الغنثر" السم المذابا
كما نستاق آبالا صعابا
كان بنا عن الماء اجتنابا
وردن عيون "تدمر" والجبابا
ولكن ، بالطعان المرصابا
ويجتبن الغلاة بنا اجتنابا

أما في السماوة فقد جرت المعركة الفاصلة بين سيف الدولة والثوار ، فقد سقط في
هذه المعركة عدد كبير من القتلى ، كانوا غداً للسباع والطيور الجوارح ، وقد نذبت النساء
هو ، لا القتلى وفي ذلك يقول :

قرينا "بالصماوة" من "عقيل"
و "بالصباح" و "الصباح" عبد
تركنا في بيوت بني "المهنا"
شفت فيها "بنو بكر" حقودا
سباع الارض والطيور السغابا
قتلنا من لبابهم اللبابا
نوادب ينتحبن بها انتحابا
وفادرت "الضباب" بها ضبابا

أما القبائل الباقية فكان نصيبها ، الابعاد والنفي لقسم منها ، والتقريب والصدقة لقسم

آخر فيقول :

وأبعدنا لسوء الفعل "كعبا"
 وشردنا الى "الجولان" "طيئا"
 سحاب ما أناخ على "عقيل"
 وأدنيننا لطاعتها "كلابا"
 وجنينا "سماوتها" جنابا
 وجر على جوارهم ذنابا

أما نمير فان الجيش لحق بها بقيادة سيف الدولة ، وكان الجيش يطيح سيف الدولة ويلبي

جميع اوامره . فقال :

وملنا بالخيول الى "نمير"
 أمام مشيح سمح بنفس
 وماضقت مذاهبه فلكن
 ويأمرنا فنكفيه الاعسادى
 تجاذ بنا اعنتها جذابا
 يعز على العشيبة ان يصابا
 يهاب من الحمية أن يهابا
 همام لو يشاء كفى ونابا

فلما رأَت نمير من قوة سيف الدولة ما رأَت وجدت أن توفد الوفود طالبة منه الصغ والعفو

فصغ وعفا :

فلما أيقنوا أن لا غياث
 وعاد الى الجميل لهم فعادوا
 أمر عليهم خوفا وأمننا
 أحلهم الجزيرة بعد ياس
 د يارهم انتزعناها اقتسارا
 ولو شئنا حميناها البوادى
 دعوه للمغوثه فاستجابا
 وقد مدوا لصارمه الرقابا
 أذاقهم به أريا وصابا
 أخو حلم اذا ملك العقابا
 وارضهم اغتصبتها اغتصابا
 كما تحمي اسود الغاب غابا

وينهي ابو فراس قصيدته هذه بالفخر بعائلته اولا وبنفسه ثانيا فيقول :

اذا ما أنفذ الامراء جيشا
 انا ابن الضاربين الهام قدما
 الى الاعداء انفذنا كتابا
 اذا كره المحامون الضرابا
 بأنى كنت اتقها شهابا
 ألم تعلم ؟ ومثلك قال حقا :

٢- الروميات :

ذكرت في مقدمة الرسالة ان نشوء الدولة الحمدانية ، وغيرها من الدويلات
 الاقليمية ، كان امرا محتوما ، وعزوت ذلك الى اسباب عدة من أهمها ، حماية
 الاطراف - اطراف الدولة العباسية - التي عرفت في التاريخ العربي باسم الثغور .
 ولا بد لي قبل الحديث عن الروميات (شعر الحرب بين سيف الدولة
 والروم) من استعراض وذكر الثغور ، او المراكز التي كانت تقع على الحدود ما بين
 الامبراطورية البيزنطية والدولة الحمدانية ، هذه الثغور هي : (١) طرسوس ()
 ازنه (أضنه) () ، المصيصة () ، عين زربه ()
 الكنيسة الهارونية ، بياس () ، ونقابلس () وهناك عواصم
 لهذه الثغور ، وسميت كذلك لأنها تعصم الثغر وتمده بالنجدة وقت الفير ، هذه
 العواصم هي : انطاكية () ، الجوقة () ، القورس ()

ويلي هذه الثغور وعن اليمين والى الجهة الشمالية الثغور المعروفة بالجزرية
 ومنها : مرعش () و ثغر الحدث () الذي كانت تليه زيطره
 () المشهورة ايام المعتصم ، والتي لما انقضى اليها بني مكنها
 وبالقرب منها عدة حصون هي : طبارجي ، الحسينية ، بني المؤمن ، بني رجوان ، ويلي
 هذه الحصون ثغر كيسوم () ثم حصن مفصور ثم ثغر سميساط ()
 و ثغر ملطيه () . وكان يقابل هذه الثغور جميعا في بلاد الروم ثغر خرشنة
 و عمل الخالدية . وعواصم الثغور الجزرية دلوك () و رعبان
 () و منج () .

(١) كتار : النخب ص ٦٠ - ٦٦

ويلي هذه الثغور أيضا وعن يمينها والوجهة الشمالية الثغور البكرية

وهي شَمِيَّاط () وحاني () وملكين () وحصون ()
منها جمع () وحووران والكلس ثم ثغر كَالِيَّال ()

وكان للدولة الحمدانية ثغور بحرية هي سواحل جند حمص - انظر طوس

بلنيس واللاذقية وجبله والهريرة •

ولا ريب في أن دراسة تاريخ الحمدانيين لا تكون وافية الا اذا رانقتها
دراسة للتاريخ البيزنطي في القرن العاشر الميلادي، ولعل مما يجدر ذكره ان المؤرخين
العرب لم ينفردوا في التاريخ لسيف الدولة بل شاركهم في ذلك المؤرخون البيزنطيون
في ذلك العصر، فقد وصف هؤلاء سيف الدولة وحروبه ورجاله وصفا دقيقا لا يقل عن
وصف مؤرخي العرب طرانة • وليس في المكتبة العربية كتاب وقفه صاحبه على سيف الدولة
كما فعل شلمبرجه الذي وقف كتابه المسمى " نقفور نوقاس الامبراطور البيزنطي في
القرن العاشر " وقرن فيه سيف الدولة بنقفور الروم وأبان بأن كلا منهما كان موازيا
للاخر في حروبه وجلاده ، وكان خصما عنيدا لا يفتأ يهدأ من التوب على عدوه حتى يعود
فيثور اشد ضراوة وأبعد فتكا • (١)

ويقول شلمبرجه : " ان اسم سيف الدولة العظيم يكاد يكون مذكورا في
كل صفحة من صفحات كتابي هذا المشهور " • (٢) ولقد أتانا سيف الدولة لنفسه ملكا في
شمالى سورية يضارع في نفسه وسلطانه ملك الخلافة بل لقد كانت الخلافة تسير نحو الهوة

(١) المحاسني ، زكي - شعر الحرب في أدب العرب - القاهرة سنة ١٩٤٧ ص ٢١٥

(٢) المصدر السابق - ص ٢١٦

السحيفة التي بدأت تتردى فيها منذ نزل المتوكل ، وكانت حلب عاصمة الأمارة ،
وفيهما قصر المسن بالحلبه ، وكان اذا عاد من الغزوات باقامة الحج المأدب فيه . (١)

وكان سيف الدولة يهوى أن يسمع شعراءه ، يتشدونه ما جادت به قرائحهم
وما أرحت به شياطين شعرهم ، وكان يحن اكثر ما يحن الى المتنبي الذي كان يسمعه شعرا يفيض
عذوبة وحرية لفظ في مديح المحارب الذي لا يهدأ . (٢)

ولقد كانت جيوش سيف الدولة مؤلفة من الشبان المتحسين المعجبين بجهاد
الأمير في سبيل العروبة والاسلام ، والذين كانوا يأتون من جميع انحاء العالم الاسلافي
كل ربيع ليلتحقوا بجيوشه التي كانت تضم كذلك فرقا من الفرسان اشهرها فرقة غلمان
سيف الدولة او حرسه الخاص ، تجمع الموالي الناشئين في حماه واكثرهم من الصبية
المأسورين في بلاد الروم او غيرها من ديار الحرب . وزيادة على ذلك فرق من العبيد
المأجورين وخاصة من مصر وبلاد الترك يلتحق بهم عدد من السودان والبربر مسلمين
وغير مسلمين . (٣)

ولم يكن ترتيب الفرق في جيش سيف الدولة ليقبل عن ترتيب فرق الجيش البيزنطي
نقد كان لها العيون والجواسيس والطلائع المتمرنة على السرعة والانتباه والحذر . (٤)

اما اسلحة العرب فكانت القوس والنشاب والحراب والرماح والسيوف والفؤوس
والعمد او المستوفيات ، وهي من الحديد الصريح البالغ طول الواحد منها الفراعسين ،

(١) المسن بالحلبه : شلمبرجه : نفقور فرقاس ص ١٢٤

(٢) المحاسني : شعر الحرب ص ٢١٧ ظ ٢١٨

(٣) البستاني : صحيفة البشير - العدد ٥٤٧٦ - ٣ - ٤ نيسان سنة ١٩٢٨

(٤) المصدر السابق .

وله مقبض مدور ، وكانوا يلبسون الخوذ والدروع التي كانت تغطي الصدر ، وقد تلحق بها قطع لتغطية السواعد والسيقان ، وكان للروم دروع طويلة يلبسونها ودروع طويلة للخيل تغطي اجسامها وبعض قوائمها وهي التي عناها المتنبئ حين قال :

أتوك يجرون الحديد كأنما سروا بجياد ما لهم قوائم
إذا برقوا لم تعرف البيض منهم ثيابهم من مثلها والعمائم

وفيما عدا الدروع فان اسلحة الجيشين كانت متشابهة ، وكان ثمة اختلاف في طرق نقل الذخائر ، فكان البيزنطيون ينقلونها في المركبات او على ظهور الجمال ، ولم يكن العرب يستعملون الأبواق في الحرب ، بل كانوا يقرعون الطبول الصغيرة قرعاً متقارباً متصلاً ، وكان هذا القرع المتصل يجعل خيول الروم اذا ما التقى الجيشان كما يقول الامبراطور لاون ، وكذلك القول عن الجمال بما عليها من الشرائط والشرابب المتدلية المختلفة الألوان التي كانت تسبب اضطراب خيول الروم اذا ما التقى الجيشان .

وهناك اختلاف في طريق الحصار واستعمال آلاته . فقد كان الجيش البيزنطي اكثر تقدماً فيها . كما كان الخيالة العرب أجراً في الهجوم وأسرع في الرجوع . وكان للبيزنطيين اكباش قوية . وهي آلات لهد الأسوار ومجانيق وهرارات للعرب مثلها الا ان مجانيق البيزنطيين كانت أقوى وأضخم يمكنهم بواسطتها ان يرموا صخوراً ضخمة على المحاصرين ، وكذلك كان الروم يستعملون النار اليونانية التي بقيت سرا خاصاً بهم لا يعرفه أحد غيرهم حتى القرن الثاني عشر .

وكان الجيش البيزنطي يتألف من الخزر والفرغان والمجريين والترك
والأرمن والصقلب أو السلافون والدلماسيون ثم المرمة الذين كانوا اشجع عساكر
الروم وأشرسهم . وكان الروس أشهر الخيالة ، فقد ذكرهم المتنبى مع الروم حين قال :
وكيف ترجى الروم والروس هدمها وذا الطعن لباس لها ودعائم

وكان هؤلاء الروس وثنيين يسكنون مناطق اسكندنافيا ويأتون الى بيزنطة
جماعات بحرا ، وكانوا أشداء ذوي بأس شديد وكان اباطرة الروم يعقدون اتفاقات مع
امرائهم تقضي بارسال عدد معين منهم الى بيزنطة سنويا حيث يدخلون الجيش بين
المرتزقة . وكان لكل من هذه الشعوب لسان خاص بهم وقال المتنبى فيهم :

خميس يشرق الأرض والغرب زحفه وفي اذن الجوزة منه زمازم
تجمع فيه كل لسن وأمة فما تفهم الحداث الا التراجم (١)

نشبت ابان حكم سيف الدولة الحمداني حروب عديدة مع الروم قسمها
الاستاذ فؤاد افرام البستاني الى حقب أربع كانت الحرب فيها سجالا بين الفريقين .
ويرى بعض المؤرخين ان انتشار الروم على العرب في عدد من المعارك لم يكن بسبب
ضعف العرب فحسب بل برز أثر تجدد قوة الروم الذين اتحدوا في ايمان واحد
بامجادهم الماضية واعادوا النظر في انظمتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية كما
اعادوا تنظيم الجيش وتكوينه ليأتي بالفائدة المطلوبة . (٢)

(١) المصدر السابق والمحاسني - شعر الحرب في أدب العرب ص ٢٢١ - ٢٢٥

(٢) رستم ناسد - الروم - بيروت سنة ج م ص ٢٠

الحقب التي يمكن ان تقسم اليها فترات الحروب ما بين سيف الدولة وسين

البيزنطيين (١)

الحقبة الأولى ٩٣٨ - ٩٤٤ م ٣٢٧ - ٣٢٣ هـ

سيف الدولة امير ديار بكر يحارب في شعور ارمينية والجزيرة

امبراطور الروم رومانوس الاول قائد جيوشه المستق قرقاس

الحرب سجل

الحقبة الثانية ٩٤٤ - ٩٥٤ م ٣٢٣ - ٣٤٣ هـ

سيف الدولة ملك حلب وعليه حماية الشعور الشامية والجزيرة

امبراطور الروم قسطنطين الرابع ، المستق بردس فوقاس يعاونه ابناه

• نقفور ولاون

انتصارات سيف الدولة باهرة

الحقبة الثالثة ٩٥٤ - ٩٦٠ م ٣٤٣ - ٣٤٩ هـ

بردس فوقاس يظل قائدا عاما ، ويعاونه لاون ونقفور ابناه ، امبراطور

الروم قسطنطين الرابع حتى سنة ٩٥٩ ثم رومانوس الثاني ٩٥٩ - ٩٦٣ •

تعود الحرب سجلا

(١) البستاني : المشير العدد ٥٥٦٠ ١٣ - ١٤ آذار سنة ١٩٣٨

حقبة استعدادية للانتصارات البيزنطية المتتالية

الحقبة الرابعة ٩٦٠ - ٩٦٧ م ٣٤٩ - ٣٥٧ هـ

- سيف الدولة يغالب اضطرابا داخليا في البلاد ويعاني من صحته .
- الدمستق لاون بن بردس أولا ثم نفقور اخوه ثم يوحنا أو يانس بن شمشيق .
- نفقور امبراطورا سنة ٩٦٣ . فتعود القيادة لابن شمشيق . سلسلة هزائم
- يتلقاها سيف الدولة بحزم وشجاعة - حلب تسقط في يد نفقور سنة ٩٦٢ .
- ابن شمشيق يتابع خطة نفقور فيهرق سيف الدولة حتى وفاته سنة ٩٦٧ .

الحقبة الاولى : ٩٣٨ - ٩٤٤ م ، ٣٢٧ - ٣٣٣ هـ

١- معارك حدود ديار بكر :

- كان سيف الدولة أميرا على ديار بكر ، فوجب عليه ان يحارب الروم على حدود ارمينية وعلى حدود الجزيرة ، وكان يقود البيزنطيين الدمستق ترقاس وامبراطور الروم رومانوس الاول .

كانت الحرب سجالا في هذه الفترة بين العرب والروم مع رجحان كفة الروم ، وقد انتصر سيف الدولة في بعض هذه المعارك فدخل حصن زيار سنة ٣٢٦ هـ ،

الا انه اضطر الى التراجع امام مئتي الف من عسكر الروم ولكنه ما لبث ان عاود الغزو
فانتصر على الروم وأخذ كرسي الدمستق وسيريه . ثم خرج سيف الدولة ٣٢٨
(١٢٩ - ١٤٠) من نصيبين غازيا فنزل منازل كرد ~~٤~~ يريد مدينة ~~فلق~~ فاليفلا ، وكان
الروم قد بنوا قريبا مدينة اسموها هفجيج ، ولما علم الروم بذلك احرقوا المدينة
التي بنوها ، وأخربوها ، وفي ذلك يقول الغامي (شاعر سيف الدولة آتشد) :

ونادي الهوى مستصرخا فأجبتة بقاليفلا ان انت بالخيل سهما
ولم تتشد ~~هههههههه~~ ايدى بناتها ابدتهم تحت السنابك رقما
لئن حنت عذرا^١ والبحر خدرها لقد وجدت فيها تكلولا وا يما

ولما هدم الروم المدينة وهربوا رجع سيف الدولة فأقام بأرزم حتى انحسر
الثلج فخرج الى خلاط غازيا ودخل بلد الروم بعد ان جاءه ملك ارمينية وخرزان فأحسن
اليه وخلع عليه وتسلم منه حصونا كانت ضررا على المسلمين ، ورداه الى بلده بعد ان
استحلفه على الطاعة ، كما وردت عليه كتب ملوك ارمينية وخرزان بالطاعة وحسن الانقياد .
ثم قصد بعد ذلك قلوبية وفتحها بعد ان احرق رساتيقها وسلبها ضياعها وحاول
الدمستق الايقاع به عند رجوعه الا ان الدائرة دارت على الروم فقتل منهم كثيرين . (١)
الا ان الفتن الداخلية بين القبائل العربية ادت الى عودته ، فتقدم الروم ودخلوا
جوار حلب (٢) كما دخلوا ديار بكر من جهة الشرق وفتحوا ارزم وحاصروا الرها

(١) كثار - النخب ص ٧١ - ٧٥

(٢) ابن الاثير - التاريخ ج ٨ ، ص ١٢٧

طالبين المنديل المطبوخة عليه صورة المسيح والذي قيل انه مسح وجهه به ، وكان اهل
الرها قد أخذوه من الكنيسة ، فاستعادوه من المسلمين بعد ان اطلقوا هتتين ممن
كان عندهم في الأسر وعقدوا هدنة دائمة وكان هذا في آب سنة ٣٣١ هـ (١)
(١٤٢ - ١٤٣ م)

وفي سنة ٣٣٣ هـ (١٤٤ - ١٤٥ م) اغار المستق على بغراس ومرعش
وقتل وأسر - بعد ان علم بانضغال سيف الدولة بحرب اعدائه - الا ان سيف الدولة
أسرع واستنفذ الأسرى والغنائم ، وأوقع بالمستق اتيح هزيمة ، كما بلغ سيف الدولة
ان مدينة للروم تهدم بعض سورها نافتن الفرصة وأناخ عليها وسبى وقتل . وفي
سنة ٣٣٥ هـ (١٤٦ - ١٤٧ م) جرى الفداء - تبادل الأسرى - وكان عدد من
نودي من المسلمين ٢٤٨٢ رجلا . (٢)

٢- معارك الشغور الجزرية

الحقبة الثانية - ١٤٤ - ١٥٤ م ٣٣٣ - ٣٤٣ هـ

كان سيف الدولة أميرا على حلبه وكان عليه ان يحمي كل الحدود الشامية
والجزرية وكانت قواعد المهمة حلب في سورية وآمد وصيا فارقين في ديار بكر ، وكان
دمستق الروم في هذه الحقبة فردس أوبرلداس بن الفعاس ()

(١) الانطاكي - يحيى بن سعيد - التاريخ ، نشرني ()

باعتنا كراتشكوفسكي وفازيليف ، باريس المجلد ١٨ سنة ١٩٢٤ ص ٧٣٠ - ٧٣٣ .

(٢) كثار - النخب ص ٨٢

وملك الروم قسطنطين الرابع . تميزت هذه الحقبة بانتصارات سيف الدولة المتتابعة ولعل أهمها فتح حصن برزويه شمالي اناميه سنة ٣٢٧ (١) ودخوله فيسارية قبادوقية وتوغله في بلاد الروم حتى سمندو (شمالي الطريق بين مرعش وقيساريه) وحتى خرشفه (شمالي سيواي) وقد مر بنهر آلس ونزل على صارخه - وهي على سبعة ايام من بيزنطية - فأحرق ضياعها وكنائسها واكثر التقتيل في أهدما وهزم الدمستق وأسر من بطارفته نحو ههانيين " وكانت غزوة مشهورة وغن المسلمون مالا يوصف وبنوا في الغزوات شهرا " على قول الذهبي ، وذلك سنة ٣٢٩ هـ أو سنة ٩٥٠ م . (٢) ولكن الدمستق لم يستسلم للخذلان فكمن لسيف الدولة في " مقطعة الأنفار " كما يقول شراح المتنبجي ويسميا غيره " عفة السير أو درب الكنكرون " فقطع الروم الأشجار ، وسدوا الطريق فقتل سيف الدولة من معه من أسرى الروم وتمكن من النجاة بصعوبة من القتل في نفر يسير من اصحابه ، واستباح الدمستق اكثر الجيش وأسر كثيرا من امرائه وقضاته ، وكان ذلك في سنة ٣٢٩ هـ (سنة ٩٥٠ م) (٣)

وكان المتنبجي مع سيف الدولة في هذه الغزوة فقال : (٤)

لهذا اليوم بعد غد أريج ونار في العدولها أجيح

وبعد هذه الهزيمة التي مني بها سيف الدولة قال المتنبجي محاولا تخفيف

(٥)

وقع ذلك في النفوس :

(١) الأتطافي ص ٧٦٧ - ٧٦٨

(٢) البستاني - البشير - عدد * * * ٥٤٦٠ - ١٢ - ١٤ اذار سنة ١٩٣٨

(٣) كتار - النخب - ص ٨٧ - ٨٩

(٤) المتنبجي - الديوان ص ٢٩٨ - ٢٩٩

(٥) المتنبجي - الديوان ص ٣٠١ - ٣٠٧

فهرى بأكثر هذا الناس ينخدع ان قاتلوا جنبوا أو حدثوا شجعوا

وما نجا من سفار البيض منفلت نجا ومنهن في احشائه فزرع

يباشر الأمن دهرًا وهو مختل ويشرب الخمر حولا وهو مفتقع

ثم ينتقل الى ذكر انتصار الروم وايقاعهم بالمسلمين فينسب الى هؤلاء

• الخيانة ، خيانة سيف الدولة فيجازيهم الله بالقتل

قل للمستعان المسلمين لكم خانوا الأمير فجازاهم الله بما صنعوا

وجدتموهم نياما في دماكم كان قتلكم اياهم فجمعوا

ويقول بعد ذلك ان كثيرا من المسلمين كانوا ينطرحون بين القتلى

• ويتظاهرون بالموت خوفا من ان يقتلهم الروم

لا تحسبوا من أسرتم كان ذارمق فليس يأكل الا الميت الضبيع

وينهيها بمدح سيف الدولة ويعزيه بأن له الانتصار في غزوة مقبلة :

الدهر معتذر ، والسيف مفتظر وأرضهم لك مصطاف ومرتبغ

ان السلاح جميع الناس تحمله وليس كل ذوات المخلب السبع

وفي السنة التالية أخذ سيف الدولة يجمع الجيش ويهدده ليتابع غزوه

الشعور وليبني ما تخرب من الحصون التي تهدمت غدا اما بسبب الحرب او بسبب الزلازل ،

ومن هذه حصن رعيان - التي خربتها الزلازل - وترك عليها ابن عمه ابا فراس خليفة

على البناء وعلى المدينة فأتم البناء في سبع وثلاثين يوما فقال احد شعرائه مادحا : (١)

(١) ياقوت : معجم البلدان - لبيزج سنة ١٨٦٦ - ١٨٢٥ - ج ٢ ص ٢١١

أرضيت ريك وابن عمك والفنا وبذلت نفسا لم تزل بذالها
ونزلت رعبانا بما أوليتها تثني عليك سهولها وجبالها

ثم بنى بعد ذلك قلعة ووعى بعد ان خربها الروم ، وقد اراد المستق
ان يفتح سيف الدولة من بنائها الا انه مني بالهزيمة . (١)

وفي سنة ٣٤٢ هـ ٩٥٣ م تارت القبائل في ديار مضر على سيف الدولة
وأشدها بنوعقيل وقشير وعجلان فاضطروا الى ترك الثغور لتأديب البدر ناحية
المشرق ، فعرف الروم بغيابه فتقدم المستق الى ناحية جيحان فسمع به سيف الدولة
فأسرع عابرا الفرات الى دلوك فالى قنطرة صبخه ، مغيرا على أرض ملطية والتقى بجيش
المستق على درب موزار فانتصر عليه وقتل كثيرا من الأرمن ، ثم رجع الى ملطية ، فعبر
نهر قباقيه ومر تحت حصن يعرف بالمنشار تجاه مصب قباقب من الفرات على الضفة الشمالية
من هذا النهر ، ثم عبر الى بطن هنزيط وهو سهل فسيح جنوبي شرقي خربوط ، ودخل
سمنين ونزل بعد ذلك بحصن الران ومنه انتقل الى سميساط ، وفيها لحقه الخبر بأن
الروم عادوا الى ثغور المسلمين ، ناحية دلوك فأدرك المستق راجعا على نهر
جيحان واشتبكا في معركة شديدة جرح فيها المستق برداس فوقاس في وجهه وأسر
ابنه قسطنطين - ثالث اولاده بعد نقفور ولاون - في ٢٦ تموز سنة ٩٥٣ م (٣٤٢ هـ) (٢)
وقد اتفق المؤرخون العرب والبيزنطيون على ذكر هذا الجرح . وكان المتنبى كعادته مع
سيف الدولة فقال مشيرا الى كل التطورات التي حصلت في هذه الغزوة : (٣)

ليالي بعد الظاعنين شكوك طوال وليل العاشقين طويل
يبني لي البدر الذي لا أريده ويخفين بدرا ما اليه سبيل

(١) ابن الشحنة كابو الفضل : الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب - بيروت سنة ١٩٥٩ ص ١٩١-١٩٢

(٢) كثار : النخب ص ٩٦ - ٩٩

(٣) المتنبى : الديوان ص ٣٤٧ - ٣٥٢

وينتقل المتنبي بعد ذلك الى ذكر محبوبته الممتنع الوصول اليها بسبب
المدافعين عنها ثم يصف طول الليل متمنيا رؤية حبيبته ، ويمضي بعد ذلك ليصف الخيل
على عادته في معظم قصائده الحربية ، وكيف ان هذه الخيول سهام لسرعتها وتنقلها
في كافة المعارك التي جرت ، فيقول في ذلك :

رمى الدرب بالجرد الجيار الى العدا وما علموا ان السهام خيول
شوائل تشوال العقارب بالفنا لها مرج من تحتها وصهيل
وما هي الا خطرة عرضت لسه "بحران" لعنتها فنا ونصول

فلما تجلى من دلوك وصبخة علت كل طود راية ورعيل

وأسمى السبايا ينتخبن بعركة كان جيوب الثاكلات زيول
ويذكر بعد ذلك ان الخيول انتقلت من عرقة الى موقع آخر هو موزار
حيث جرت معركة أخرى :

وعادت فظنوها بموزار قفلا وليس لها الا الدخول قفول

وكرت فمرت في دماء مطسية مطسية أم للبنين فكول
وفي بطن هنزيط وسمنين للظبا وصم القنا مما ابدن بديل

ووطن بحصن الران رزحى من الدجى وكل عزيز للامير ذليل

--

ودون سميساط المطامير والملا وأودية مجهولة وهجول
لبسن الدجى فيها الى ارض موعش وللروم خطب في البلاد جليل

وبعد ذكر هذه المواقع انتقل ابو الطيب الى مدح سيف الدولة وقال ان الرماح

والسيوف لا يمكن ان تصيبه او تنال منه ، ثم يصف بلاءه بالهلاكة بعد ذلك جود الامير
بأمواله وبخله بجيشه لا يلقي به الى التهلكة ، بل انه يقود هذا الجيش من نصر الى نصر :

فلما رآوه وحده دون جيشه دروا ان كل العالمين فضول
وان رماح الحظ عنه قصيرة وان حديد الهند عنه كليل
فأورد هم صدر الحصان وسيفه فتى بأسه مثل العطا جزيل
جواد على العلات بالمال كله ولكنه بالدارعين بخيل
فودع قتلاهم ومشيع فلهم بضرب خزون البيض فيه سهول

وينتهي بعد ذلك الى ذكر أسر قسطنطين بن المستق برداس واصابة

المستق في وجهه ، ويطلب من المستق العودة الى الحرب ، فيقول :

على قلب قسطنطين منه تعجب وان كان في ساقيه منه كبول
لعلك يوما يا مستق عائد فكم هارب مما اليه يؤول
نجوت باحدى مهجتك جريحة وخلفت احدى مهجتك تسيل

اتسلم للخطية ابنك هاربا	ويسكن في الدنيا اليك خليل
بوجهك ما اتساکه من مرشه	نصبرك منه رنة وعويل
اغركم طول الجيوش وعرضها	علي شروب للجيش اكرول
اذالم تكن لليث الا فريسة	غذاها ولم ينفعك أنك فيل
فان تكن الايام ابصرن صولة	فقد علم الايام كيف تصول
فدتك سيوفلم تسم مواضيا	فانك ماضي الثغرتين صقيل
اذ كان بعض الناس سيفا لدولة	ففي الناس بوقات لها وطهول

وقال ابو فراس في هذا النصر مشعرا الى أسرابن الدمستق واصابة الدمستق

بجرح في وجهه : (١)

وأب بقسطنطين وهو مكبل	تحف به بطاريق وزراز
وولى على الرسم الدمستق هاربا	وفي وجهه عذر من السيف عاذر
فدى نفسه باين عليه كفسه	وللشدة الصما تغنى الذخائر
وقد يقطع العضو النفيس لغيره	وتدفع بالأمر الكبير الكبائر

ووصف النامي هذا النصر بقوله : (٢)

وقد سار في الروم الدمستق باغيا	له ساعة تكرا في ثوب نكد
ولكن قسطنطين نحت صليبه	ومد القنا من فوق ارض ممتد
واسلم قسطنطين للأسر فردس	وولى وقد خدته فوها في الخد

(١) ابو فراس : الديوان ج ٢ ص ١١٨

(٢) كنار : النخب ص ١٠٥

ويقي هذا النصر مادة لفخر الشعراء ، فذكره المتنبي حين هنا سيف

الدولة بعيد الأضحى فقال : (١)

لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادة سيف الدولة الطعن في العدا

ويذكر المتنبي في نهاية القصيدة ان الدمستق برداس قد ترهب بعد هذه

الهزيمة التي أحقت به فيقول :

فلو كان ينجي من علي ترهب ترهبت الأملاك مشى وموحدا

وكل امرئ في الشرق والغرب بعدها يعد له ثوبا من الشعر اسودا

ويؤيد النامي ما أثبتته المتنبي في قصيدته عن ترهب الدمستق فيقول (٢) :

لكنه طلب بالترهب خيفة ممن له تتقاصر الأعمار

فمكان قائم سيفه عكازه ومكان ما يتفطق الزنار

على ان احدا من مؤرخي البيزنطيين لم يذكر أمر هذا الترهيب ، ولعل

برداس لجأ الى احد الأديرة اثنا هربه ، فعرف بالأمر احد الشعراء وولدت له

مخيلته هذا الأمر ، ذلك لأن برداس جرد حملة لقتال سيف الدولة ولا فاء امام قلعة

الحدث . (٣) اما قسطنطين ابنه فقد قضى في الأسر مدة حاول خلالها ابوه اقتداءه

فعرض على سيف الدولة ثمانمائة الف دينار وثلاثة آلاف أسيرا الا ان سيف الدولة رفض ذلك . (٤)

(١) المتنبي - الديوان - ص ٣٤٧ - ٣٥٢

(٢) البيهقي - البشيرة عدد ٥٤٧٦ - ٣ - ٤ نيسان سنة ١٩٣٨

(٣) البيهقي - البشيرة - العدد السابق

(٤) الطباخ ، راقب - اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء - حلب - سنة ١٩٢٣ ج ١ ص ٢٥٩

ويقول ابن العديم انه في سنة ٣٤٦ هـ ٩٥٧ م أخبر سيف الدولة
 بأن الروم يكتبون بعض غلمانهم لتسليم سيف الدولة لهم ، وخرج سيف الدولة الى
 حلب ، وأعلم بعض الفراضيين ابن كيغليخ بما عقد عليه الغلمان من أمر ، فأعلم سيف
 الدولة الذي جمع الأعراب والديلم وطلب منهم الايقاع بغلمانهم متى أعلمهم بذلك
 فأوقعوا بهم ، وعاد الى حلب وقتل اربعمائة أسير كانوا بها ، وضيق على ابن الدمستق
 وزاد في قيده ، ونقله الى حجرة معه في داره . (١) وذكر الطباخ عن ابن شداد
 صاحب الأغلاق الخطيرة " ان الدمستق سير الى عكار نصراني بحلب وأمره بأن
 يسقي ولده سما ففعل . (٢) ويجمع المؤرخون العرب على ان سيف الدولة كان يكرم
 ابن الدمستق . وفيهما يكن من أمر فانه لما مات اعطى سيف الدولة جثته لنصارى
 حلب الذين دفنوها في احدى كنائسهم باحتفال لائق ، وكتب سيف الدولة الى
 الدمستق معزيا . (٣)

٣ - معركة الحدث

اما آخر انتصار في هذه الحقبة فهو انتصار قلعة الحدث الذي أشاد

بذكرة شعراء سيف الدولة ، ومن بعدهم مؤرخو العصر الحمداني .

(١) ابن العديم - زبدة الحلب - ج ١ ص ١٢٧

(٢) الطباخ - المصدر السابق ج ١ ص ٢٥٩

(٣) البستاني - المصدر السابق .

كان الروم قد استولوا على قلعة الحدث التي استسلمت لهم بالآمان سنة ٣٣٧ هـ ، الا انهم دمروها فاستعادها سيف الدولة وأراد ترميمها فسار اليها بجيش كبير مؤلف من عسكر نظامي من مسلمي بلاده . أتى سيف الدولة الحدث بجيشه هذا سنة ٣٤٣ - ١٥٤ م وحفر أساس القلعة بيده ونازله المستق وكانت معركة شديدة امتدت من أول النهار الى العصر مال النصر فيها الى جانب البيزنطيين مدة ، الا ان سيف الدولة وقلعته - وهددهم خمسة - حملوا على قلب جيش الروم فانهمز المستق تاركا وراءه ثلاثة آلاف قتيل غير الأسرى الذين كانوا من كبار القادة ، وكان من جملة هؤلاء صهره توديس الأعور أو ثيودوسيوس بطريق سمند ولفند وراينه (اي ابن توديس) اما نففور بن فوفاس فقد اختفى ، وما ان أرخص الليل بأجنحة ظلامه حتى لحق بأبيه . فتم سيف الدولة الكثير من هذه المعركة وظل في المدينة حتى انتهاء البناء . (١) فقال السرى الرضا في ذلك : (٢)

رفعت بالحدث الحصن الذي خفضت	منه الحوادث حتى نزل جانبه
اعدته عدديا في مناسبه	من بعدما كان روميا مناسبه
فقد وفي عرضه بالبيد واعترضت	طولا على منكب الشعري مناكبه
صنع الى الجوا علاه فان خففت	زهر الكواكب خلناها تخاطبه
كان ابراجه من كل ناحية	ابراجها والدجن وهف غيا هبه

(١) كنفار - النخب ص ١٠٦ - ١٠٨

(٢) الثعالبي - يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٥

وقال المتنبي يمدح سيف الدولة ~~ويصف~~ ويذكر بنا قلعة الحدث (١)

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

مدح المتنبي سيف الدولة بهذه القصيدة ويقول ان العزائم انما تكون

على قدر اصحاب العزم ، وقد تظلمت في عظم الصغائر في عين الصغير وتصغر الكبار في

عين الكبير ، وسيف الدولة يكلف جيشه الامور العظيمة لان في طاقته فعل أي شيء :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم	وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عيني الصغير صغارها	وتصغر في عيني العظم العظام
يكلف سيف الدولة الجيش همه	وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم
ويطلب عند الناس ما عند نفسه	وذلك ما لا تدعيه الضرام
يفدى اثم الطير عمرا سلاحه	نسر الملا احدائها والقشام
وما ضرها خلق بخير مخالب	وقد خلقت اسيافه والقواثم

ثم يصف قلعة الحدث ، ويقول ، ترى اتعلم هذه القلعة لونها وتدرى
من أي شيء ارتوت ، أمن السحاب أم من الدم ، ولقد بنى سيف الدولة القلعة
فجعل البناء عاليا لا يتأثر بالعدد الكثير من القتلى الذين قتلوا على جوانبها .

هل الحدث الحمراء تعرف لونها وتعلم أي الساقيين اللعائم
سقتها الغمام الغر قبل نزوله فلما دنا منها سقتها الجمائم

بناها فأعلى والقنا تفرع القنا
 وكان بها مثل الجنون فأصبحت
 رموح المنايا حولها متلاطم
 ومن جثث القتلى عليها تمائم
 طريدة دهر ساقها فرد دتها
 على الدين بالحظى والدهر راغم

ثم يعود بعد ذلك الى مدح سيف الدولة فيقول ان الليالي اذا اخذت منك
 شيئا اعادته اليك ، اما انت فانك تأخذ منها ولا تعطيه شيئا ، وكيف ترجوا الروم
 هدم هذه القلعة واساسها الطعن ودعاتها الضرب :

تفيت الليالي كل شيء اخذته
 اذا كان ما تنويه فعلا مضارعا
 وهن لما يأخذن منك غوارم
 مضى قبل ان تلقى عليه الجوارم
 وكيف ترجى الروم والروس هدمها
 وذا الطعن أساس لهم ودعائم
 وقد حاكموها والمنايا حواكم
 فما مات مظلوم ولا عاش ظالم

وينتقل المتعجبى بعد ذلك الى وصف جيش الروم ووصف الأسلحة التي

يستعملونها :

أتوك يجرون الحديد كأنما
 اذا برقوا لم تعرف البيض منهم
 سرورا بجياد ما لهم قوائم
 ثيابهم من مثلها والعمائم
 خميس يشرق الأرض والغرب زحفه
 وفي اذن الجوزة منه زما زم
 تجمع فيه كل لسن وأمة
 فما تفهم الحداث الا التراجم
 فلم يبق الا صارم أو ضبارم
 فله وقت نوب الغش ناره
 وفر من الأبطال من لا يصادم
 تقطع ما لا يقطع الدرع والقنا

ويتغنى المتنبي بشجاعة أميره سيف الدولة ويخاطبه قائلاً انك كمت واقفا في
 محل لا شك في ان يموت فيه أى انسان غيرك ولم تكن تبال بشيء فكانت الأبطال تمر
 بك جريحة مهزومة ووجهك يضحك لما ترى حتى ان البعض كان يظنك عالماً بالغيب
 وبأنك عالم بأنه لن يصحيبك مكروه في هذا الموقف الذى تقف . ويصف بعد ذلك
 حال الجيش البيزنطي عند تعرضه لهجوم سيف الدولة فيقول :

وقفت وما في الموت شك لواقف	كانك في جفن الردى وهو قائم
تمر بك الأبطال كلهم هزيمة	ووجهك وضاح وشغرك باسم
تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى	الى قول قوم انت بالغيب عالم
ضمت جناحيهم على القلب ضمة	تموت الخواني تحتها والقواد م
بضرب أتى الهامات والنصر غائب	وصار الى اللبان والنصر قادم
حقرت الردى نيات حتى ^{طهرتها}	وحتى كان السيف للرمح شاتم
ومن طلب الفتح الجليل فانما	مفاتيحه البيض الخفاف الصوام

ثم يصف بعد ذلك حال البيزنطيين وقد منوا بالهزيمة ، فالقتلى مبعثرون
 في الأرض وكأنهم الدراهم وقد نشرت على العروس ، ولم يكتف سيف الدولة بذلك بل
 انه لحق بالروم حتى اعالي الجبال حيث تكثر اوكار الجوارح ، وقد كفاها مؤنتها
 بما قتل في ديارها ، أما الخيل فكانت العتبان تظن انها امهاتها لشدة سرعتها :

ونشرتهم فوق الأحياد ^{كذلك} شوارف	كما نشرت فوق العروس الدراهم
تدوس بك الخيل الوكور على الذرى	وقد كثرت حول الوكور المطاعم

تظن فراخ الفتح أنك زرتها
 إذا زلقت مشيتها ببطونها
 بأصاتها وهي العتاق الصلادم
 كما تتعش في الصعيد الأرقم

وينتقل بعد ذلك الى وصف حال الدمستق وقد منى بالهزيمة ، فيقول ان قفا
 الدمستق لام وجهه لأن الوجه كان السبب فيما اصابه من الضرب ، وقد ظل الدمستق
 يفكر سيف الدولة حتى اکتوى بناره مع ان الحيوانات باتت تعرف رائحته ، واجتمعت
 الأحداث عليه ففجعته بابنه وابن صهره وصهره واخذ بعد ذلك يشكر اصحابه لأنهم
 بتعرضهم لسيف الدولة مكنوه من الفرار والابقاء على حياته ، ولكنهم دفعوا
 حياتهم ثمنا لحياته .

أني كل يوم ذا الدمستق مقدم ففاه على الاقدام للوجه لاسم
 أينكر ربح الليث حتى يذوقه وقد عرفت ربح الليث البهائم
 وقد فجعته بابنه وابن صهره وبالصهر حملات الأمير الغواشم
 مضى يشكر الأصحاب في فوته الظبي بما شغلته هامهم والمعاصم
 وينهم صوت المشرفية فيهم على ان اصوات السيوف اعاجم
 يسر بما اعطاك لا عن جهالة ولكن مغنوما نجا منك فانم

ثم ينهي المتنبي قصيدته هذه بمدح سيف الدولة متغنيا بمجده وكرمه

فيقول 3

ولست مليكا هازما لنظيره
 تشرف عدنان به لا ربيعه
 لكلك التوحيد للشرك هازم
 وتفتخر الدنيا به لا العواصم

لك الحمد في الدر الذي لي لفظه فانك معطيه واني ناظم
 واني لتعد وبي عطاياك في الوفي فلا أنا مذمم ولا أنت نادم
 على كل طيار اليها برجله اذا وقعت في سمعيه الغمام
 الا ايها السيف الذي ليس مفعدا ولا فيه مرتابولا منك عاصم
 هنيئا لضرب الهام والمجد والعلو وراجيك والاسلام انك سالم
 ولم لا يقي الرحمن حدك ما وقى وتغليقه هام العدا بك دائم

الحقبة الثالثة : ١٥٤ - ١٦٥ م ٢٤٢ - ٢٤٩ هـ

في هذه الحقبة كان قسطنطين السابع امبراطورا على الروم ، وظل المستق
 نفسه وهو برداس بن الفعاس يعاونه ابناه لاون وثقفور . بدأ الروم يستعدون للانتقام
 بعد تلك الهزيمة النكراء التي منوا بها في قلعة الحدشه فأعادوا حصار القلعة لست خلون
 من جمادى الاولى سنة ٢٤٤ هـ (١٥٥ م) فهب سيف الدولة خائفا على القلعة حتى
 اذا ما وصل اليها خرج اهلها المحاصرون وجعلوا الروم في الوسط بينهم وبين سيف
 الدولة وكانت الكرة على الروم (١) ، فقال المتنبى : (٢)

وأي المعالي فليعلون من تعالي هكذا هكذا والا فلا لا

ويشير في هذه القصيدة الى تراجع قسم من جيش الروم عند قدوم سيف

الدولة فيقول :

(١) كآخر كتاب - النخب - ص ١١٢ - ١١٣

(٢) المتنبى - الديوان ص ٤٠٣ - ٤٠٧

من القتال الذي كفاك القتلا	ما مضوا لم يقاتلوك ولكن
ب يكتفيك قطع الأمتا لا	والذي قطع الرقاب من الضر
يندبون الأعمام والأخو لا	تزلوا في مصارع عرفوها
م وتذرى عليهم الأوصا لا	تحمل الريح بينهم شعرها
وتريه لكل عضو مشا لا	تفذر الجسم أن يقيم لديها
قبل ان يبصروا الرماح خيا لا	ابصروا الطعن في القلوب راکا
ش فهل يبعث الجيوش نوالا	ما يشك اللعين في اخذك الجيد
ض ومرجاه أن يصيد الهلا لا	ما لمن ينصب الحبال في الأثر
دب والنهر مخلطا مزيا لا	ان دون النى على الدرب والأثر
فبناها في وجنة الدهر خالا	فصب الدهر والملوك عليها
وتثنى على الزمان دلا لا	فهني تمشي مشي العروس اختيا لا

٤- معركة الدرب

وقد جرت هذا الانتصار سيف الدولة على متابعة غزواته في بلاد الروم ،
فغشى حتى قطع نهر ارسناس على اطراف وسفن حملها معه ثم اتاخ على تل بطريق
على الشاطئ الغربي وفيه القائد يانس بن الشمشيق فأخلى المدينة ، فأحرقها
سيف الدولة وقتل من الروم نحو اربعة آلاف وغنم الكثير . وكمن ابن الشمشيق مع
برداس على الدرب اثنا رجوع سيف الدولة الا ان النصر كان حليف سيف الدولة ايضا

فعاد الى آمد سنة ١٥٦ م ٣٤٥ هـ . غير ان لاون بن المستق سار بشردمة
على دلوك والتقى بأبي العشائر الحمداني فاقتتلا وأسر ابوالعشائر وحمل الى
بيزنطة حيث مات . (١) وكان المتنبى مع سيف الدولة في هذه الغزوة فنظم نونيته (٢)

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني

ولقد فضل المتنبى الرأى على شجاعة الشجعان ، وبين أن الشجاعة
ناقصة اذا لم يعنها الرأى والله والعقل ، الذى لولاه لما كان هنالك من فضل للانسان
على الحيوان ، ولولاه لما فضل انسان آخر :

الرأى قبل شجاعة الشجعان	هو أول وهي المحل الثاني
نازا هما اجتماعا لنفس حرة	بلغت من العلية كل مكان
ولربما طعن الفنى اقراسه	بالرأى قبل تطاعن الاقران
لولا العقول لكان ادنى ضيغم	ادنى الى شرف من الانسان

وينتقل بعد ذلك الى مدح الامير سيف الدولة ، انه لولاه لما افادت السيوف
شيئا في هذه المعركة ، ويصف بعد ذلك المعركة التي خاضها الجيش ، ويصف مسير سيف
الدولة للا في هذا الجيش فيقول :

لولا سعي سيوفه ومضاه
لما سللن لكن كالأجفان

(١) الانطaki - التاريخ ص ٧٧٢ × ٧٧٤

(٢) المتنبى : الديوان ص ٤١٢ - ٤١٦

في ججفل ستر العيون غباره فكأنما يبصرن بالأدبان
يرمي بها البلد البعيد مظفر كل البعيد له قريب دان

ويذكر المتنبي في هذه القصيدة ان انتصار الامير في هذه المعركة ليس الا

انتصارا للاسلام واذلال لجميع الفئات والاديان ، فقال :

خضعت لمنصك المناصل عنوة وازل دينك سائر الاديان

ولقد اطاعت المنايا سيف الدولة في تقتيل العدو وفتناثرت رؤوس القتل وتطايرت

شعورهم فملاّت اغصان الأشجار .

ومهدب أمر المنايا فيهم فأطعنه في طاعة الرحمن

قد سودت شجر الجبال شعورهم فكان فيه مسفة الغربان

ويتهي المتنبي قصيدته هذه بمدح سيف الدولة والاشادة بالمجد السخي

وصله العرب على يديه فأصبح مفخرة لهم لما اتصف به من شجاعة عكر وكرم :

رفعت بك العرب العماد وصيرت فم العلوك موافد غلا النيران

أنساب فخرهم اليك وانما انساب اصلهم الي عهنا ن

يا من يقتل من لؤد أراد بسيفه أصبحت من قتلاك بالاحسان

ناذا رأيك حار د وتك ناظري واذا مدحتك حار فيك لسانني

وفي هذه الحقبة اغار الروم على ميانارقين فأحرقوا قراها ونهبوها وسلبوا
 اهلها وعادوا فالحين . (١) ثم التقى سيف الدولة بامير الشمشيق وكان لا يزال
 بطريقا فكسره وشتت جيشه وكان ذلك سنة ٣٤٥ هـ ٩٥٦ م ، وفي ذلك أنشد
 المتنبي سيف الدولة آخر قصائده في حلب ، (٢) وفيها يذكر ان ابن الشمشيق أقسم
 عند ملكه بأن يغلب سيف الدولة ، الا انه لا يوجد أى اشارة لهذا القسم في
 آثار المؤرخين . (٣)

قال المتنبي :

عقبى اليمين على عقبى الرقى ندم ما ذا يزيدك في اقدامك القسم
 وفي اليمين على ما أنت واعدته ما دل انك في الميعاد مدهم
 آل الفنى ابن شمشيق فاحضته فنى من الضرب تنسى عنده الكلم
 د كل السيوف اذا طال الضراب بها يسميها غير سيف الدولة السأم

القت اليك دما الروم طاعتها فلو دعوت بلا ضرب أجاب د م
 يسابق القتل فيهم كل حادثة فما يصيبهم موت ولا هرم

(١) ابن الاثير - التاريخ ج ٨ ص ١٧١ - ١٧٢

(٢) المتنبي - الديوان ص ٤١٧ - ٤٢٢

(٣) البستاني : صحيفة البشير العدد ٥٥٢٥ - ٥ - ٦ حزيران سنة ١٩٣٨

لا تطلبين كريما بعد رؤيته
ولا تبال بشعر بعد شاعره
ان الكرام بأسخاهم يدا ختموا
قد افسد القول حتى احمد الصم

وفي حكاية حزيران سنة ٢٤٦ هـ ٩٥٧ م دخل المستنق حصن الحدث
فجلا أهله الى حلب فأحرق الحصن . وفي سنة ٩٥٨ م ٣٤٧ هـ سار ابن الشمشيق
ومعه البراكموس ففتحا سميساط في أقل من يوم وحاصرا رعيان فتقدم سيف الدولة
بمعسكره ولكن النصر لم يكن حليفه في هذه المرة فانهزم وأسر من جماعته عدد كبير
وذلك في شعبان سنة ٣٤٧ هـ ٩٥٨ م (١)

كان لهذه الانتصارات التي أحرزها الروم وقع شديد في مختلف الديار الاسلامية
ودليل ذلك خطبة ابن نباته الفارسي الجهادية التي القاها في جامع ميفارقين . وثار
بعض المصريين على نصارى مصر فكسروا ابواب كنيسة ميخائيل الملكية ونهبوا ما فيها وكذلك
فعلوا بكنيسة ابي قيس التابعة لليعاقبة . (٢) واهتم كافر بهذا الأمر وأراد ارسال النجدة
لولا ان بعض السفن انقلبت فغرق من كان فيها من المقاتلين . (٣)

ويبدو ان هذه الانتصارات كانت مقدمة لسلسلة اعقيتها ، وانتهت بدخول الروم
حلب ، وتوقيع معاهدة شديدة النصوص ، اختطفت يد المنون سيف الدولة قبل توقيعها
بعامين . (٤)

(١) الأنطاكي : ص

(٢) الأنطاكي : التاريخ ص ٧٧٩ - ٧٨٠ * * *

(٣) كتار - النخب - ص ٢٨١

(٤) البستاني - البشير - العدد السابق

وفي سنة ٣٥٠ هـ ١٦١ م ورد نقفور فوقاس عين زربة بمائة وستين ألفا فأخذ في نهب الأسوار ، وما ان رأى الأهالي ذلك حتى طلبوا منه الأمان وفتحوا له باب المدينة ، ونادى بأن يخرج جميع أهل البلد الى المسجد الجامع ، وهوود بقتل من يتأخر في بيته . وفي الصباح انفذ رجاله وكانوا ستين ألفا وأمرهم بقتل من بقي في بيته . فقتل عالم كبير من الرجال والنساء والأطفال ، وجمعوا من السلاح أربعين الف رمح وقطعوا خمسين الف نخلة وطلب الدمستق ممن اجتمعوا في المسجد مغادرة البلدة قبل المساء فقتل من التذاع على ابواب المدينة جمع كبير ، وأخذ الدمستق ما خلفه الناس من اموال ومتاع وبقي في الديار الاسلامية واحدا وعشرين يوما فتح فيها عين زربة وأربعة وخمسين حظا حولها ، منها ما فتحه بالسيف ومنها ما فتحه بالآقان . وفي احدى هذه الحصون التي فتحها بالآقان تعرض الأرمن للنساء اللواتي خرجن منه ، فلحق رجالهن فيرة عليهن فجردوا سيوفهم ، فاغتاز الدمستق منهم وأمر بقتل الجميع وكانوا اربعةماية رجل ، وقتل النساء والصبيان ولم يترك الا كل جارية حدثه ومن يصلح ان يسترق ، ولما اراد العودة بسبب الصوم خرج ابن الزيات صاحب طرسوس في اربعة آلاف رجل فأوقع به الدمستق وقتل جميع من كان معه ، وكان ابن الزيات قد قطع الخطبة لسيف الدولة . ولما اصابهم هذا الوهن اعاد أهل البلدة الخطبة لسيف الدولة وراسلوه بذلك . (١) ولما علم ابن الزيات بذلك خرج الى

(١) ابن الاثير - التاريخ - ج ٨ ص ١٢٨

داره روشن وكانت على شاطئ النهر وانتحر فرقا . (١)

وفي سنة ٢٥١ هـ ٩٦٢ م فتح الروم حصن دلك وثلاثة حصون مجاورة له بالسيف ، وفي جمادى الآخرة من هذه السنة اعاد سيف الدولة بناء عين زربة ، وسير صاحبه في جيش مع أهل طرسوس الى بلاد الروم ففتحوا وقتلوا وسبوا وعادوا نقصد الروم حصن سبيبة فملكوه . كما سار نجا غلام سيف الدولة في جيش الى حصن زياد فلقبه جمع من الروم فهزمهم ، وأسنا منه منهم خمسمائة رجل . وفي شوال من نفس السنة أسرت الروم ابا فراس الحارث بن سعيد من مبيج وكان متقلدا لها . (٢)

هـ غزو حلب

يذكر كنفار نغلا عن الذهبي في كتابه " تاريخ الاسلام " عن واقعة حلب من تاريخ علي ابن محمد الشمشاطي (ابو الحسن الشمشاطي كاتب سيف الدولة) ان الروم أقبلت وخرجت من الدروب فخف سيف الدولة لملاقاتهم ومعه أربعة آلاف رجل الا انه وجد ان لا طاقة له بهم لوفرة عددهم ، فعاد الى ظاهر حلب ليقاتلهم هناك . ثم أتى سيف الدولة خبر ان الروم مالوا نحو العمق فجهز غلامه نجا ولحق به بعد الظهر وفي الطريق اعلمه بعض العرب ان الروم لم يدخلوا جبرين وانهم مصبحون في حلب فخرج اليها وفتح خزائن السلاح للجميع ، وأقبل العدو فكانت معركة استمرت الى العصر حيث وصلت امدادات للروم فأهبطوا بسيف الدولة فحمل عليهم الا انه سرعان ما لوى رأس فرسه

(١) ابن الأثير مسكوية - تجارب الأمم ج ٢ ص ١٩٠ - ١٩١

(٢) ابن الأثير - التاريخ ج ٨ ص ١٢٩ - ١٨٠

قاصدا بالس ، فانكأ اصحابه وانهزموا لما غادرهم وازدحموا في ابواب حلب وتعلق
 قسم منهم السور بالحبال • وقتل من كبار الحمدانيين في هذه المعركة ابوطالب
 بن داوود بن حمدان وابنه وداوود بن علي وأسر الفياض كاتب سيف الدولة •

ثم لما كان الغد طلب الروم شيخين يتفاوضون معهما فخرج اليهم شيخان
 وقال لهما منتصر حاجب المستق اني اردت ان احقق دماءكم فتخيروا اما ان تشيروا
 البلد او تخرجوا عنه بأهلكم ، فاستأذن الشيخان لمشاورة الناس • ولما كان الغد أتى
 الحاجب وقال : لتخرج الينا عشرة منكم لنعرف ما عمل عليه اهل البلد ، فخرج العشرة
 وطلبوا الأمان وتدخل الروم • فقال المستق : صح ما بلغني عنكم ؟ قالوا : ما هو ؟
 قال : بلغني انكم قد اتممت مقاتلتكم بالازفة مختفين ، فاذا خرج الحرم والصبيان ودخل
 اصحابي للنهب اغتالوهم • فقالوا : ليس في البلد من يقاتل ، قال : فاحلفوا لي ، فحلفوا
 له • وقد أراد الحاجب بهذا ان يعرف صورة البلد ، فتقدم بجيوشه الى قبالة السور
 فلجأ الناس الى القلعة ونصب الروم السلال على باب اربعين وباب اليهود وصعدوا
 فلم يروا مقاتلة فنزلوا البلد ووضعوا السيف وفتحوا الأبواب ، وقضى الأمر وعم القتل
 والسبي والحريق ، واستمر هذا ستة ايام • ثم زحف المستق وابن شمشيق على القلعة
 ودام القتال الى الظهر ، فقتل ابن الشمشيق ونحو مائة وخمسين من الروم فعاد المستق
 الى معسكره ونودي : من كان معه أسير فليقتله فقتلوا خلفا كثيرا ثم عاد الى القلعة فاذا
 طلائع قد اقبلت من كفسرين وكانت نجدة للروم توهم المستق انها نجدة لسيف الدولة
 فرحل خائفا . (١)

ويزيد ابن مسكويه في كتابه "تجارب الأمم" على ذلك ان المستق قد
استولوا على قصر سيف الدولة قبل استيلائه على حلب فوجد من الورق ٣٩٠ برودة
و ١٤٠٠ بغلا كما وجد من السلاح ما لا يحصى ، أخذها جميعا وأحرق الدار والروض
وقاتل اهل حلب من وراء السور فقتل عدد من الروم بالحجارة ، وفتحت ثلثة بالسور طمع
الروم في الدخول منها ، الا ان اهل البلد تدافعوا لحمايتها ولما جن الليل بنوها
وهم يهللون ويكبرون . على ان الامور لم يمض كذلك اذ ان رجال شرطة حلب ذهبوا الى
منازل الناس وخانات التجار فنهبوها ، وقيل للناس : الحقوا بمنازلكم فانها قد نهبت
فنزلوا عن السور واخلوها ومضوا الى منازلهم مبادرين ليهام افقوا عنها ، فانتهز الروم
هذه الفرصة وصعدوا السور واشرفوا على البلد ثم نزلوا وفتحوا الابواب وقتلوا كل من
لقيمهم ، ولم يتوقفوا عن القتل الا حين ملوا وضجروا ، وكان في البلد من الروم ١٢٠٠ اسير
سرعان ما تخلصوا من اسرهم وبدأوا يساعدون الفاتحين ، فضمهم المستق الى جيشه ،
وسبى في هذه الغزوة بضعة عشر الف صبي وصبية ، وأخذ ونهب ما لا يوصف كثرة ومالا
يحصى عددا ، فلما لم يبق شيء يحمل عليه احرق الباقي بالنار وصب الماء في الحجاب
الملاى بالزيت ففاض على وجه الارض كما اخرج المساجد واقام في حلب تسعة ايام
توجه ابن اخت الملك بعدها لفتح القلعة الا انه لم يظفر بما تمنى فقتل على باب القلعة ،
فأمر المستق بقتل جميع اسرى المسلمين ، وقادر حلب بعد ان قال لأهلها : هذا
البلد قد صار لنا فلا تقصروا في العمارة فاننا بعد قليل نعود اليكم . (١)

ويورد كনার عن مخطوط لابن ظافر يصف فيه احتلال الروم لقصر سسيف الدولة فيقول : " ملك الروم دارسيف الدولة بظاهر حلب وذرعا ستة آلاف ذراع واخذ له منها ما لا يحصى من الاموال ، شرح ذلك بـ ٣٠٠ بدره ، ١٠٠٠ عيين و ٢٠٠ ورق و ٣٠٠ حمل من البز الفاخر ومن الديباج الفاخر ما كان ادخره من عهد رومانوس ٥٠ حملا من اواني الذهب ، والفضة ما لا يحصى ، ومن الخيل ٣٠٠ رأس ومن السلاح والمناطق والتجانيف والسيوف مائة حمل ، ومن الجمال نحو ٢٠٠٠ حمل كما نقل سقوف الدار معه لأنها كانت مذهبية " . (١)

ضعفت قوة سيف الدولة بعد هذه الغزوة بينما قويت شوكة الروم ، ففي سنة ٣٥٢ عبرت الروم القرات لقصد الجزيرة واغلق اهل الموصل الأسواق واجتمعوا في المسجد الجامع لذلك ، ومضوا الى ناصر الدولة فضمن لهم الغزوة . كما اغلقت الرعية اسواق بغداد وذهبوا الى دار الخليفة ومكث كتاب يشرح مصيبة حلب ، فأخذ الحاجب الكتاب الى الخليفة فقرأه ثم خرج اليهم وعرفهم ان الخليفة قد بكى وانه يقول : قد غمني ما جرى وانتم تعلمون ان سفي معز الدولة وأنا ارسله الى هذا . فقالوا : لا نفتح الا بخروجك انت وان تكتب الى سائر الاقاق وتجمع الجيوش والا فانعزل لنولي غيرك . فغاضه كلامهم ثم وجه الى دار معز الدولة فركب هذا ومعه الأتراك وصرف الجموع صرفا فبيحا . ثم جاءت الأخبار بعد ذلك بموت طاغية الروم (رومانوس الثاني ملك الروم) (٢) وانهم مختلفون في تسمية الخلف ، فطمع عسكر طرسوس ، فدخلوا ارض الروم في عدد وافر وافخر وأغاروا عليهم

(١) كنار حـ النخب ص ١٥٤

(٢) بيجر بينز - نورمان - الامبراطورية البيزنطية - ترجمة حسين مؤنس ومحمود زايد -

عليهم وعادوا بغنائم كثيرة ، واذ هم في طريق العودة لاقوا ابن الملائتي فاقتتلوا
وفصر المسلمون . (١)

كذلك بلغ سيف الدولة ما وقع فيه الروم من نزاع واختلاف فأغار وأحرق
وحصل من السبي اكثر من الفين ، ومن المواشي مائة الف رأس ، ثم بعد شهر او شهرين
توجه سيف الدولة غازيا فسار على حران وعطف على مطية وسبى وفنم الكنسير
ثم خرج بعد ذلك الى آمد . (٢)

وفي سنة ٣٥٣ هـ ٩٦٤ م ورد الخراساني لنجدة سيف الدولة في غزو
بلاد الروم . وفي هذه الاثناء كان الدمستق قد هاجم المصيصة ، ولم يظفر بها ،
وقد تلقت البلدة مساعدة من اهد اذنه وطرسوس ، فانقم الدمستق من هذين البلدين
بحرقهما ، وقبدا انصراف الدمستق عن المصيصة وجه الياهلها ؛ اني منصرف عنكم ، لا لعجز
عنكم وعن فتح مد يديتكم ، ولكن لضيق العلوقة ، وانا عائد اليكم بعد هذا الوقت ، فمن اراد
منكم الانتقال الى بلد آخر قبل رجوعي فلينتقل ، ومن وجدته بعد عودتي فقتله . (٣)

وفي هذه السنة ايضا هاجم الروم طرسوس وكاد يؤسرني هذه المعركة الدمستق
ابن الشمشيق وقد انتشر الوباء بين الروم فمات منهم كثير فاضطروا الى الرحيل . (٤)

(١) ابن مسكويه - تجارب الامم ج ٢ ص ٢٠١

(٢) كنفار - النخب - ص ١٦٥ - ١٦٦

(٣) ابن مسكويه : تجارب الامم ج ٢ ص ٢٠١

(٤) ابن الاثير - التاريخ ج ٨ ص ١٨٢

وفي سنة ٣٥٤ هـ ٩٦٥ م ورد الخبر ان نقفور بنى بقيساريه مدينة ، وهي
تقرب من بلاد الاسلام وان اهل المصيصة واهل طرسوس ارسلوا اليه ان يقبل منهم
اتاة يؤدونها اليه وان يبعث لهم بواحد من طرفه ليقم بينهم ، ثم علم نقفور ان اهل
هذه البلدان قد ضعفوا جدا ، فأرسل نقفور احد قواده ففتح المصيصة وأعمل فيها القتل
والسلب والاسر ، فأسر من اهلها من بقي في المدينة وكان عددهم نحو مائتي الف
نسمة ، ثم سار الى طرسوس ففتحها صلحا ، وأكرم اهلها وأمرهم بالانتقال عنها وسمح
لهم بحمل ما يطيقونه من مال وسلاح ، فساروا وسير معهم ثلاثة من بطارقتهم حتى وصلوا
انطاكية ، وجعل المسجد الجامع بطرسوس اصطبلا لذوابه ، وقلد البلد بطريقا من بطارقتهم
في ٥٠٠٠ رجل ، وقد عمر طرسوس وجلب اليها الميرة من كل جهة فصار الخبز رطلين
بدانق ، فدخل اهلها في طاعة الملك وتنصر بعضهم . وقد هدف الملك من كلي ذلك ان
يجعلها حصنا له ومعقلا يقرب عليه ما يريد من بلاد الاسلام . (١)

وفي سنة ٣٥٥ هـ ٩٦٦ م جرى تبادل الأسرى ففدى محمد بن ناصر الدولة
وأبوفراس وغيرهما من آل حمدان والقاضي ابو الهيثم بن أبي الحصين وزهير وقطاس
وغيرهم . اما ابو العشائر فقد مات في الأسر ، ودفع سيف الدولة بجميع أسرى الروم ،
وبقي من المسلمين ٣٠٠٠ أسير انتداهم سيف الدولة بمبلغ ٢٤٠ الف دينار رومي . (٢)

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ ص ٢١٠ - ٢١٢

(٢) الأنطاكي - التاريخ ص ٨٠٣ - ٨٠٤

ويذكر التنوخي في كتابه " نشوار المحاضرة " عن البيهقي ان سيف الدولة دفع خمسمائة الف دينار في فداء الاسرى ووصلهم في سبيل تحسين احوالهم كل ذلك من ماله الخاص . وكان ذلك خاتم اعماله الحسنة وافعاله الشريفة التي تجاوز الوصف وتفوق العد ، ولما تم له ذلك طلب الى كتابه طالبا منهم الكتابة والاعلام بتعام الفداء . (١)

اثنا عرضي لوقائع الحروب التي جرت بين سيف الدولة والحمداني من جانب الروم مجتمعين من جانب آخر ، استشهدت بمقطوعات شعرية كانت في معظمها من نظم المتنبي . وكانت هذه المقطوعات في الواقع حقائق او سجلات تاريخية ، لما تضمنته من ذكر للمعارك ووصف للغزوات . ولقد اورد صاحب اليتيمة نبذا او مقطوعات اختارها لبعض الشعراء الذين ذكروا او سجلوا وصفا للمعارك دون ان يذكر المناسبة او المناسبات التي قيلت فيها . ولقد بذلت جهدي كي أحقق زمن هذه المقطوعات او المعارك التي قيلت بمناسبة ولكنني لم أوفق الى ذلك . ولعل من الفائدة ، بل لعله يكون جكا جزا متعما في هذا العمل الدراسي اختيار بعض ما قاله هؤلاء الشعراء حتى نحكم بالنهاية على جودة شعرهم وذلك بمقارنة هذا الشعر بشعر المتنبي .

قال السري الرفاء من قصيدة في مدح سيف الدولة يذكر بعض
غزوات الأمير : (٢)

(١) التنوخي - نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ج ١ ص ٢٥١

(٢) النعالي : يفتح يتيمة الدهر - ج ٢ ص ١٢١

طلعت على الديار وهم نبات
فما ابقيت الا مخطفات
وأعدت السيوف وهم حصيد
حماها الخصر منها والنهود

وكرر هذا المعنى في قوله : (١)

أفنت ظباك الروم حتى كأنها
لم تبق الا ظبية أوربما

وله من قصيدة أخرى قوله : (٢)

ولرب يوم لا تزال جياته
معقودة غرر الجياد بفقعه
تظأ الوشيح مخضبا ومحطما
وحجولها مما تخوض من الدما
يلفك من وضح الحديد موضحا
أفدمت تفترس الفوارس جراءة
والندب من لقي الأسننة سافرا
طورا ومن رهج السنابك ادهما
فيه وقد هاب الردى أن يقدم
وثني الأعنة بالعجاج ملثما

واختار صاحب الوفيات للسرى هذه الأبيات : (٣)

تركتهم بين مصبوغ ترائبه
فحائد وشهاب الرمح لاحقه
من الدما ومخضوب ذوائبه
وينتحيه بمثل البرق غالبه
يهورى اليه بمثل النجم طاعنه
يكسوه من دمه ثوبا ويسلبه
وهارب وذباب السيف طالبه
ثيابه فهو كاسيه وسالبه

(١) الشعالي : يتيمة الدهر - ج ٢ ص ١٢١

(٢) السرى الرنة - الديوان ص ٢٣٩

(٣) ابن خلكان - وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٠٤ - ديوان السرى ص ١٧

ووصف أبو العباس النامي مسير سيف الدولة بجيشه لعلاقة الروم في

أحدى قصائده التي يمدح فيها الأمير الحمداني ، فقال : (١)

نحن أبناء ذاك الهوى تسكن الآن مفس منا إلى الضنا والزفير
نال منا يوم الفراق كما نال من الناكثين سيف الأمير
في خميس للنصرفيه لسوا عقده من لوائه المفسور
رجله كالدبار وفرسانه كالأسد سد بأساه وخيله كالصقور
وسجاياك يا أبا الحسن الغر رواتعاهن شكر الشكور
لوفدا الدهر صانحا لي عن الحظ وأعلن من جد حال عنور
لتعطرت من غبار مذاكيك رواحيه وكان عطري بكوري
ثم صيرت من دما أعاديك خلوقي وكان منه ظهوري
ولقيت المنون تحت عواليك معدا ذخرا ليوم نشوري
سر على السعد تستظل من الأيا م ظلي سلامة وحبور
بين فرضين من جهاد وشهر انت في الناس مثله في الشهر
سمع النصرفيه أمرك لما خاطبته الأقدار بالتأمير
انتم دارة العلا يا بني حمدان ، سكان بيتها المعمور
وتسيرون في القنا فتري الآجال مرتابة بذاك المسهر
في شوس من الحديد عليها انجم يفترون فوق بدور
وعجاج كأنه من دخان النمد يلقه الهوا بالتعطير

عبق من علاكم فكان الأزر ض مسك والجور من كانوا
فتحيو بمد حتى فهي ريحا نة تبقى بقاء الدهور

ولا بن نباته السعدى في ذم الروم والأشرى منهم قوله : (١)

قد كنت تأسرهم بالسيف منصلتا فصرت تأسرهم بالخوف والوهل
من يزرع الضرب يحصد طاعة عجبا ومن يربي العلاء يأمن من الثكل
كانت سحابتك فيهم كل بارقة حمرا تهطل بالأيدي على القل
قال يوم سحبتك فيهم كل بارقة غرا تهطل بالأموال والحلل
حتى تمنى ملك الروم حظهم ورواه معهم في الأشرم ينزل

وضمن البيهقي إحدى رسائله عددا من الأبيات وصف فيها سيف الدولة

بأنه حامي الدين فقال : (٢)

كأنما أذخر الرحمن معظمة دون الملوك لسيف الدولة البطل
رأه أكرمهم في الخيل أن ذكروا وصفا وأفضلهم في القول والعمل
فهزه وظبا الأسياف مغمدة واستله غير منسوب إلى القل
حتى غدا الدين من بعد العبورية جؤلان يرفل من نعماء في حلل
فلو تكلم في حال وقيل له من خبر هذا الوري لم يسم غير علي

(١) النعالي - يتيمة الدهر ج ٢ ص ٢٨٨

(٢) النعالي - يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٤٦

هذا هو حال شعر الحرب عند بعض الشعراء الذين أقاموا في بلاط سيف الدولة ، وأعتقد ان هذه المختارات التي قدمتها تمثل شعرهم تمثيلا صادقا ، واذنا ما أردنا مقارنة هذه المختارات بما أوردت للمتنبى في هذا الفصل لتبين لنا اتساع الهوة والفرق بين أسلوب المتنبى وبين أساليب هؤلاء الشعراء ، فالمتنبى عندما يصف الحرب فانما ينقلك معه الى جوار المعركة ، فتحس وأنت تقرأ شعره بأنك انتقلت معه لتعيش في هذا الجو الحربي ، بعكس اصحاب هذه المختارات ، والمتنبى عندما ينظم القصيدة فانه يجعلها كالبيان المرصوص ، ولا تستطيع وأنت تقرأها الا وان تؤخذ بوجدتها ، فلا حشولا تزيد بل اختيار لطيف لألفاظ سهلة ، وزيادة على ذلك فان أبا الطيب عندما يصف الحرب فانه يصف جميع مقوماتها ، فيصف السلاح والجنود والجيش والخيال بينما لا يفجد مثل ذلك في شعر غيره ، واننا نبخسه حقه وقيمه عندما نقارن شعره بشعر هؤلاء .

اما ابوفراس فقد اشترك مع سيف الدولة في حروبه ضد الروم ، وكان قائدا من قواده الحربيين ، ولكننا للأسف لا نستطيع ان نلحق شعره بالمعارك الحربية التي جرت بين سيف الدولة والروم لا لشيء الا لأنها لا تتضمن اشارات الى تلك المعارك .
قال ابوفراس : (١)

لما برزنا لله مستق مرة	ورأى بوادر خيلنا كالأسهم
طلب النجاة بنفسه فتحكمت	في جيشه الأسياف اي تحكم
ما كان بعض قلوبنا في جسمه	فيكون اثبت في هضاب يلطم
لولا الجواد الأدهم الناجي به	اضحت قوائم رجله في الأدهم

وقال في وصف سيف الدولة وهو يرانب العدو ومهزما : (١)

أشده ما أراه فيك أم كرم	تجود بالنفس والأرواح تصطم ؟
يا باذل النفس والأموال مبتسما	أما يهولك موت ولا عدم ؟
لقد ظننتك بين الجحفلين ترى	أن السلامة من وقع القنا تصم
شدت لك الله لا تسمح بنفس على	حياة صاحبها تحيا بها أم
إذا لقيت رقاد البيض مفردا	تحت العجاج فلم تستكثر الخدم
تفدى بنفسك أقواما صنعتموها	وكان حقهم أن يفتدوك هم
من ذا يقاتل من تلقى القتال به	وليس يفضل عنك الخيل والبهم
تضن بالطعن عنا ضن ذي بخل	وملك في كل حال يعرف الكرم
لا تبخلن على قوم إذا قتلوا	أثنى عليك بنو الهيجا دونهم
البست ما لبسوا أركبت ما ركبوا	عرفت ما عرفوا علمت ما علموا
هم الضوارس في أيديهم أسل	فإن رأوك فأسد والقنا أجم

ولما أتى رسول ملك الروم يطلب الهدنة ، أمر سيف الدولة بالركوب بال سلاح

فركب من داره ألف غلام مملوك بالف درع مذهب على ألف فرس عتيق ، وركب الناس
والقواد على طبقاتهم - وكان فيهم ابوفراس - حتى طبق الجيش جبل جوشن وما
حوله فقال ابوفراس في ذلك : (٢)

(١) ابوفراس - الديوان ج ٣ ص ٢٥٧ - ٢٥٨

(٢) الأمين - ابوفراس الحداني ص ٩٩ - الديوان ج ٢ ص ٦٥ - ٦٦

أثبت عند مشتجر الرماح	علونا جوشنا بأشد منه
ظفنت البربحرا من سلاح	بجيش جاش بالفرسيان حتى
تخاطبنا بأفواه الرياح	والسنة من الغمديات حمر
قليل الصفح ما بين الصفاح	وأروع جيشه ليل بهيم
وهيئته جناحا للعباح للجنح	فكان ثباته للقلب قلبا

ولعل أجمل اشعار ابي فراس اسريانه التي قالها حين وقع أسيرا في ايدى الروم ، ولقد أسرا ابو فراس مرتين ، الأولى بمغارة الكحل سنة ٣٤٨ هـ ٩٥٦ م وما تعدى به الروم خرشنه ، ويقال في هذا الاسرانه ركب فرسه وأركضه برجله فأهوى به من أعلى الحصن الى الفرات (١) وفي ذلك يقول : (٢)

ان زرت خرشنة أسيرا	فلقد حلت بها مغيرا
ولقد رأيت النار تنـ	تهب المنازل والقصورا
ولقد رأيت السبي يجـ	لب نحونا حوا وحورا
من كان مثلي لم يبت	الا أسيرا أو أميرا
ليست تحل سراتنا	الا الصدور أو القبورا

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٥٠

(٢) ابو فراس : الديوان - ج ٢ ص ٢٠٨

أما المرة الثانية التي أسرف فيها فكانت في مبيح سنة ٣٥١ هـ ٩٦٢ م وكان
واليا عليها ، وحمله الروم الى القسطنطينية حيث اقام أربع سنوات نظم خلالها كثيرا
من الشعر معظمه في عتاب سيف الدولة والحنين الى أمه . (١)

بعث الى سيف الدولة معاتباً فقال : (٢)

دعوتك للجفن القريح المسهد لدى ، وللنوم القليل المشرد
فيا ملبسي النعمى التي جل قدرها لقد اخلقت تلك الثياب فجدد
الم تراني فيك صاقت حداها وفيك شرير الموت غير مفرد

وكتب الى امه صهيجة وقد ثقل من الجراح التي ألمت به (٣)

مصابي جليل والعزاء جميل وظني بان الله سوف يدبل
جراح تحامها الاساة مخافة وسقمان باد منهما وه خيل

وصرنا نرى ان القطارك محسن وان خليلا لا يضير وصول
تصفحت احوال الزمان فلم يكن الى غير شاك للزمان وصول

وكتب الى سيف الدولة من قصيدة : (٤)

(١) ابن خلكان - وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٥٠

(٢) ابو فراس : الديوان - ج ٢ ص ٧٥ - ٨١

(٣) لغز - - - ج ٢ ص ٣١٢ - ٣١٦

(٤) - - - ج ٣ ص ٣٢٢

يا فارح الكرب العظيم م وكاشف الخطب الجليل
 كن يا قوى لذا الضعيف م ويا عزيز لذا الدليل

ويستمر ابو فراس في أسره يحن الى بلده الذي آواه ، وابن عمه الذي رياه
 وعاش في حماه ، واصدقائه ، وأمه الرؤوم ، فينظم في هذا الحنين والشوق شعرا رقيقا
 صادقا يصف فيه ما يعانیه من ألم الوحدة والفراق ، فراق اهله وذويه ، ولعل فراق أمه
 وشوقها اليه كانا اشد مضاضة على نفسه من أي ألم آخر وهو يقول في ذلك : (١)

لؤلؤ

لولا العجوز بمنبج	ما خفت اسباب المنية
ولكان لي عن سأل	ت من الغدى نفس أبية
لكن اردت مرادها	ولو ان جذبت الى الدنية
أمت بمنبج حرة	بالحزن من بعدى حرية
فيها التقى والدين مج	محاك في نفس ذكوية
لا زال يطرق منبجا	في كل غادية تحية
يا أمنا لا تحزني	وثقي بفضل الله فيه
يا أمنا لا تياسي	لله الطاف خفيه
أوصيك بالصبر الجميل	فانه خير الوصيه

(١) ابو فراس : الديوان ج ٣ ص ٤٣٣ - ٤٣٥

ويروى ان أمه كانت تخرج الى طريق القوافل ~~المطوية~~ المارة بمنبج فتسأل
عنه الركبان ، ثم لما أعيها ذلك خرجت الى حلب ودخلت على سيف الدولة سائلة
اياها فداء ابنها وهي ترضع اليه وتشكو ، (١) وظاهر من قوله :

لكن أردت مرادها ولو انجذبت الى الدينه

أقول ، ظاهر من قوله هذا ، ان أمه هي التي ألحت عليه في طلب الفداء من
سيف الدولة .

قال ابو فراس وقد سمع حماة تنوح بقربه على شجرة عالية فبثها الشكوى
وناجاها بقوله : (٢)

أقول وقد ناحت بقربي حماة	ايا جارتى هل تشعرين بحالسي
معاذ الهوى ما ذقت طارقة الهوى	ولا خطرت منك الهموم ببالي
اتحمل محزون الفؤاد قوادم	على فغن نائي المسافة عالي
ايا جارتى ما انصف الدهر بيننا	تعالى أفاصك الهموم تعالي
تعالى ترى روحا لدى ضعيفة	تردد في جسم يعذب بالسي
ايضحك ما سور وتبكي طليقة	ويستك محزون ويتغذب سالي
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة	ولكن دمعى في الحوادث فالي

(١) المحاسني - شعر الحربي أدب العرب - ص ٢٦٢

(٢) ابو فراس - الديوان - ج ٣ ص ٣٢٥

وكتب ابو فراس الى سيف الدولة : مفاداتي ان تعذرت عليك فأذن لي
في مكاتبة اهلي خراسان ومراسلتهم ليفادوني وينوبوا عنك في أمري . فأجابه سيف
الدولة بكلام حسن (كذا بالأصل ولعل الأصح خشن) وقال له : ومن يعرفك
بخراسان ؟ فبعث اليه أبو فراس : (١)

الام الجفاء وفيم الغضب ؟	أسيف الهدى وقريح العرب
تنكبيني مع هذى النكب ؟	وما بال كتبك قد اصبحت
وانت العظوف وان انت الحدب	وانت الكرم وان انت الحلیم
وتنزلني بالمكان الخصب	وما زلت تسعدني بالجميل
لي يل لقومك هبل للعرب	وانك للجبل المشمخر م

علاى فقد عرفتها حلب	وان خراسان ان انكسرت
أمن نقص جد ؟ أمن نقص أب ؟	ومن أين ينكرني الأبعدون
وبيني وبينك عرق النسب ؟	أست وایاك من أسرة

وأحفظ ابو فراس الدمستق في مناظرة جرت بينهما ، قال له الدمستق :
انا انتم كتاب ولا تعرفون الحرب ، فقال له ابو فراس : نحن نطأ ارضك منذ ستين سنة
بالسيوف ، أم بالأقلام ؟ ثم قال : (٢)

(١) ابو فراس : الديوان ج ٢ ص ٢٥ - ٢٧ × اليتيمة ج ١ ص ٧١ - ٧٢

(٢) ابو فراس : الديوان ج ٢ ص ٣٦ - ٣٨ - اليتيمة ج ١ ص ٨١ - ٨٢

اتزعم يا ضخم اللغاديد اننا ونحن اسود الحرب لا نعرف الحربا

يا

والواقع ان ابا نراس استعان في هذه الفصيدة بلهجة التنديد ، فهو

يخاطب الدمستق مذكرا اياه بالوقائع والحروب الماضية التي جرت بين العرب

والروم ، ومعيدا الى ذاكرة الدمستق بعض نتائج هذه المعارك ، ومخاطبته له

لا تخلو من التهم ، فهو يبدأ الفصيدة بلهجة الساخر لكرامته فيقول :

اتزعم يا ضخم اللغاديد اننا ونحن اسود الحرب لا نعرف الحربا

فويلك ! من للحرب ان لم تكن لها ومن ذا الذي يضحى ويمسي لها تريا ؟

ومن ذا يكف الجيش من جنياته ومن ذا يقود العيون او يصدم القلبيا ؟

ويذكر الدمستق ببعض الحوادث التي اصابته عائلته مباشرة فقتل اخوه ، وأصيب
وجه والده ببعض الجراح ، ويدعو للدمستق بالويل لعدم تذكيره وثاق ابن اخته ، واركانه
هو نفسه للهرب من وجه الجيش العربي ، فاذا كان الدمستق قد نسي ذلك فليسأل بعض
اقاربه وليسأل اهل بعض المدن المجاورة للعرب ، فيقول :

وويلك ! من أردى اخاك بمرعش وجلل ضريا وجه والدك العضبيا ؟

وويلك ! من خلوا ابن اختك موثقا وخلاك باللقان تبندر الشعبيا ؟

اتوعدنا بالحرب حتى كأننا واياك لم يعصب بها قلبنا عصبيا

لقد جمعتنا الحرب من قبل هذه فكنا بها أسدا وكنت بهلك كلبيا

وسل برد ، سل عنا اباك وصهره وسل أهل برد اليس اعظمهم خطبا ؟

وسل فرقانا والشمفق صهره وسل سبطه البطريق اثبتهم قلبا ؟

وسل صيدكم آل الملايين ، اننا تهيبنا ببيض الهند عرضهم نهيبا ؟

وسل اهل بصرام واهل بلنطس وسل آل شنوان الخناجرة الغلبا ؟
وسل بالبطر صيس العساكر كلها وسل بالمسيطرناطس الروم والعربا ؟

يقول ابو فراس فليسأل هو "لا" ألم تكفهم سيوفنا قتلا ، أكتنا نقتلهم بالسيوف

أم بالأقلام ، واذ اشئت ان تفاخرنا بالضراب والطعان فلا شك ^{الله} في انك كاذب .

الم تكفهم قتلا ونهبنا سيوفنا وأسد الشرى العلاءى وان جمدت رعبا ؟
بأقلامنا اجحرت أم بسيوفنا ؟ وأسد الشرى قدنا اليك أم الكتبا ؟
تفاخرنا بالضرب والطعن والقنا لقد اوسعتك النفس يا ابن استها كذبا
عن الله اوفانا - اذا قال - ذمة وأنفذنا طعنا وأثبتنا ضربا

ولست أرى سببا للاحاح ابي فراس على سيف الدولة بالفداء ، ولقد كان هذا
الفداء نقطة ينقذ منها الحاسدون والكائدون الذين كانوا يؤثرون بقاءه في الأسر ، فأخذ
بعض المؤرخين يزعم ان سيف الدولة جاني ابن عمه وقعد عن فدائه ، وفات هو "لا" ان يعرفوا
الحالة السياسية والاجتماعية التي كان عليها سيف الدولة آنذاك ، فحلب مهدمة ورجال سيف
الدولة منفقون عنه ، وماله الذى كان في قصر الحلبه منهوبه وقلمانه زيادة على ذلك
ينهبون به . هذه العوامل هي التي أخرجت فدا الفداء سيف الدولة لأبي فراس وغيره
من اعزاء سيف الدولة ، ففي الأسر زيادة على أبي فراس ابوالعشائر (وكان قد توفي في الأسر)
ومحمد بن ناصر الدولة ، وابوالهيثم بن ابي الحصين الرقي قاضي حلب . (١) وما أن
توفرت سبل الفداء لسيف الدولة وكان ذلك سنة ٢٥٥ حتى سارع الى ذلك ودفع من ماله
الخاص الشيء الكثير . (٢)

(١) المحاسني : شعر الحرب في أدب العرب ص ٢٦٨ - ٢٦٩

(٢) فصلت ذلك في الصفحات السابقة

على كل فان تأخير الفداء ان أفادنا بشي فانا افادنا واتحفنا بهذه الاشعار
 الرقيقة التي نظمها ابو فراس في أسره . هذا الشعر الرقيق العذب يقول عنه الاستاذ
 آدم متر : * ولست ارى في القصائد ، التي قالها في سجنه ببلاد الروم ، الا انها نثر
 مسجوعة واذا وجدنا من يباليغ في امتداحها من المؤلفين كالمصاحب والشعالي فهذا برهان
 جديد على ضعف الفارق بين الكاتب والشاعر * . (١)

ان الاستاذ متر لا يكتفي هنا بانتقاد شعراي فراس ، بل انه يجرح رأى
 شخصيتين من الشخصيات الأدبية الهامة التي عاشت في القرن الرابع الهجري . ترى ما هي
 الثقافة النقدية التي تخول الاستاذ متر ان يقول مثل هذا القول عن شعراي فراس ؟ ان النقد
 ونقد الشعر العربي - بصورة خاصة - يجب ان يكون وفقا على الناطقين بالضاد وحدهم ،
 لانهم اعلم بدقائق لغتهم من غيرهم من الأجانب - مع احترامنا لهؤلاء الاساتذة .
 فهم قد اداء خدمات جليلة للتراث العربي لا يمكن انكارها - وزيادة على ذلك فان العربي
 عندما يسمع مثل هذا الشعر تهتز اوداجه طربا ويميل نشوة ويتيه فخرا .

ولا بد لي ، وقد انتهيت من هذا العرض لحالة شعر الحرب في بلاط سيف
 الدولة من ان أقف وفتن ، أولاها واقفة مقارنة بين شعر المتنبي في حروب سيف الدولة
 ضد القبائل العربية وشعره في حروب سيف الدولة ضد الروم . فلقد كان أمرا جديرا
 بالاهتمام ان نلاحظ ان المتنبي في شعره عن حرب القبائل لجأ الى اسلوب الساسة في
 ايامه ، فهو قد اقتفى اثر معاوية الذي لم يقطع الشعرة ، فهو يطالب سيف الدولة بزجر

(١) متر : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ج ١ ص ٢٨١

القبائل ويطلبه بعد ذلك بالرافة والعنف والتسامح مستثيرا في سيف الدولة عاطفته العربية ، وهو على نقيض ذلك في شعره في الروميات ان تحس وانت تقرا روميته بأنه موصور لما حدث بل انه يطلب من سيف الدولة أخذ الروم بالشدة والعنف . كذلك تحس وانت تقرا شعره في حرب القبائل العربية انه يبرز لنا سيف الدولة بالتسامح العاني عن الظالمين ، الراد على نساء العرب حريتهن لأنهن حرمة بينما تحس وانت تقرا روميته بأنه اظهر سيف الدولة بمعظمه القائد الذي لا يلبس كأنه الحديد ، والحاكم الذي يأخذ أعداءه بشدة لاهوادة فيها ، يسبي من النساء ما شاء لأن ذلك حق من حقوق الحرب في ذلك العصر .

اما الوقفة الثانية التي لا مفر منها فهي ابراز الخصائص المميزة للروميات . ولقد كانت الروميات سجلا تاريخيا صادقا للحروب التي جرت بين الأمير الحمداني وملك الروم فالمتنبي في قصائده مؤرخ صادق يذكر لنا الحقائق التي يعلمها عن الجيوش والأسلحة والمعدات التي كانت خاصة بالروم ، فالجيش مؤلف من خليط عجيب من الناس لا يمكن التفاهم فيما بينهم الا بالترجمين ، والسلاح والمعدات أمر غريب لم يكن يتعطله العرب في حروبهم . وتميزت الروميات كذلك بالوصف الواقعي الدقيق حتى انك تنتقل الى وسط المعركة اثنا قراءتك لها ، فتركب الخيل مع من ركب وتنتقل معهم اينما انتقلوا ، وتضرب كيفما ضربوا ، وقد يبرز في هذا الأمر ابو فراس وابو الطيب . حتى ارتفعت قصائد الأخير الى درجة الملاحم . كذلك ابرز لنا شعر الحرب ضد الروم أن العرب على الأقل كانوا يعتبرون هذه الحروب حروبا تقوم بين الاسلام من جهة والشرك من جهة ثانية ، وخلقوا لنا من سيف الدولة زعيما اسلاميا رفعه الاسلام في رفعة واتقصاراته ،

وأكد أقول ان هذه الأشعار جعلت من هذه الحروب نقطة الانطلاق للحروب الصليبية . وأخيرا أقول ان هذه الأشعار أكدت بل شددت على اظهار سيف الدولة قائدا ومحاربا لا تلين له قناة ، شجاع حتى تكاد شجاعته تودي به الى الموت .

هذا هو شعر الحرب في بلاط سيف الدولة ، رفع لواءه شاعران عربيان قال الاستاذ بلاشير عن شعر أحدهما : " ان قصائد المتنبي الحربية ترتفع الى جلال وعظمة الملاحم ، وهو جلال وهي عظمة ، لا مثيل لهما في الشعر العربي من قبل " . (١)

ورأى في مكان آخر ان سيف الدولة مصاب بهوى الحرب ، وعبر المتنبي عن حقيقة هذا الهوى ، بل ظل يهدد آمال سيف الدولة العظام في العزة والنصر طيلة عهده معه . (٢)

وزاد على ذلك بقوله : " ان صوت المتنبي ليطن مجلجلا وقويا في قصائد الحربية وكأنه صوت اولئك البرابرة الجرمانيين الذين تملأ نفوسهم فرحا أنات وحشرات أعدائهم المقتولين " . (٣)

(١) حامد الحسري

(٢) المصدر السابق ص ١٢٢

(٣) المصدر السابق ص ١٨٣

ويؤيد الاستاذ كزار هذا الرأي ، بل يزيد عليه بقوله : " ان المتنبي كان أعظم شاعر عربي خلد حروب العرب مع البيزنطيين ، وبرز في ذلك كل شاعر قبله قال الشعر في حرب الروم . والمتنبي في ذلك نسيج وحده ، ولعل قصيدته الميمية المثل الأعلى عند أبي الطيب في سيف الدولة ، ولعلها المثال الذي يجب اتباعه في القصص الحربي ، فان المتنبي كان يرسم كل حركة من هذه المعركة بعبقريته المصورة الجبارة " . (١)

ويرى الاستاذ احمد امين ان سيف الدولة فارس ، وكذلك المتنبي ، يعيش الخيل والضرب والطعان ، فانا نظم المتنبي في الغزوات والقتال والشجاعة والحرب فانما يستمد ذلك من نفسه ومن شعوره لا من الفاظ حشاها في رأسه ينظمها ولا تتصل بقلبه . (٢)

اما الدكتور شوقي ضيف فيرى ان المتنبي في شعره يندفع متغنيا ببطولة سيف الدولة ، وهو غنا لا شك في انه ينفس عن كل نفس عربية تأبى الضيم ولا تحتمله ، الا انه في هذا الغنا عبر عن طموحه واعتداده بنفسه وترفعه عن كل ما حوله . (٣)

ولقي كل من الشاعرين وجه ربه في وهو في ساحة القتال يدافع عن نفسه ، فقد كمن فاتك في نفر من قومه لأبي الطيب نازله وقتله ، (٤) وغدرا أبو المعالي بخاله أبي نواس فقتله ، (٥) رحم الله الشاعرين وطيب ثراهما .

(١) مقالة الاستاذ كزار ص ٩٩

(٢) أمين - احمد ، فيض الخاطر - القاهرة سنة ١٩٤٩ - ج ٤ ص ٧٩ - ٨٠

(٣) ضيف - شوقي ، الفن ومذاهبه في الشعر العربي - بيروت سنة ١٩٥٦ ص ٢٦٤

(٤) ابن رشيقي - ابو علي الحسن : العمدة القاهرة سنة ١٩٥٥ ص ٧٥ وايضا البديعي الصبح المبني ص ٧٩

(٥) ابو الفدا - المختصر في اخبار البشر ج ٢ ص ١٠٨

اثر البلاط في الشعر والشعراء

٤ - شعر الوصف

حيى الله سبحانه حلب بقسط وافر من جمال الطبيعة ، وكان امرا مقنيا ان يتأثر الشعراء بهذا الجمال فيحاولوا وصفه . وتعددت اغراض الوصف عند شعراء بلاط سيف الدولة ، فوصفوا الطبيعة والزهور ، ووصفوا فصل السنة وما تفرع عنها من ثلوج وامطار وخضرة . كما وصف قسم من الشعراء مظاهر الحياة الاجتماعية بما فيها من مجالس الشراب وما تفرع عن هذه المجالس من دعوة اليها ، ووصف للخمر وكووسها ، ولم يكن هذا الامر مستحدا وسأبين ذلك في مكانه ، ووصف قسم آخر رحلات الصيد وهي مظهر آخر من مظاهر الحياة الاجتماعية كما وصف قسم آخر بعض مظاهر الحياة العامة .

ولعل من الجدير بالذكر في هذا المقام القول بأن المصادر التي انتخب منها هذه النخب في شعر الطبيعة والوصف لم تشر من قريب او من بعيد الى ان الشاعر انشد سيف الدولة هذه القصيدة او تلك ، او ان الشاعر نظمها لينشدها في مجالس سيف الدولة . ولكن تصوري للموضوع يقودني الى القول بأن هذه المقطوعات نظمت في بيئة حمدانية هي بيئة حلب التي كان يحكمها سيف الدولة ، وان الشعراء هم شعراء سيف الدولة انفسهم .

فلا شك في ان سيف الدولة استمع في مجالس سمره الى بعض من هذه المقطوعات ، ان لا يمكن ان يكون كل الشعر الذي ينشد في المجالس شعرا حريبيا او شعرا في المديح ، ولعل الطبيعة الانسانية تحتم تنوع مواضيع هذه المجالس فحظي شعر الوصف بنصيب قليل من ذلك النوع (١) وصف الطبيعة والزهور :

تغنى الصنوبري ، وهو ابو بكر محمد بن احمد بنهر قويق وجعل له موائيقا وعهودا ، واضفى اليه صفة الامان لقلّة الماء فيه الامر الذي لا يعرض انسانا للغرق ، فجعل محاسن غيره من الانهار مساوي يتفرغ عنها نهر قويق الصخيرة ، فلا سفن تعكر صفوه وهدوه ولا تماسيح تفترس زواره ومرتاديه ، ولا سمك فيه بل ضفادع تملأ الجو بنقيقها فيقول : (١)

قويق له عهد لدينا وميثاق	وهدي العهود والموائيق ادواق
ففي الخوف انا لا غريق نرى له	فنحن على امن وذا الامن ارزاق
وتزهد ان لا سفينة تمتطي	مطاه لها وخذ عليه واعناق
وان ليس يعتاق التماسيح مشربه	اذا اعتاق شرب النيل منهن معتاق

(١) ابن الشحنة ، محب الدين محمد : الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب بيروت سنة ١٩٠٩

ولا فيه سلور ولو كان لم أكن	أرى أنه إلا حميم وغساق
بل لثقتلي التسبيح في جنباته	علاجم بالتسبيح مذ كن حذاق
أقامت به الحيتان شوفا ولم تنزل	تقام على شطيه للطير اسواق
وسربل بالأرجاء مثنى وموحدا	كما سربلت غصنا من البان اوراق
وقاضت عيون من نواحيه درف	ولما تعاونها جفون وأطاق

ويعضني الصنوبرى في وصف ماء النهر ، فهذا الماء صاف كالبلور ، لامع كاللؤلؤ ،
 إذ ما عبث النسيم فانه يخلق في صفحاته سيونا ودروعا تتلوح فيقول :

هو الماء ان يوصف بكنه صفاته	فللما اغضا له واطراق
ففي اللون بلور وفي الملح لؤلؤ	وفي الطيب تنريد وفي النفع درياق
إذا عبث ايدى النسيم بوجهه	وقد لاح وجه منه اميض براق
فطورا عليه منه زرق حقيقة	وطورا عليه جوشن منه رقراق

ويستمر الصنوبرى في وعفه للوازم النهر فيصف زهرة اللينوفر واوراقه التي تعطر
 الجو فيما يحيطه فيقول :

وكم بعده لينوفر متشوف	أرو س تبر والزبد حيد اعناق
له ورق يعلو على الماء مطبق	كاطباق مدهون يكهن اطباق

ويقول بعد ذلك ان بعض الناس يعييون عليه غيابه الا انه لا يطيل غيبته فهو يذهب ليعود
 كالصيف والصبح والبدر ، والورد في غيبته . ولولا هذا الخياب لما اشتاق اليه احد :

وقد غابه قوم وكلهم له
 على ما تعاطوه من العيب عشاق
 نهاب قويق ان يعل فانما
 يقيم زمانا ثم يمضي فنشفاق
 وقالوا اليس الصيف يبلي لباسه
 فقلت الفتى في الصيف يقنعه طاق
 وملا الصبح الا آتب ثم غائب
 تواريه آفاق ^{وتبليه} ~~وتبليه~~ آفاق
 ومك البدر الا زائد ثم ناقص
 له في تمام الشهر حبس واطلاق
 ولو لم تطاول غيبة البدر لم تنق اليه
 قلوب تائقات واحداق
 فلو دام في الحب الوصال ولم يكن
 فراق ولا هجر لما اشتاق مشتاق
 قويق رسيل الخيث يأتي وينقضي
 ويأتي انيلاقا تارة ثم ينساق

ويتفنى كشاجم بنهر قويق ويتنزل به ، ويصف الزهور والورود التي نبتت على جانبه فيقول : (١)

والارض تكسى بزهر الر **ياض** وشيا **صعيد**

كان **خُررَ عينا** **بها يضاككن خُرر**

.....

وحمرة في شقيق

واقحوان كعقد

والنرجس الخض يونو

كما **استلار** حبيب

أما النهر فيظهر أنه مطروب لهذا الغزل الذي يجري بين ابنائه الأزهار فتراه
يسير تارة معتدلاً وتارة أخرى ملتويًا فيقول :

من سيوة وتأود	والنهر بين اعتدال
ثم استوى وتمدد	كأفعوان تلوى
مهندات تجرير	كأن فيه سيوفا
وتارة هي تخمد	فتارة هي تنهي
مر فيه سراج توقد	كأن لفيلوفر النهر
لشدة الريح تخمد	طورا تضيء وطورا

وقال الصنوبري في وصف سريو من الشقيق أحاط به ورد أبيض؛ (٢)

خلال بستائك الأنيق	قد أحرق الورد بالشقيق
مستشوفات إلى حريق	كأن حوله وجوه
ساق إذا تصوب أو تصعد	وقال أيضاً؛ (٣) وكان محمر الشقي
ن على بساط من زبرجد	اعلام ياقوت نشر

والصنوبرى معجب الى حد بعيد جدا بالازهار والاشجار ؟ وخصوصا
 عندما يأتي الربيع فتبدأ الازهار في النمو؟ فينعمو الورد والنرجس ومن شدة
 اعجابه بالازهار يتمنى لو كان يملك حق صيانة الرياض ليمنع اللثام من
 ارتيادها والمشى على ما فيها من ازهار فيقول : (١)

يا ريم قومي الآن ؟ ويحك فانظري	ما للربى قد اظهرت اعجابها
كانت محاسن وجهها محجوبة	فالآن قد كشف الربيع حجابها
ورد بدا يحكي الخدود ؟ ونرجس	يحكي العيون اذا رأت احبابها
وثياب باقلا* يشبه نوره	بلق الحمام مشيلة اذ نابها
والسرو تحسبه العيون غوانيا	قد شممت عن سوقها انوابها
وكأن احداهن من نفع الصبا	خود تلاعب موهنا اترابها
لو كنت املك للرياض صيانة	يوما لما وطى اللثام ترابها

وينصب الصنوبرى من النرجس ملكا على الازهار فيقول : (٢)

ارأيت احسن من عيون النرجس	ام من تلاحظهن وسط المجلس
درر تشتق عن يواقيت على	قضب الزمرد فوق بسط السندس
اجفان كافور حفنن باعين	من زعفران ناعمات الملمس
فكأنها اقمار ليلي احدث	بشموس افق فوق غصن الملمس

(١) الكتيبي ، ابن شاعر : فوات الوفيات القاهرة سنة ١٩٥٥ ج ١ ص ١١١ - ١١٢

ج ١ ص ١١١ .

(٢) الكتيبي " " " "

وللصنوبرى مقموعة لطيفة تخيل فيها مفاخرة جرت بين الورد والنجس
والنجس يفاخر بأن له عينين بينما يود عليه الورد بأن حمرة الخدود افضل
بكثير من عينين تكسوهما صفرة اليوقان (٣)

زعم الورد انه هو ايهى من جميع الانوار **والعريجان**
فاجابته اعين النجس الغضى (م) بذل من قولها وهوان
ايها احسن النور ام مقـ لة رئم مريضة الاجفان ؟
أم فماذا يوجو بحمرته الو رد اذا لم يكن له عينان
فُزها الورد ثم قال مجيبا بقياس مستحسن وبيان
ان ورد الخدود احسن من عي ن بها صفرة اليوقان

بل ان الصنوبرى تصور معركة جرت بين الازهار واخذ كل نوع في ابراز محاسنه
وكان ~~عبد~~ يتفاخر بالجمال ؟ اما الجميلة فانها تخفي الطرف وتكسي خدودها بحمرة
الخبيل خوفا من الحسد فقال : (١)

خبيل الورد حين لاحظته الفر جس من حسنه وغار البهار
فعلت ذاك حمرة وعلت ذا حمرة واعتري البهار اصفرار

وله ايضا بعض القصائد في وصف د يوزكي ؟ ضمنها وصفا للازهار ؟ ففي واحدة منها
جمع بين وصف الروض والزهر والمياه الجارية والخنز في براءة من القول ومهارة في الصياغة
فقال منها : (٢)

(٣) الطباخ : اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٥ . الكتيبي فوات الوفيات ج ١ ص ١١١ .

(٢) الديارات ص ١٤٠

كان الارض في حمر وصفر عروس تجتلي في حلتين *

وله قصيدة اخرى **قصيدت** مجموعة كبيرة من الازاهير بحيث بدت كطاقة جميلة
منسقة الحواشي مزينة الاطراف جمع الشاعر فيها بين الاقحوان والسوسن
والشقيق والبهار والاذريون والنرجس والمنثور والنسرين والورد والخزامي
والقيصوم ومطلعها : (٣)

يا نديمي اما نحن الى القصص ف فهذا اوان يبدد الحنين

.....

وبدا النرجس البديع كمنثا ل عيون ترنو اليها عيون
ما ترى جانب الهشي وقد اشادق فيه الخيوى والنسرين
صاح فيه **الهزار** ناح به القمرى غنى في جوه الشفتين
فلهذا قيصومه ؟ وخزاما ه وذا الورد فيه الياسمين

وقد اهدى شاعرنا الصنوبرى وردا من صديق له ؟ فرد عليه بقصيدة في مدح الورد
خلع عليه فيها من الصفات الجميلة الشئ الكثير ؟ بل انه جعل من هذه الهدية
التي اهديت له ضرة للنجوم والمسك والعنبر والكافور ؟ بل حقر فيها من **سكن** الازهار
الاخرى فقال : (١)

(٣) الديارات ص ١٤٢ - ١٤٣

(١) ل الشكعة - المصدر السابق ص ٣٤٧ - ٣٤٨ عن مخطوط لد يوان الصنوبرى

خطيوة من سيد خطير	باكورة طريفة البكور
عن مفترة/نبذ ورد جورى	الى فقيد الشكل والنظير
جاءت فكانت ضرة النجوم	في لون خد الشادن الغويو
في طبق ابداع في التصويو	والمسك والغبير والكافور
اخف في الكف من القمطيو	قضاياه كاعظام المهجور
يهلك فيه بصر البصير	كانما مند يله من نور
طل له الزهر كالاسير	فما يواه سوى الضمير
وفجعة الاترج بالسرور	اما رأيت ذلة المنثور
وبكها في هيئة المذعور	وهجلة التفاح في الحضور

يگان يستعدى الى الامير

حقا لقد كان الصنوبرى شاعر الطبيعة ولو قدر لشعره انى يجمع في ديوان محقق

مطبوع . لوجدنا ان الصنوبرى شاعر الطبيعة بلا منازع . اما بقية الشعراء فقد تعرضوا

لوصف الطبيعة والزهور ، ولكنهم لم يتفرغوا لذلك بل لم يخلقوا في هذا المجال كما خلق الصنوبرى ؟

وقد قال السرى الرفاء في وصف زهرة اللينوفر (٢)

صفر مدار نصيبها شرف	مفتضح عند نشرها العطر
تحملها خيزرانة ذبلت	ذبول صب اذله الهجر
كانها اذا زهت بالسنة	انطقها للمهين الذكر
خناجر من جناجر تزعت	فهي من الماء ^{صن} آدم حمر

وقال السرى في وصف الورد ؟ بعد طلب الخمرة التي تبعت النشوة في الاجسام
واستعان في وصفه للورد بمعننه السابقة ؟ كحائك ورفاء فاستعمل الفاظ خلع ، عرى ، وازرار (١)

هات التي هي يوم البعث اوزار	كالنار في الحسن عقى شربها النار
اما ترى الورد قد باح الربيع به	من بعد ما مر حول وهو اضممار
وكان في خلع خضر ؟ فقد خلعت	الا عرى اغفلت منه وازرار

وسار السرى على نفس النهج في وصف النرجس ؟ اى انه يطلب الخمر اولا ثم ينتقل
بعد ذلك الى وصف النرجس بعد ان ازاحت الارض الخطاء عنها فقال (٢)

هذا اوان ثمار لهـ	سوك فاجن بالكأس الثمارا
ان الصغار صغيرة	فاغش الكبار والكبارا
سفرت لنا الدنيا وكم	القت محاسنها الخمارا
ورأيت نوجها على اركانها	لباتها حليا محارا
ان حل حل السرور	به مخيما او سار سارا
ما كان قبل كأنه	مرض العيون لها شعارا
لكنه ازرى بها	فمرضن ذلا وانكسارا

ولم يفت الببغاء ان يجارى زملاءه الذين وصفوا الازهار فوصف الورد والنرجس

نجا هذا الوصف عذبا رقيقا ؟ ووصف الورد عند الببغاء مقترن بوصف للربيع
ودعوته للشرب فقال (٣)

(١) السرى الرفاء : الديوان ص ١٤١ .
(٢) " " : " " ص ١٤٥ .
(٣) الثعالي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٦٤ - ٢٦٥

زمن الورد اظرف الازمان
ادرك النرجس الجني وفزنا
اشرف الزهر زار في اشرف الده
وأجل شمس العقار في يد بدرالـ
وأد رها عذرا^١ وانتهمز الأور
في كووس كأنها زهر الخشد
واختدعها عند الجزال م
فهي أولى من العرائس ان زد
وأوان الربيع خير أوان
منهما بالخدود والأجفان
سرفصل فيه اشرف الاخوان
حسن يخدمك منهما النيران
كان من قبل عائق الامكان
خاشضمت شقائق النعمان
بالفاظ المثاني ومطربات الاغاني
ست بعزف النايات والعيداني

كذلك شبه البيضا^٢ النرجس بالكأس البيضاء^٣ حوت الراح الصفراء^٤ ، وبعد ان ينتهي

من هذا التشبيه يدعو الى الشراب فيقول : (١)

ونرجس لم يعد مبيضا الـ
تخال اقحاف لجبين حوت
كأنما تهدى التحايا به
يلهي عن الورد اذا ما رنا
أحبب به من زائر راحل
فانتهمز الفرصة في قربه
وهاتها عذرا^١ لم تفترع
كأنما كل به^٢ بنان حوت
وأجن بالحاظك من وجنتي
كأس ولا اصغره الراحا
من اصفر العسجد اقداحا
لطفنا الى الأرواح ارواحا
ويخلف المسك اذا ما فاحا
عوض بالأحزان انراحا
وكن الى اللذات مرتاحا
في الليل الا عاد أصباحا
كاساتها تحمل مصباحا
مديرها وردا وتباحا

(١) الثعالي : يتيمة الدهرج ١ ، ص ٢٦٥

ولابي الفتح الشمشاطي (كاتب سيف الدولة) في وصف البنفسج قوله (٢)

اشرب عن زهر البنف سج قبل تأنيب الحسود
فكأنما اوراقه اثار قرص في الخدود

ووصف الشمشاطي كذلك الجنار مشبها اياه بخدود الحسان التي كساها الحياء احمرارا

وهو كالحقيق محمر في مخضر فيقول (١)

وبدا الجنار مثل الخدود قد كساها الحياء ثوب عقار
صنعة الله كالحقيق تراه احمر ناصعا لدى الاخضرار

تلك هي حال وصف الطبيعة والزهر عند شعراء البلاط الحمداني ، والملحوظ ان

الجميع اتفقوا على اقتران وصف الزهر بوصف الربيع والدعوة وطلب الشراب ولا غرابة في ذلك

لأن الزهور تنمو في الربيع كما ان الشراب يطيب في الربيع وما دنا قد ذكرنا الربيع فيجب

ان نذكر وصف الشعراء لبقية فصول السنة .

(٢) وصف فصول السنة وما تفرع عنها :

تحيزت حلب بطقس غريب ففي الشتاء برد قارس ، وفي الصيف حر لافح وبين الشتاء

والصيف ربيع جميل وقد تأثر الشعراء بهذا الجو الذي يعيشون فيه ويحيونه ، فقالوا شعرا في

الشتاء ومقتضياته من نار وشراب .

قال الصنوبري في وصف الثلج وقد غطى الارض في يوم من ايام الشتاء (٢)

ذهب كوه وسك يا غلا م فانه يوم مخضض
والجو يجلي في البيا ض وفي حلى الدر يعرض
اتظن ذا ثلجا وذا ورد على الاغصان ينفض
ورد الربيع ملون والورد في كانون ابيض

(٢) النعماني : يتيمة الدهر ج ١ ص ١٠٩ .

(١) النعماني : ~~يتيمة الدهر ج ١ ص ١٠٩~~ نثر النظم ، رطق سنة ١٣٠٠ ، ص ١٣٧

(٢) السري الرفاء : الديوان ص ١٣٦ .

ووصف السرى الرفاء الثلج بقوله (٢١)

يا من انامله كالعارض السارى	وفعله ابدأ عار من العار
اما ترى الثلج قد خاطت انامله	نوبا يزر على الدنيا بأزهار
نار ولكنها ليست بمبدية	نورا ودماء ولكن ليس بالجارى
والنار قد اعوزتنا في صبيحتنا	بيعا ولو وزن دينار بد ينار
فامنن بما شئت من راح يكون لنا	نارا فاننا بلا راح ولا نار (١)

وقد وصف الرفاء كانون النار (احد مستلزمات الشتاء في حلب) (٢)

وأزهر وضاح يوق عيوننا	اذا ما رميناه بلحظ النواظر
له أربع تأبى السرى غير انها	تصافح وجه الارض مثل الحوافر
تقل بعضها بعضها من مورد	وسائرهما في مثل صبح الدياجر
نواصله ايام للقر سطوة	ونهجوه ايام لفح الهواجر

ووصف السرى يوما باردا فقال (٣)

يوم خلعت به عذارى	فحريت من حبل الوتار
وصبوت فيه الى الصبا	والشيب يشحك في عذارى
متلون يبدى لنا	طرقا باطراف النهار
فهواه سكب الرداء	وغيمه صافي الازار

(٣) السرى الرفاء * الديوان ص ١٣٦

(١) هذا البيت اورده صاحب اليتيمة ج ٢ ص ١١٨ ولم يود في الديوان

(٢) السرى الرفاء * الديوان ص ١١٤

(٣) السرى الرفاء * الديوان ص ١٣٥

وقال كئناجم يصف المطر مشبها اياه باللؤلؤ المتساقط من العقد : (٤)

غيث اتانا مؤذنا بالخفض	متصل الويل سريع الركض
دنا فخلقاء دوين الارض	متصلا بطولها والعرض
الفا الى الف بسر يفضي	ثم سقا كاللؤلؤ المرفض
فالارض تجلي بالنبات الغض	في حليها المحمر والمبيض
من سوسن احوى وورد غض	مثل خدود نقشت بالعض
واقحوان كاللجين المعض	ونرجس ذاكى النسيم بض
مثل العيون رفقت بالعض	ترنو فيغشاها الكرى فتخضي

ووصف النامي السحاب الاحمر المطر فتساءل عما اذا كان له عين عاشق محمرة

من الوجد والهيام ، كما شبه المطر باللؤلؤ اذا هطل ~~فلا~~ فانما يشبه دمع شكلى فقدت
وحيدها ، فقال : (١)

خليلي هل للمزن مقلة عاشق	أم النار في احشائها وهي لا تدرى
اشارت الى ارض العراق فاصبحت	كاللؤلؤ المبتول ادمعها تجرى
تسريل وشيا من خرور تطرزت	مطارفها طرزا من البرق كالتسبر
سحاب حكى شكلى أصيبت بواحد	فعاجت له نحو الرياض على قسبر
فوشي بلا رقم ونقش بلا يد	ودمع بلا عين وضحك بلا ثغر

ووصف سيف الدولة قوس قزح فشبهه بشوب حسنا متعدد الالوان ، فقال : (٢)

(٤) الحصرى ، ابو اسحاق ابراهيم بن علي - زهر الآداب وثمر الالباب - تحقيق علي

محمد اليجاي ، سنة ١٩٥٢ ج ١ ص ٥٢٢

(١) الشعالي : يتيمة الدهر ج ٠ ص ٢٢١

(٢) الشعالي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٣١

وساق صبيح للصبح دعوته	فقام وفي اجفانه سنة المنفض
يطوف بكاسات العقار كأنجم	فمن بين منقض علينا ومنقض
وقلرت شلست ايدى الجنوب مطارقا	على الجو دكنا والحواشي على الارض
يطرزها قوس النعام باصفر	على احمر ^{في} اخضر تحت مبيض
كأن يال خور اقبلت في غلائل	مصبغة والبعض اقصر من بعض

وعقد السنوبرى مفاضلة بين فصول السنة في مقطوعة شعرية ، فبدأ بالصيف وذكر انه ان

وجد في الصيف الرياح والفاكهة فيجب ان لا يخرب عن بالتا انه فصل قيظ وحر ، اما الخريف
وان يكن فيه النخيل قد بدأت تنضج ثماره فالارض فيه عريانة لا خضرة فيها ولا **هياة** ، اما الشتاء
وان يهطل المطر ~~اثناءه~~ فان الارض تكون محصورة . ولا شك ان الدهر هو الربيع حيث تنور
الانوار ، والارض مخضرة والجو صاف . فقال (٣)

ان يكن في الصيف ريحان وفاكهة	فالارض مستوقد والجو تنور
وان يكن في الخريف النخل مخترقا	فالارض عريانة والجو مقدر
وان يكن في الشتاء الخيت متصلا	فالارض محصورة والجو مأسور
ما الدهر الا الربيع المستنير اذا	جاء الربيع اتاك النور والنور
والارض ياقوتة والجو لؤلؤة	والنبت فيروزج والماء بلور
تبارك الله ! ما احلى الربيع افلا	تفرح فقايسه بالصيف منرور
من شم طيب جنيات الربيع يقل	لا المسك مسك ولا الكافور كافور

(٣) متر ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجوى ج ١ ص ٣٦٧ - ٣٦٨ .

وللسرى الرفاء من قصيدة قوله في وصف الربيع (١)
 اما ترى الجو يجلي في ممسكة والارض تختال في ابرادها القشب
 واذا الح حسام البرق موءلغا في الومض جد خطيب الرعد في الخطب
 والريح وسنى خلال الروض وانية فما يواغ لها مستيقظ التوب

(٣) - وصف مظاهر الحياة الاجتماعية :

كان للرياض المحيطة بحلب انوكبير من حيث انها حثت الناس على التنزه فيها
 والتمتع بجمال الطبيعة ، وكان بعضهم يشرب الخمر في هذه التزهات ليرفه بها عن نفسه ، فأضحى
 شرب الخمر ~~مظهرا~~ من مظاهر الحياة الاجتماعية ، وكان بعض الشعراء طليعة هؤلاء الناس ،
 ولعل الرياض وجمالها حب اليهم قول الشعر في وصف الخمر ، التي لم يكن بد من شربها بالنسبة
 اليهم في تلك التزهات . وتناولت ~~مظهريات~~ هو "لا الشعراء" وصف الخمر ، ووصف مجالسها والدعوة الى
 هذه المجالس ووصف الكأس . ولم تخل هذه المجالس من الغناء والرقص . فتطرق الشعراء الى
 وصف هذا ~~الامر~~ ^{الأمر} ، وكان سيف الدولة يحضر بعض مجالس الغناء ، ولأبي نواس يستنجز الامير
 ما وعده به من انه سيسمعه غناء ^{ابي} لعبد الله المنجم فقال (١)

ايلا سيدا عمي جوده بفضلك نلت السنى والسنا

وكم قد اتيتك من ليلة فنلت الغنى وسمعت الغنا

اما المظهر الآخر الذي بدا جليا من خلال اشعار بعض الشعراء فكان وصفهم

للطرد ، ولنبدأ الآن في استعراض الخمرات .

قال الصنوبري (٢)

سقياني بكل لون من الراح (م) على كل هذه الالوان

(١) الثعاليبي : يتيمة الدهر ، ج ٢ ص ١٦٢ .

(٢) نوفل ب اسيد : شعر الطبيعة في الادب العربي القاهرة سنة ١٩٥٥ ص ٢٠٥

وقال ايضا يا نديعي ! اما نحن الى القص ف فهذا اوان يبدد الحنين ! !

ما ترى جانب المصلى وقد اشرفت منه ظهوره والبطون ؟

اسرجت في رياضه سرج القط سر وطابت سهوله والخزون !

وقال ايضا في وصف الخمر مشبها ساقبها بالبستان :

لا اشرب الكأس الا من يدى رشأى مهفف كفضيب البان مياس

مورد الخد في قمص موردة له من الآس اكليل على الراس

قل للذى لام فيه هل ترى خلفا يا امح الروض بل يا امح الناس !

والواقع ان انصراف الصنوبرى الى شعر الطبيعة شغله عن بقية الاغراض الاخرى التي نظم

فيها ، ولهذا جاءت مقطوعاته في غير وصف الطبيعة ضعيفة لا تعاقى تلك في القوة والمتانة .

قال السرى في وصف بقية خمر في القدح (١)

اعانل ان الثائبات بعرضد وان سرور المرء غير مخلد

اذا ما **جضى** يوم من العيش فصله بيوم صالح العيش مرغد

وحالية من حسننها وجمالها وان برزت عطل الشوى والمقلد

تعاطيك كأسا غير ملأى كأنما فواقعها احداق درع مزرد

كأن اعاليها بياض سوائف تلوح على توريد جيب مورد

والأبي محمد عبد الله بن عمرو بن محمد الغياض ، كاتب سيف الدولة وندبه ، وسفيوه الى

بغداد في وصف مجالس الشراب قوله (٢)

(١) السرى الرفاء : الديوان ص ٩٥ .

(٢) الثعالبى : يتيمة الدهر ج ١ ص ١٠٣ .

تم فاسقني بين خفق الناي والعود
 كآسا اذا ابصرت^{ني} القوم محتشما
 ولا تبع طيب موجود بمفقود
 قال السرور له قم غير مطرود
 نحن الشهود وخفق العود خاطبنا
 نزوج ابن سحاب ببنت عنقود
 وطلب **الواواء** من غلام خمرا فقال له (٣)

قم يا غلام الى المدام
 بادر الى صرف الحمم
 قم واوني منها بجام
 يا سابقا صرف الحمام
 وتغنم الفضلات من
 دهر يجور على الكرام

وقال ابو بكر الخالدي في الدعوة للشرب ووصف الكأس (١)
 ألقا سقني والليل غاب نوره
 وقد فضح الظلما برك كأنه
 لخبية بدر في الثمام غريق
 فو*اد مشوق مولح بخفوق
 وصفرتها قد خلقت بخلوق
 نعاينها نورا جلاها تجسد
 ونشربها نارا بخير حريق
 كأن حباب الكأس في جنباتها
 كواكب درّ في سما عقيق

وله في وصف الكمر والكأس والآنية و يد الساقبي (٢)

ومدامة صفراء في قارورة
 فالراح شمس والحباب كواكب
 زرقاء تحملها يد بيضاء
 والكف قطب والانا سما

(٣) الثعالي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٨٠ .

(١) الثعالي يتيمة الدهر ج ٢ ص ١٩٥ .

(٢) الثعالي ج ٢ يتيمة الدهر ص ١٩٥ .

ووصف غلاما ٢ اسكرته الخمر فأخذ يتثنى ويترنح ٢ بقوله (٣)

وأغيد روته المدامة فانثنى
كما يتثنى من ربه النخن النخن
دعوت اليها وهو في دعوة الكرى
وقد اخذت في خلع اسودها الارض
فقام وفي اعطافه فخلل سكرة
وفي عينه من ورد وجنته بعض

واورد النعالي لابي عثمان سعيد بن هاشم الخالدي قوله في وصف مجلس شراب (٤)

ادن من الدن بي فداك ابي
واشرب وسقى الكبير وانتخب
اما ترى الطل كيف يلمع في
عيون نون تدعو الى الطرب ؟
في كل عين للطل لوه لوه
كدمعة في جفون منتحب
والصبح قد جردت صوارمه
والليل قد هم منه بالهروب
والجو في حلة ممسكة
قد كتبتها البروق بالذهب

ولأبي عثمان في وصف الخمر ونشوتها قوله (١)

يا ند يعني اطلق الفجر (م)
فما للكأس حبس
قهوة تعطينها قبل طلو
ع الشمس شمس
وهي كالعريخ لكسن
هي سعد وهو نحس

أما البيضا فقد اجاد في وصف الخمر ٢ واورد له النعالي مقطوعات عدة امتازت

بالسهولة وحسن السبك منها قوله في الخمر والقдах (٢)

-
- (٣) النعالي يتيمة الدهر ج ٢ ص ١٩٥
 - (٤) النعالي يتيمة الدهر ج ٢ ص ١٩٨
 - (١) النعالي يتيمة الدهر ج ٢ ص ٢٠٢
 - (٢) النعالي يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٦١

بالقصف للقصف منزل كذب
 ما للتصابي في غيرة امرب
 =
 فالراح بدر والجام هالته
 والافق كفي والانجم الحبيب
 حبل به الماء عن طبيعته
 بالمزج حتى خلناه يلتهب
 ونحن في مجلس تد يو به ال
 خمر علينا الاقداح لا الطب
 ينسى باوطانه الحنين الى الاوطان (م) من بالسرور يختوب
 لو لا حفاظي المشهور
 ما اصابنا بعد بغداد سلوتي حلب

وقد اختلفت الاماكن التي كان الشعراء يجتمعون فيها للشرب ، فقسم منهم كان يشرب في الرياض المحيطة بحلب والقسم الآخر كان يشرب في الاد يوة حيث يقدم الرهبان الخمر ، وأورد صاحب الديارات وصقين للأد يوة قال احد هما الصنوبرى وقال الآخر كشاجم ، ولم يستحدث الصنوبرى او كشاجم هذا الوصف بل انهما سارا على نهج سابقهم في القرنين الثاني والثالث الهجريين . وكذلك الامر بالنسبة للتغزل في الخلمان الذين كانوا يجتمعون بالشعراء في هذه الاد يوة وتغزل الشعراء بهم لاه الخلمان الذين كانوا يوقصون او يخدمون عندهم .

قال ابو نواس قصيدة في غلام نصراني اسمه عبد يشوع وكان يهواه ، فخاطبه واسخلفه بما يتقدسه ويجله المسيحيون من رسل واماكن ، ومريم ويسوع المسيح واخيوا الحق فيه اقول استخلفه ان يوحسه ويقرب منه فيقول (١)

بمحمودية الد يو العتيق
 بمطربينتها بالجائليق
 بشهون بيوحنا بعيسى
 بما سرجيس بالقص الشفيق

بجك قاصدا ما سرجان
 بد يو النوبهار فد يوفيق

بمريم بالمسيح وكل جد
 حوارى على دين وثيق

... ..

وبالحسن المركب فيك الا
رحمت تحرقني وجفوني ربي
أما والقرب من بعد النائي
يمين فتى لقاتله عشيق
لقد أصبحت زينة كل ديو
وعيد مع جفائك والعقيق
واذ عن عاشقوك الى النصارى
من الاسلام طرا بالهروق

وقال الحسين بن الضحاك في ديو ساير مبتدئا القصيدة بالتغزل بالهموز **مخارفا** فقال (٢)

وعواتق باشرت بين حدائق
ففضضتهن وقد حسن صحاحا
اشبعت وخزة تلك وخزة هذه
حتى شربت دمائهن جواحا
ابرزتهن من الخدود حواسرا
وتركت صون حريمهن صباحا
في ديو ساير والصبح يلوح لي
فجمعت بدرأ والصبح وراحا
فاز هب بظنك كيف شئت فكله
فما **التعرفت** تخطر سا وجماحا

ويتذكر ابن المعتز لياليه التي قضاها في الادوية فيستحلفها بالعودة اليه لأنها كانت
عنده نماذج للجنة وأن كانت غير خالدة فقال (١)

يا ليالي بالمطيرة والكر
كنت عندى انموذجات من
خ ود يو السوسي بالله عودى
الجنة لكنها بنغير خلود

لم يخالف شعرا الادوية عند شعراء البلاط الحمداني شعرا الادوية عند من سبقهم من
شعراء القرن الثاني والثالث الهجريين ؟ فلم يتطور هذا الشعر كما كان يتوقع له . اما شعر التنفل
بالظلمان فهو عند شعراء البلاط اعف وارقى مما كان عليه عند من سبقهم ؟ ولعل **اقامتهم** في البلاط
الحمداني ؟ هذبت **هنا** اشعارهم هذه ؟ بينما كان الشعراء في القرنين الثاني والثالث الهجريين
يلجأون الى القبيح من الكلام .

(٢) الشابشتي - الديارات ص ٣٥ .

(١) الشابشتي - الديارات ص ٩٦ .

وذكر السنوبرى ديو نكي في مقطوعة شعرية بدأها متغزلا بالرقعة والرأفة ثم اتى بعد ذلك

الى ذكر الدير فقال (٧)

أراق سجاله بالرقتين	جنوني صخوب الجانبين
واهدى للرصيف رصيف فرن	يعاوده طربو الطرتين
معاهد بل مآلف باقيات	بأكرم معهد بن ومآلفين
يضاحكها النورات بكل فج	فيضحك عن نضار أو لجرين
كان الأرض من صفر وحر	عروس تجتلى في حلتين
كان عناق فهرى ديو زكي	واذا اعتقنا عناق متيمين
وقت ذاك البليخ يد الليالي	وذاك النبيل من متجاورين
أفاما كبر السوارين استدارا	على كتفيه او كالدملجين
أيا متنزهي في ديو زكي	الم تك نزهتي بك نزهتين
أردد بين ورد نذاك طرفا	يودد بين ورد الوجنتين

ولم يذكر كشاجم عمر مريونان في القصيدة التي أوردها الشابشي على أنها قيلت في هذا الديوان والشاعر

هنا يبدأ القصيدة بالدعوة الى الشراب فيقول **مطلعها** (٣)

اغد يا صاحبي الى الأنبار	تشرب الراح في شباب النهار
واعمر العمر باللذاعة والقص	ف وحت الكروبس والاونار
ما ترى الدهر قد اتاك بوجه	طلق بعد نبوة وازوراد
لابسا حلة من الزهر كانت	قبل محجوبة عن الانظار

(٢) الشابشي - الديارات ص ١٤٠ .

(٣) الشابشي - الديارات ص ١٦٧ .

وينقل الشاعر بعد ذلك الى وصف الازهار وينهي القصيدة طالبا من صاحبه اغتنام

غفلة الزمان لينهب اللذات فيقول :

فاغتنم غفلة الزمان وبادر واغترض لذة الليالي القصار

اما شعر الخلمان فقد كان ممثلا في القرنين الثاني والثالث الهجريين في شعر مصعب الكاتب وقال الشابستي عنه " وكان مصعب هذا من اشد الناس تهتكاً ، واكثرهم خلاعة ومجوناً واستهتارا بالمرء **وتطرها** في الحانات والديارات ، واشعاره كلها في الخلمان ، لا تعدو هذا المعنى الى غيره " (١) وقد احب مصعب هذا فلما اسمه ابن يمان (٢) قال مصعب في المسلك الذي سلكه (٣)

وقائلة توجو صلاحي الى متى فقلت لها ما كفي الارض امرد
فقلت لقد انضيت في النفي جاهدا ركاب فسق انت فيها ترد
اتبكي لشو بعد نشو فما ارى بكاءك حتى ينفذ الدهر ينفذ
أعازل ، لولا المرء اصبحت عابدا هم اهلكوا ديني علي وانسدوا
دعاني أناس زاهدا حتى ابصر واخشوعي في الزهد اصبحت ازهد
نصبت لهم تحت الخشوع مكائد ي وللرفق احيانا عواقب تحمد
تشبهت بالزهاد والحرب خدعة ورايت بالتسبيح والك تعقد .

وانتشر الرقص الى جانب مجالس الشراب ، وكان الخلمان يرقصون والشعراء يشربون

فجارت قرائح الشعراء بوصفهم فقال السري (١)

(١) الشابستي الديارات ص ١٢٣ .

(٢) الشابستي الديارات ص ١٢٤ .

(٣) الشابستي الديارات ص ١٢٤ .

(١) النعالي يتيمة الدهر ج ٢ ص ١٣٠ - ١٣١ .

إذا اختلجت مناكمه لرقص
توت طير القلوب اليه نزوا
افراس انت احسن من تشنى
على صبح وأملح من تلوى

ويقول الثعالي هذين البيتين من قول الصنوبري :

ومن متنى على صنجه
فمن **تلوى** على نايه

كما رافق مجالس الشراب هذه التغزل بالفلمان ومصاحبتهم . قال الببغاء متغزلا بفلام

له خرج للغزو (٢)

يا غازيا انت الاحزان غازية
الى فوادى والاحشاء حين غزا
ان بارزتكم كما الروم فارمهم
بسهم عينيك تقتل كل من برزا

وكتب ابو فراس الى غلامه منصور بينه حنينه وشوقه اليه فقال (٣)

ارت لصب فيك قد زدته
على بلايا أسره اسرا
قد عدم الدنيا ولذاتها
لكنه ما عدم الصبرا
فهو اسير ^{الجسم} النجم في بلدة
وهو اسير القلب في اخرى

وتغزل الصنوبري بشاب أم المصلين قائلا (٤)

ولم انس ما عانيته من جملته
وقد زهرت في بعض الليالي مصلاه
ويقروا في المحراب والناس خلفه
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله
فقلت تأمل ما تقول فانه
نحالك يا من تقتل الناس عيناه

(٢) الثعالي يتيمة الدهر ج ٢ ص ٢٦٠

(٣) ابو فراس الديوان ج ٢ ص ٢٠٧ - ٢٠٨

(٤) الكندي فوات الوفيات ج ١ ص ١١٣ .

اهتم الحمدانيون اهتماما خاصا بالطرد فكان وسيلة من وسائل اللهو البارزة في حياتهم ،
ولا غواية في ذلك ، لان الطرد مران للحرب وتحضير لها ، وتنظم أبو فراس ارجونة الطردية ،
وصنف كشاحم كتاب المصاهد والمطارد ، كما نظم بعض شعرا* البلاط الحمداني كالمسرى الرفا*
وابي الفرج البهفيا* في هذا الفن الشعري *

(١)

نظم أبو فراس مزدوجة في الطرد بدأها بالحكم والاقوال الماثورة فقال -

ما العمر ما طالت به الدهور	العمر مائم به السرور
أيام عزى ونفان امرى	هي التي احسبها من عموى
ما اجور الدهر على يمينه	وأغدر الدهر بمن يصفيه
لو شئت مما قد قللنا جدا	عدت أيام السرور عدا
أنعت يوما مر لي بالشام	ألد ما مر من الايام

ثم يصف بعد ذلك استيقاظه في الصباح وتذائه للمسئول عن الصيد لطلب منه احضار

الاحصنة وعددها سبعة اثنان منها لصيد الارنب وخمسة لصيد الغزلان ، أما كلاب الصيد فقد
طلب منها اربعة ، وتوجه بعد ذلك الى الفهاد ومدرب البازهار طالبا منهم الاستعداد فقال -

ودعوت بالصقار ذات يوم	عند انتباهي سحرا من نوبي
قلت له اختر سبعة كبارا	كل نجيب يرد الغبارا
يكون للارنب منها اثنان	وخمسة لغزله للغزلان
واجعل كلاب الصيد نوبتين	ترسل منها اثنين اثنين
ولا توءخو اكلب العراض	فهن حتف للظباء قاضي
ثم تقدمت الى الفهاد	والبازهارين للاستعداد
وقلت ان خمسة لتقتع	والزرقان الفخ والمطع
وانت يا طهاخ لا تنباطا	عجل لنا اللبائ والواسطأ

ويصف خروجه في الصباح للصلاة بينما البزاة تخرج مجردات فيقول :-
 حتى اذا احسست بالصباح ناديتهم حي على الفلاح
 نحن نصلي والبزاة تخرج مجردات ، والخيول تُشرج
 نقلت للجهاد فاض وانفرد وصح بنا ان عن جنبي واجتهد
 فلم يزل غير بعيد عنا اليه يضي ما يفر منا

وينتقل بمد ذلك الى وصف خروجه ، فهو يخرج في رجاله وكانهم ذاهبون للقتال ،
 وما ان استعدوا حتى اتاهم خبر من غلام كان في مكان مشرف ان هنالك صيدا فركض أبو فراس
 وضرب نهلة قتل بها النائم فقال :-

وسرت في صف من الرجال كأنما تزحف للقتال
 فما استويانا كلنا حتى وقف غلم كان قريبا من شرف
 ثم أناني عجلا ، قال السبق نقلت ان كان العيان قد صدق
 سرت اليه فأراني جانه ظننتها يقظى وكانت نائمة
 ثم أخذت نهلة كانت بمي ودوت دورين ولم اوسع
 حتى تمكنت فلم اخط الطلب لك حثف سبب من السبب
 وضجت الكلاب في المقاور تطلبها وهي بجهد جاهد
 وصحت بالاسود كالخطاف ليس بأبيض ولا غطراف

أما وقد صيد الصيد ، فلهطلب من الطباخ تحضير الطعام ، ولهمد الشراب وليوزع
 على الصحاب فقال :-

صحت الى الطباخ ماذا تنتظر ؟ انزل عن المهر وهات ما حضر
 جاء بأوساط وجرد تاج من حجل الصيد ومن دراج
 فما تنازلنا عن الخيول يمتعنا الحرص عن النزول
 وجي * بالكأس وبالشراب فقلت وفرها على أصحابي

اسهني اليوم وروائي الفرح
 فلم نزل نقلي ونشوى ونصب
 شربا كما عن من الزقاق
 فلم نزل سبع ليال عددا
 فقد كفاني بعض وسط وقدح
 حتى طلبنا صاحبنا فلم نصب
 بغير ترتيب وغير ساق
 اسعد من راح وأحظى من غدا
 وكان أبو الفرج البغدادي من الشعراء الذين ولعوا بظهور الصيد وعلى الاخص الجوارح
 فوصف العقاب والزبح فقال في وصف العقاب وتفضلها على غيرها :-
 (١)

ما كل ذات مخلب ونهاج
 بمدرك في الجد والطلاب
 شريفة الصيفة والانساب
 وتستر الارض عن السحاب
 يظل منها الجوفي اغتراب
 ذكية تنظر من شهاب
 ومثكب ضخم انبت رايي
 وراحتي ليهت شري غلاب
 موهقة امض من الحواب
 من سائر الجارح والكلاب
 امسر ما يدرك بالعقاب
 تطير من جناحها في غاب
 وتحجب الشمس بلا حجاب
 مستوحش للظير كالمرتاب
 ذات جوارح واسع الجلاب
 وهنفس موثق النصاب
 نهطت الى برائن صلاب
 وكل ما حلق في الضباب

لملكها خاضعة الرقاب

(٢)

وصف كشاجم الهازي بقوله :-
 لما أجد الليل في انحيازه
 دعوت سعدا فأتى بهازه
 ضامن زاد جد من احرازه
 أقرانه تشكل عن برازه
 ولاح ضوء الصبح في اعجازه
 تحمل يسراه على فقازه
 ندبا هوات الطير في اغرازه
 يبادر الفرصة في انتهازه

(١) التوميري ، شهاب الدين أحمد - نهاية الارب في فنون العرب ، القاهرة سنة ١٩٢٣ ج ١
 ص ١٨٣ - ١٨٤ .

(٢) كشاجم - المصايد واعطارد - تحقيق الدكتور محمد أسعد طلس ، بغداد سنة ١٩٥٤

كأنما راح الى بوازه فابتزته الموشى من طوازه
فصاب قبل الشد في اختيازه خمسين حزنا هن باحتيازه
ما اسلف البر فلم يجازه ولا خلافي الوعد من انجازه

٥ - وصف مظاهر الحياة العامة وأدواتها -

عرضت في الصفحات السابقة وصفا لمظاهر الحياة الاجتماعية (وردت فيها من الاشعار ما رأته مثلا صادقا تنعكس من خلالها الحياة الاجتماعية بأبهى وأجلى صورها * الا ان هنالك عددا من المقطوعات عثرت عليها في كتاب " يتيمة الدهر " لم أتمكن من تصنيفها على أنها مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية ، بل هي أوصاف لتواحي متعددة من مظاهر الحياة العامة ، والهومية ، فهنالك الكثير من وصف المعاصر والبرك واعنارات ، والمشوع والكتب وغير ذلك من الامور -

(١) قال البهزا* في وصف البركة -

تروق العيون بلا* لاثها قورا* كالفلك المستدير
وسحب السما* بأنوائها هبتها البحار بأمولجها
يداك تفيض بنعمائها كأن تدفق نهارها
وخلقك اعزب من مائها وجودك اغزر من جهدها

(٢) ويصف الصنوبرى السواقي بقوله -

فلك من الدولاب فيه كواكب من مائه تنقض ساعة تطلع
متلون الاصوات يخفض صوته بهتناه طورا وطورا يرفع

(٣) وأورد الثعالي وصف الناي للناورة -

سامة في الجو مثل الفرقد قاعدة فيه وان لم تقعد
يكاد عاليها وان لم يهدد يهزرق من حوض الغمام بالهد

(١) الثعالي - يتيمته الدهر ج ١ ص ٢٧٠

(٢) النويرى - نهاية الاوب ج ٩ ص ٢٨٩

(٣) الثعالي - يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٣١

ووصف كشاجم الشمعة مشبها إياها بهركة ما أخذت نافورتها في قزف الماء الى الأعلى

(١)

فكان الضوء ضبعثا من الشمعة فقال :-

بهركة صفر عمودها شمع تنفخ نارا من موضع الماء

تبكي اذا ما المقص حشها فرط حيا من الاخلاء

كأنها عاشق يخيله فيه يواد لمقلة الرائي

صفوه لوك وذوب معتبة ودمع حزن ونار احشاء

(٢)

ووصف السرى الرفاء الشمعة بقوله :-

وباكية ليلها كله تحاكي الصباح بمصباحها

بصيرة ليل ولكنها ضيرته عند اصباحها

تجز لاصلاحها وأسها فافسادها عند اصلاحها

وحظي الكتاب بنصيب من الوصف فقال كشاجم انه اذا صاحبه فانما يصاحب الملوك

(٣)

والكبرا فيقول :-

وصاحب موءس اذا حضر حالسني بالملوك والكبرا

جسم فزات تحيا النفوس به يجل معنى وان دنا خطرا

ملكته منه كنزا عنته به فما أبالي ما قل أو كثرا

أظل منه في مجلس حقل بالناس طرا ولا أرى بشرا

وان اطلق به فيها لك من مستحسن منظرا ومختبرا

اعجب به حاها ولو جعلت عليه كف الحليب لاسقرا

(١) الثعالي :- يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٨٦

(٣) الثعالي :- يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٨٥

(٢) السرى الرفاء :- الديوان ص ٧٥

(١)

ووصف السرى الرفاء * القلم بقوله :-

أخوس ينبيك باطراقة	عن كل ما شئت من الامر
بذرى قرطاسه ديمة	تهدى لنا السروما تدرى
كعاشق اخفى هواه وقد	نمت عليه عبرة تجرى
تبصره في كل احواله	عربان يكسو الناس أو يعرى
يرى اسيرا في دواة وقد	أطلق أقواما من الاسر

وتفرد كشاجم في وصف مظهر من مظاهر الحياة العامة ، وكان هذا المظهر من الاعمال

التي كان يقوم بها ، والمشهور عنه انه كان طباح سيف الدولة ^{شمال} يصف جونة طعام صوت

(٢)

الوانا كثيرة منه :-

وجونة موصوفة من الجون	قد جمع الطباخ فيها كل فن
من كل سخن منضج وبارد	ما بين الوان الى بارد
فن رفاق ناعم وفاق	يحمد في المنظر والمذاق

ويصف بعد ذلك شربه الخمر مع الطعام فيقول :-

وجاءنا الدلمة بالمدام	ومحن لم تنهض من الطعام
بخير توتيب ولا صواني	وغير انتقال ولا ربحان
لان في الجونة انواع الارب	وعوضا عن كل شي * يطلب
هذا هو النوع الذي اختاره	ليس الذي عد بنا اننظاره

أما البخل ، وهو أحد المظاهر الخالدة في كل عصر وأوان ، فقد وصفه كشاجم

بقوله في البخيل ، وقد صورته تصويرا صادقا فقال :-

صديق لنا من ابرع الناس في البخل وأفضلهم فيه وليس يذى فضل

(١) السرى الرفاء * - الديوان ص ١٤١ *

(٢) الثعالبي - بتيمة الدهر ج ١ ص ٢٨٢ - ٢٨٩ *

(٣) " " " " ج ١ ص ٢٨٦

دعاني كما يدعو الصديق صديقه
 فلما جلسنا للطعام رأيتهم
 فجئت كما يأتي الى مثله مثلي
 يرى ان من بعض اعضاءه اكله

وقيت لو أنني كنت بهنت نية
 وبحت ثواب الصوم مع عدم الاكل
 هذه هي حالة شعر الوصف في بلاط سيف الدولة الحمداني ، وقد كان للطبيعة
 تأثير مباشر في ابراز هذا اللون من الشعر الذي كان قسم منه مستحدثا وجديدا في الشعر
 العربي وهذا القسم هو وصف الزهور ، ولعل بقية الالوان كانت معروفة * ولعل ما يجدر
 ذكره ويجب الاشارة اليه هو أن المتنبي لم ينظم في الوصف ، وصف الطبيعة - أننا
 اقامته في بلاط سيف الدولة ، ولست أدري ان كانت بدائحه وحرمانه حالنا بهنته وبين وصف
 الطبيعة بحيث لم تترك له وقتا لمثل هذا الامر *

٥ - الشمر الشمسي

(١)

كان الحمدانيون من المشيعين • الا ان تشيعهم كان خفيا على حد قول القوماني :-

" كان بنو حمدان شيعا لكن تشيعهم كان خفيا • ولم يكونوا كثيري بوبه • فان بني بوبه

كانوا في غاية القباحة ويعلق ابن كثير على تشيعهم بقوله :- " وقد كان هو • لا • الطوك رفضة •

(٢)

وهذا من اتمح القول " ويذكر الاستاذ فواد البستاني ان سيف الدولة كان يدارى اهل

حلب وكلهم على مذهب السنة والجماعة ولم يكن بحلب رافضي الى ان دخلها الروم سنة ٩٦٢ • وبعد

خروجهم منها نقل اليها سيف الدولة جماعة من الشيعة • وأظهر تشيعه فقلب على اهلها

(٣)

التشيع • وهو يد قول الاستاذ البستاني ما اورده في حديثي عن سيف الدولة • ان

اوردت نص الكتابة على الدنانير وهي :- " لا اله الا الله • محمد رسول الله • أمير

المؤمنين علي بن أبي طالب • فاطمة الزهراء • الحسن • الحسين • جبريل عليهم السلام " •

وتاريخ هذه الكتابة يعود الى سنة ٣٥٤ حين صاهر سيف الدولة اخاه ناصر الدولة •

وقد نظم بعض الشعراء قصائد في مدح آل البيت ومن هو • لا • أبو فراس • وأبو

بكر الخالدي • وكشاجم • والسرى الرناب • والصنوبري • الا ان هذه القصائد باستثناء قصيدة

واحدة لابي فراس • لا تعين الغنة التي كان يختفي اليها الحمدانيون كشيعا •

قال أبو فراس • وكان محمد بن سكرة الهاشمي قد نظم قصيدة يفاخر فيها ولد

ابي طالب • ويمتنقز ولد علي • ويحامل عليهم • ومظلمها :-

بني علي دعوا مقاتلكم لا ينقص السدر وضع من وضعا

(٤)

فلم يجبه أبو فراس تنزها عن مناقضته لسفاهة شعره وقال في اهل البيت

الدين مختوم والحق مهتضم وفي آل رسول الله مقتسم

(١) الطباخ • اعلام النبلاء ج ١ ص ٢٧٩

(٢) ابن كثير • عماد الدين أبو الفداء • اسماعيل بن عمر - البداية والنهاية • القاهرة ج ١١ ص ٢٦٤

(٣) البستاني • فواد صحيفة المشير - عدد ٥٤٢٧ بيروت ٣١٠٣٠ كانون ثاني سنة ١٩٣٨

(٤) أبو فراس - الديوان ج ٣ ص ٢٤٧ - ٣٥٦

والناس عندك لا ناس فهحفظهم
سوم الرعاة ولا شاة ولا نعص
اني ايهت قليل النوم ارقني
قلب تصارع فيه الهم والهم
وعزمة لا ينام الليل صاحبها
الا على ظفرو وفي طيه كرم

ثم مهاجم بعد ذلك بني العباس ويستنهض هم المسلمين لتخلص الخلافة من عبث

النساء والخدم قال :-

يا للرجال ، أما لله منتصف
من الطفافة أما للدين منتقم
بنو علي رعايا في ديارهم
والامر تملكه النسمان والخدم

لا يظفين بني العباس ملكهم
انفخرون عليهم لا ابا لكم
وما توازن يوما بهتكم شرف
ولا لكم مثلهم في اعجد متصل
ولا لصوتكم من عرقهم شبه
ولا نعملنكم من أهم اسم
قام التي بها يوم الفديور لهم
والله يشهد والاملاك والامم
حتى اذا اصبحت في غير صاحبها
بانت تتنازعها الذود بان والوخم

وأبو فراس في الهمة السابق وما يليه يذكر حق العلويين في الخلافة وان الخلافة

الذين ولوا أمر المسلمين ليسوا الا ادعياء لاحق لهم :-

وصيرت بينهم شورى كأنهم
لا يعرفون ولاية الحق أيهم
تالله ما جهل الاقوام موضعها
لكنهم ستروا وجه الذي علموا
ثم ادعاهم بنو العباس ارضهم
ومالهم قدم فيها ولا قدم

لا يذكرون اذا ما معشر ذكروا
ولا رآهم أبو بكر وصاحبه
فهل هم مدعوها غير واجبه
أما علي فقد أدنى قرابتهم
هل جاحد يا بني العباس نعمته
بئس الجزاء جزيتهم في بني حسن
لا بهمة ودعتكم عن دعاتهم
ويستمر أبو القاسم في مهاجمة بني العباس وتفضيل بني علي عليهم ويقول عنهم
انهم باعة خمر ، ويمأروهم بعملية ابنة المهدي وكانت مغنمة وكان اخوها ابراهيم كذلك
يا باعة الخمر كفوا عن مفاخركم
خلوا الفخار لعلامين ان سئلوا
لا يفضيهم لغير الله ان غضبوا
تبدو التلاوة من ايمانهم أبدا
شككم عليه أم منهم وكان لكم
ام من تتساوله الالجان سائرة
اذا تلاوا سورة غنى امامهم
ما في ديارهم للخمر معتصر
ولا تبيت لهم خفتى تنادهم
الركن والبهت والاستار منزلهم
وليس من قسم في الذكر نعرفه
صلى الاله عليهم ايها ذكروا
ولا يحكم في امر لهم حكم
اهلا لما طلبوا منها وما زعموا
ام هل أئمتهم في اخذها ظلموا
عند الولاية ان لم تكفر النعم
أبوكم أم عبيد الله أم ~~القصم~~ ^{قستم}
ابوهم العلم الهادي وامهم
ولا يمين ولا قرين ولا هم
عن فتية بهم يوم الهياج ذم
يوم السوء ال وعاملين ان علموا
ولا يضحون حكم الله ان حكموا
وفي هويتكم الاوتار والنغم
شيخ المغنين ابراهيم أم لهم ؟
عليهم ذو المعالي أم عليهم ؟
(قف بالديار التي لم يحفظها القدم)
ولا هويتهم للسوء معتصم
ولا يري لهم قرد له حشم
وزنم الصفا والحجو والحوم
وهم من غير شك ذلك القسم
لائمهم للورى كهف ومعتصم

وفي شعر ابي فراس اشارة الى المذهب الشيعي الذي كان يتبعه الحمدانيون ،
وقد تنبه لهذا الأمر الاستاذ ماريوس كغارني نخبه ، فأورد قصيدة ابي فراس وشرحها
شرحاً وافياً ، كما عين المذهب الذي كان عليه الحمدانيون وهو المذهب الاثنا عشري . قال
ابو فراس : (١)

لست أرجو النجاة من كل ما اخ	شاه الا بأحمد واهلي
وينت رسول الله فاطمة الطهد	ر وسبطيه والامام علي
والتقي النبي باقر علم الله	ه فينا محمد بن علي
وابنه جعفر وموسى ومولا	نا علي أكرم بن من علي
وابي جعفر سمي رسول الله	ه ثم ابنه الزكي علي
وابنه العسكري والقائم المظ	هر حفي محمد بن علي
فيهم ارتجى بلوغ الأمانسي	يوم عرضي على مليك علي

ولأبي فراس أبيات أخرى ~~أورد~~ فيها أسماء الاثمة الاثنا عشر وفيها يقول : (٢)

شافعي " احمد " النبي ومولا	ي " علي " و " البنت " و " السبطان "
و " علي " و " باقر العلم " و " الصادق "	ثم " الامين " و " التبيان "
و " علي " و " محمد بن علي "	و " علي " و " العسكري " الدانسي
والامام " المهدي " في يوم لايند	فجع الا غفران ذي الغفران

وقال ابو بكر الخالدي من قصيدة في رثاء الحسن بن علي : (٣)

اذا تفكرت في مصابهم	اتعب زقد الهموم قاده
بعضهم طربت مصارعهم	وبعضهم سعدت مطارحه

(١) كنفار : النخب ص ٢٢٣ - ٢٢٥ ، ابو فراس - الديوان ج ٣ ص ٤٢٩ - ٤٣٠

(٢) ابو فراس : الديوان ج ٣ ص ٣٩٧

(٣) الثعالبي : يتيمة الدهر ج ٢ ص ١٨٢ - ١٨٨

اظلم في كربلاء يومهم
 ثم تجلى وهم ذبايحهم
 لا يوح الضمير كل شارقه
 تهبي غوايه أو روائحه
 على ثرى حله ابن بنت رسو
 ل اليه مجروحة جوارحه
 زل حماهم وقل ناصره
 ونال اقصى مناه كاشحه
 عفرتم بالثرى جبين فقى
 جبريل بعد النبي ماسحه
 يطل ما بهتكم دم ابن رسو
 ل الله وابن السفاح سامحه
 سمان عند الانام كلكم
 قاتله متكم وذابحه
 وأكثر كشاجم من البكاء على مصيبة العلويين فقال :-
 (١)
 بكاء وقل غنا البكاء
 على رزق ذرية الانبياء
 لئن زل فيه عزيز الدموع
 لقد عز فيه ذليل العزاء
 اعلمني ان يرد التقى
 كسالتيه حي لاهل الكساء
 سفينة نوح فمن يمتلق
 بحبهم يمتلق بالنجا
 لعمري لقد ضل رأى الهوى
 بأثمة من هواها هوائي
 واوصى النبي ولكن غدت
 وصاياهم منهذ بالعراء
 ومن قبلها امر الهيتون
 بود الامور الى الاوصياء
 ولم يهش القوم غل الصدود
 حتى طواه الردى في ردا
 ثم يعمد الشاعر الى ذكر فضائل الامام علي متغنيا بما اجتمع عنده من رشد وشجاعة
 متصفا له لاحقيقته بالخلافة فيقول :-
 ولو سلموا لامام المهدي
 لقبول معوجهم باستواء

(١) الشكوة - فتون الشعر في مجتمع الحمدانيين ص ٢٩٠ - ٢٩١ عن مخطوط لديوان كشاجم

هلال الى الرشيد عالي الضحا
 وهجر تدفق بالمعجزات
 علوم سماوية لا تقال
 لعمري الاولى مجدوا حقه
 وكم موقف كان شخص الحمام
 جلاه فان انكروا فضله
 مطايا الخطايا خذى في الظلام
 لقد هتكت حرم المصطفى
 وساقوا رجالهم كالعبيد
 فلو كان جدهم شاهدا
 وهبكي الصنوبري على آل البيت وبرتبههم رثاء حارا فيقول :-
 سيرا اذا لن تسيرا
 محملات ظهورا
 زورا بهتوب قبرا
 زورا النبي وزورا
 زورا الشمس شمس ال
 يا عين فاضي رواها
 فاض لحمزه أو لا
 عمه زاده من
 وسيف علي الكثر ماضي المضاه
 كما يتدفق ينبوع ماء
 ومن ذا ينال نجوم السما
 وما كان اولاهم بالولا
 من الخوف فيه قتل الخفا
 فقد عرفت ذاك شمس الضحا
 فما هم الا اهلهم غير الحداه
 وحل بهن عظيم البلا
 وحازوا نساء هم كالاما
 لتبع اظعانهم بالهكا
 (١)
 عيرا تناقل عيرا
 وموقرات نذورا
 وبالعراق قهورا
 وصيه والوزيرا
 أيام زورا الهدورا
 لهم وفاضي بكورا
 سمباس فيضا عزيرا
 كساهما النور نورا

(١) الشكوة :- فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ص ٢٩٤ - ٢٩٥ عن مخطوط لديوان

اقول والقول يبقى بعد الدهور دهورا

دور الضرى ودورا بالطف^م حميت دورا

ويخص الشاعر معركة كربلاء^٥ ومصراع الحسين بالذكر ، ويذكر مصراع^٦ البيت من الرجال

وبكاء^٧ ذرمة الرسول من النساء^٨ فيقول :-

والهتطين ظهورا والهتطين بطونا

والهتطين أسيرا والهتطين يتيما

لهني عليهم لهورا لهني عليهم لهورا

بأغ يوم حميرا بغي عليهم حمار

من كنت يوما عسيرا يوم الحسين على الدنيا

يا كربلاء^٩ الصدورا ملاء^{١٠} والله كربا

ب^{١١} أوشكت ان تدورا كأنني برحى الحمر

سهم السيف الطيورا والفاطمون تقرب

ن بالدموع النحورا والفاطمات ينحرن

وبأني الصنوبرى على ذكر بني أمة فيها جمهم مستبشعا فعلة يزيد مع الحسين وحمل

رأسه الهه فيقول :-

يا عصبة لم تخف الاهها ان يجورا

قرآنه ~~المسطورا~~ يا عصبة لم تراقب

حسين خطبا كهيما ؟ الم يكن حمل رأس ال

ه بالقضيب يسيرا ؟ اكان قرع تنابا

سبحان من يمسك الارض حلقه ان تمورا

ابحث من ابيه

ثارتهم اهل بدر لما وجدتم نوره ورا

اما السرى الرفاء فانه مدح البيت بقصيدة جمع فيها بين التمجيد والثناء والمكاء

فجمع ما ثروهم وبكى على سيد الشهداء فقال من قصيدة طويلة :-

(١)
ورب غراء لم تنظم قلائدها الا ل محمد فيها الفاظهمونا

الوارثون كتاب الله يفتحهم ارث النبي على رغم المعادينا

قوم نصلي عليهم حين نذكرهم حيا وتلعن اقواما ملاعينا

اذا عددنا قرىشا في اباطحها كانوا الذوائب والعرانينا

اغنتهم عن صفات المادحين لهم مدائح الله في طه وباسينا

فلست امدحهم الا لارغم في مدحهم انف شانهم وشانينا

ثم يقف الشاعر ليذكر مصيبة الحسين في كربلاء في الم وحسرة فيقول :-

اقام روح وريحان على جدث شلوا الحسين به ظمان آميننا

كان احشانا من ذكره اهدا تطون على الجير او تحشى السكاكينا

مهلا فما نقضوا اوتار والده وانما نقضوا في قتله الديننا

آل النبي وجدنا حبكم سبها يرضى الاله به عنا ومرضينا

ولا نخاطبكم الا بسادتنا ولا نناديكم الا موالينا

وكم لنا من فخار في مودتكم يزيدها في سواد القلب تمكينا

ومن عدو لكم مخف عداوته والله يرميه عنا وهو يرمينا

ان اجرني حبيكم جرى الجواد فقد اضحت رحاب مساعيتكم مهادينا

فكيف يمدوكم شعري وذكركم يزيد مستحسن الاشعار تحسينا

تلك هي الحال التي كان عليها الشعر الشيعي ، واختلف الحال فيه بالنسبة لكل شاعر . فأبو فراس في شعره يهدد ويثذر ويتوعد ، وذلك راجع الى مركزه وقوته ، بينما نجد ان بقية الشعراء قد سلكوا منهجا غير منهج أبي فراس . فشعرهم بكاء وتمجيد ، وروثا وذكرى مؤلمة ، تشير في النفوس الحزن واللوعة . وكان كل هؤلاء الشعراء من شيعة علي ، وقد ذكرهم الاستاذ محسن الامين في موسوعته " اعيان الشيعة " في القسم الخاص بطبقات الشعراء .^(١) وكان موقف سيف الدولة من هذا التشيع موقف المراقب ، وكان الشعراء يحاولون في اشعارهم الشيعية مجاورة ابي فراس في شعره .

(٢) الامين :- محسن الامين العاملي الحسيني اعيان الشيعة دمشق سنة ١٩٤٤ الجزء الاول ، القسم الثاني :- أبو فراس ص ١٦٥ ، الصنوبري ص ١٦٣ ، كشاجم ص ١٦٤ ، السرى الرثاء ص ١٦٦ ، أبو بكر الخالدي ص ١٦٨

أثر البلاط في النثر

١ - الكتابة والكتاب

بحثت في الفصل السابق أثر البلاط الحمداني في الشعر والشعراء ، وقسمت البحث الى اقسام تتلاءم والاعراض الشعرية ، فتكلمت عن شعر المديح والثناء ، واتبعت ذلك بالحدِيث عن شعر الحرب وشعر الوصف باقسامه المختلفة كما بينت وانتهيت ذلك الفصل بالحدِيث عن الشعر الشيعي .

اختلفت اغراض الكتابة عن اغراض الشعر ولعل السبب في هذا الاختلاف البين يعود الى تخصص الكتاب بالكتابة الديوانية ، ولان الكاتب لا يفد على الامير كما يفد الشاعر بل انه يقيم في البلاط ، ويبقى في معية الامير .

ومن الكتاب الذين وردت اخبارهم مع اخبار سيف الدولة الحمداني ، ابو بكر الخوارزمي وابو الفرج الببغاء وابو علي الحاتمي والخطيب ابن نباته الفارقي . ووفد ابو الفرج الاصفهاني على سيف الدولة وقدم له نسخة من كتاب "الاعاني" ، وكاناه سيف الدولة على هذه الهدية بمبلغ الف دينار معتذرا^(١) كذلك نجد نوعا من الاتصال بين الامير الحمداني وابي اسحاق ابراهيم بن هلال الصابسي^(٢) .

ولا نجد في مصادر النثر العربي في القرن الرابع الهجري رسائل لهؤلاء الكتاب عنيت بشؤون سيف الدولة او البلاط الحمداني . الا ان هنالك بعض الرسائل التي كتبها ابـو الفرج الببغاء وبعث بها الى سيف الدولة مادحا ، فبعث الى الامير يذكر منصرفه من بعض الغزوات ظافرا وكره على ابن الزيات بعد ان عصاه وعودته الى حلب ، فيذكر ان التفاوت بين

(١) ابو الفداء المختصر في تاريخ البشر ج ٢ ص ١٠٨

(٢) الثعالبي يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٣ .

الناس يكون بمقارنة ما لكل منهم من الهمم والغرائم والجدود والكرم ، والشجاعة والمجد ، ولا شك في ان تكون كفة سيف الدولة الراجحة ، ولا يستطيع احد الوصول الى ما وصل اليه من هذه الصفات الحميدة ، فكأن الله ادخر كل هذه الامور ليهبها لسيف الدولة الامير - يقول ابو الفرج (١) :

”الرياسة - ايد الله سيدنا - حلة موموقة ومرتبة مرموقة يتفاضل الناس فيها بقدر الهمم ، وينالونها بحسب مراتبها من الكرم . فما تدرك الا بالسماح ، ولا تملك الا باطراف الريح ، ولا تتخلص الا بالحمد ، ولا تخطب الا بلسان المجد ، فكل من ادركها طلبا ، واستحقها بافعاله لقبا من غير الدخول لسيدنا تحت شرف التعبد ، ورق الاخلاص لا التردد ، فقد حرم نيل الكمال وعدل عن الحقيقة الى المحال .

لانه الغاية القصوى التي عجزت	عن ان تؤمل ادراكا لها الهمم
ما تستحق ملوك الدهر مرتبة	في الفضل الا له من فوقها قدم
ذكاؤه ان دجا ليل الشكوك ضحى	وظله ان خطا صرف الردى حرم
فلوعدا الكرم الموصوف راحتهم	عن ان يجاوزها لم يكتم الكرم

الشجاعة اقل ادواته ، والبلاغة اصغر صفاته ، يطرق الدهر اذا نطق ، وينطق المجد اذا افتخر ، فالامال موقوفة عليه ، والثناء اجمع مصروف اليه ، نهض بما قعدت هم الملوك عن ثقله ، وضعف الدهر عن مغلغلة مثله ، بهم سيفيه وكزائم علوية ، فرد شمل الدين جد ييدا ، وذميم الايام حميدا ، بحق اوضحه وخلل اصلحه ، وهدى اعاده وضلال اباده .

فلا انتزع الله الهدى عز بأسه	ولا انتزع الله الوغى عز نصره
واحسن عن حفظ النبي وآله	ورعى سوام الدين توفير شكره
فما تدرك المداح ادنى حقوقه	باغراق منظم الكلام ونشره

لان ادنى نعمة تستغرق جماع الشكر ، وايسرمنة تفوت المبالغة في جميل الذكر .
 فاما هذا الفتح الشريف خطره ، الحميد اثره ، المشهور بلاؤه ، والواجب ثناؤه ، الباسق
 فرعه ، العام نفعه ، فاشرف من ان يحد بالصفات ، او يعد بافصح العبارات لاجراء الله
 تعالى سيدنا فيه من نيل الارادة على مشكور العرف والعادة فيما ابتسم فيه ثغر الدين ،
 وشمل صلاحه كافة المسلمين .

كانما ادخر الرحمن معظمة دون الملوك لسيف الدولة البطل
 رآه اكرمهم في الخبر ان ذكروا وصفا ، وافضلهم في القول والعمل
 فهذه وظا الاسياف مغمدة واستله غير منسوب الى الفل
 حتى غدا الدين من بعد العبوس به جذلان يرزل من نعماءه في حلال
 فلو تكلم في حال وقيل له : من خير هذا الورى ؟ لم يسم غير علي * .
 وبعث الببغاء برسالة اخرى الى سيف الدولة وتغنى في قسم منها بذكاء سيف
 الدولة ووفائه وفضله وشجاعته فقال (١) :

* شهاب ذكاء لا وطود وفاء ، وكعبة فضل ، وغمامة بذل ، وحسام حق ولسان صدق ،
 فالليالي بأفعاله مشرقة ، والاقدار لخوفه مطرقة ، تحمده اولياؤه وتشهد له بالفضل اعداؤه ؛
 يقابلنا البدر من بـرد ويشملنا السعد من سعد
 ولو فخر المجد لم تلقه فخورا بشيء سوى مجده *

وللببغاء من رسالة اخرى لسيف الدولة في شكر صنائعه قوله : (٢)

ثم ان شكرى نعمة الله تعالى بما جرده من ملاحظة سيدنا حالي ، وتداركه بطول
 التطول مرض امالي . ما لا اوامل — مع المبالغة والاغراق فيه — فك نفسي بحال من رق اياديه
 غير اني احسن لها النظر ، واجمل عندها الاحدوث والخبر . بالدخول في جملة الشاكرين والاتسام

(١) الثعالبي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٤٦ - ٢٤٧
 (٢) الثعالبي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٤٧ .

بفضيلة المخلصين ان كان - أدام الله عزه ! - قد نصر بناهتي على الخمول ، واستنفذني من
التعهد للتأميل .*

فصرت امسك عن اوصاف نعمته	عجزا وينطق عن آثارها حالي .
.....
رويذ جودك قد ضاقت به همي	ورد عني برغم الدهر اقلالي
لم يبق لي امل ارجو نداك به	دهرى لانك قد افنيت امالسي

"والله ينهضني من شكر طوله ، والنموض بحقوق فضله . لما يبلغني رتبة الزيادة ،
ونيل السؤال والارادة بمنه وكرمه ."

وطلب سيف الدولة من اللبغا ان يبعث برسالة تهنئة الى شخص تزوجت امه ، وكان
العرب يعايرون من تتزوج امه فكتب له : (١)

"من سلك اليك - اعزك الله - سبيل الانبساط ، لم يستوعر مسلكا من المخاطبة فيما
يحسن الانقباض عن ذكر مثله ، واتصل بي ما كان من خبر الواجبة الحق عليك المنسوبة بعد
نسبك اليها اليك - وفر الله صيانتها - في اختيارها ما لولا ان النفس تتناكره وشرع المروءة
يخطر له لكت في مثله بالرضا اولى ، وبالاعتداء بما جدده الله في صيانتها حرى ، فلا
يسخطنك من ذلك ما فرضه وجوب الشرع ، وحسنه ادب الديانة ، ومباح الله احق ان يتبع ،
واياك ان تكون ممن لما عدم اختياره تسخط اختيار القدر له ."

(١) القلقشندی ، ابو العباس احمد ، صبح الاعشى في كتابة الانشا القاهرة سنة ١٩١٦

اثر البلاط في النشر

٢ - الخطابة

ابن نباته ،

كان ابن نباته ابو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل بن نباته الفارقي اللخمي العقلائي المولد المصري الدار^{حاضرة} (١) ، خطيب حلب وبها اجتمع بالمتنبي وسمع عليه بعض ديوانه وكان سيف الدولة كثير الغزو فاكثر من الخطب التي تحث على الجهاد ، والتي يطلب فيها من الناس نصره سيف الدولة (٢) . ويروي ابن خلكان في حديثه عنه انه كان يتمنى رؤية النبي فقال : " لما عملت خطبة المنام وخطبت بها يوم الجمعة ، رأيت ليلة السبت في منامي كأنني بظاهر ميفارقين عند الجبانة ، فقلت ما هذا الجمع ؟ فقال لي قائل : هذا النبي " صلعم " ومعه اصحابه ، فقصت اليه لأسلم عليه ، فلما دنوت التفت فرأني فقال : مرحبا يا خطيب الخطباء ، كيف تقول ، واوما الى القبور فقلت : لا يخبرون بما اليه آلوا ، ولو قد روا على المقال لقالوا ، قد شربوا من الموت كأسا مره ، ولم يفقدوا من اعمالهم ذره ، وآلى عليهم الدهر آلية بره ، ان لا يجعل لهم الى الدنيا كره ، كأنهم لم يكونوا للعيون كره . ولم يعدوا في الاحياء مره ، اسكنهم والله الذي انطقهم وأبادهم الذي خلقهم ، وسيجدهم الذي اخلقهم ويجمعهم كما فرقهم ، يوم يعيد الله العالمين خلقا جديدا ويجعل الظالمين لنار جهنم وقودا (يوم تكونون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) وأومات بقولي يوم تكونون شهداء على الناس الصحابة وبقولي شهيدا الى الرسول صلعم ، (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه امدا بعيدا) . فقال لي احسنت أذن ، فدنوت فأخذ

(١) ابن العماد الخليلي ، عبد الحي : شذرات الذهب في اخبار من ذهب

القاهرة سنة ١٣٥٠ ج ٣ ص ٨٣

(٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ج ٢ ص ٣٣١ .

وجهي وقبله وتغل في فمي وقال " وفقك الله " وقال ابن خلكان ، وقي الخطيب بعد ذلك ثلاثة ايام لا يأكل فيها من المسك في قمه ، وكأش بعد المنام ثمانية عشر يوماً . وولد سنة ٣٣٥ هـ وتوفي سنة ٣٧٤ بميافارقين حيث دفن . (٢)

وإذا كنت قلت ان المتنبى كان شاعر الحرب التي جرت بين سيف الدولة والروم فان ابن نباتة كان خطيب الجهاد بلا منازع ، فاعتبر الحروب بين سيف الدولة والروم حروباً تجرى بين الاسلام واعدائه المشركين ، فهي الجهاد في سبيل اعلاء كلمة الله ، واعتبر نصرته المسلمين لسيف الدولة نصرته للدين . وهو يؤكده هذه الحقيقة في جميع خطبه الجهادية . وهو يبدأ خطبه بحمد الله وذكر جليل صفاته ، وبعد ان يذكر وحدانية الله يشهد ان محمداً رسول الله ، ويسير على هذا النهج في جميع الخطب ، فيقول (٢) :

" الحمد لله الكريم الوهاب ، الرحيم التواب الشديد العقاب ، العتيد الثواب الذي جل عن الاشكال والاضراب ، وتعالى عن مشاكلة الخلطاء والاصحاب وقصرت عن ادراك صفاقه غايات الاسهاب ، وحصرت دون تفسير ذاته عبارات ذوى الاطناب فهو الباطن المعبود بلا مواراة صحاب ، والظاهر الموجود في العقول بلا ارتياب ، احمده على نعمه الهنيئة العذاب واشهد أن لا اله الا الله وكده لا شريك له شهادة دائمة بلا انقضاء ، واشهد أن محمداً عبده ورسوله انتخبه من أشرف العرب العربا وابتعثه من اطهر اصل ونصاب ، من شجرة عبد مناف بن قصي بن كلاب . مبرأ من كل دنس وهاب مطهر القول عن الحظل والكذاب ففرق الله به جموع الاحزاب وشد ازره بخير صحاب . صلى الله عليه وعلى اله الخيرة الاطياب وصحابته البررة الانجاب ، صلاة تفيض عنهم بركاتهم في السحاب وسلم تسليماً " .

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ٣٣١ - ٣٣٣ .
جمعت خطب ابن نباتة في ديوان وتولى شرحها عدد من العلماء منهم : ابو البقاء عبد الله بن حسين العكبرى الحنبلي ، وتاج الدين ابو اليمن زيد بن الحسن الكندي ، وموفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي وعثمان بن يوسف القليوبي ، وسرى الدين بن هاني ، ونجم الدين البارزي الحموي . (ابن نباتة ديوان الخطب ص ١٢ - ١٣ من المقدمة) .

(٢) ابن نباتة : الديوان ص ١٧٧ - ١٧٨ .

وبعد ان ينتهي من هذه المقدمة في هذه الخطبة ، وامثالها يبدأ في مخاطبة الناس ،
وتختلف اغراض هذه الخطب باختلاف الاحداث ، فاذا رأى تقاعسا من الناس في نجدة سيف
الدولة اخذني حضمهم على الجهاد ، عائبا عليهم هذا التقاعس منددا بموقفهم مؤنبا اياهم
فيقول : (١)

"ايها الناس ان الدنيا قد ادبرت وآذنت بانقلاب ، وان الاخرة قد اقبلت واذعنت
باقتراب ، فلا نحن لما ادبر من هذه ذرر اجتناب ، ولا لما اندر من تلك اولو ارتقاب ، كأن قلوبنا من
الصم الصلاب ، او كأن نفوسنا واثقة بحسن المآب . كلا بل ران عليها خبث الاكتساب ، واعمى
بصائرنا طول اللعاب ، فليس ينفعنا قرع العتاب ، ولا يروعها صدع الكتاب ، ولا تمضها اذالقة
الاحساب ، قد دخلت علينا الفتنة من كل باب ، واطمعتنا الدنيا اطماع السراب ، نتهارش على
حطامها تهارش الكلاب ، ونلبس فيها جلود ^{الطنان} الثمان على قلوب الذئاب ، ننظر الى المعروف نظير
الخزير الغضاب ، ونسكن الى المنكر سكن الباني بالخود الكعاب ، وقد أظلنا من العدو وسحاب
ممتدة الاطناب ."

ويأخذ ابن نباته في هذا المكان في تنبيه الناس للخراب الذي ينتظرهم على يدي
هذا العدو ، ولكن الناس عن ذلك لاهون ، يتحكم في مصائرهم العبيد والاذناب فيقول : (٢)

"وقد أظلنا من العدو وسحاب ممتدة الاطناب ، ودبت في ديارنا منه عقارب الخراب ،
وم الغلاء والبلاء بقبيح الاكتساب ، فما العجاب الفادح عندنا بعجاب ولا نفوسنا تكثرت بعظم
المصاب ، وما ذاك الا لصول العبيد فيكم على الارباب ، وعدلكم الهجان بالصریح اللباب ، وانقياد
الروءوس فيكم للاذناب ، وارتكاب كل هواه الى ضد الصواب ، شأنكم بينكم التنازب بالالقاب ، واغتياب
انفذ في الاعراض من الحراب ، وشهد ملق اقتل من سم الحباب ، وخبث فعال ينقض مبرم الاسباب ،

(١) ابن نباتة : الديوان ص ١٧٨ - ١٧٩

(٢) ابن نباتة : الديوان ص ١٧٩ - ١٨١

وارواح عن الانقياد للحق صعب ، فلا العالم يعمل بما علمه من حكم الكتاب ، ولا يردعه ما أتقنه من السنن والاداب ، فانيبوا عباد الله الى ريك من سوء مصارع الاغتياب ، واستعدوا لهجوم قاطع الاصلاب ، ومفرق الاحباب ، ومسكنكم تحت اطباق التراب ، ومنزلكم منازل الاغتراب بحيث تصمم الاسماع عن الخطاب ، ويقع الامتناع عن الجواب ، وتستعجبون فلا تقدررون على الاعتاب وتمكتون في الارض احقابا بعد احقاب ، ثم يصاح بكم ليم الحساب ، فتقومون سكارى من غير شراب ، وتصبر اعمالكم قلائد في الرقاب * .

وينهي الخطيب هذه الخطبة بالدعاء له ولاصحابه بتجنب هذا الموقف ، وذلك بعمل ما فيه مرضاة الله ، وينهي خطبته بالاستشهاد بالقرآن فيقول : (١)

"وتصبر اعمالكم قلائد في الرقاب ، ان في ذلك لذكرى لاولى الالباب جعلنا الله واياكم من شمر لدار الارخاب واستعبد حذار الارهاب ، واستدفع بتقوى الله اليم العقاب ، ان احسن ما نسقته لهوات الخطاب وابين ما حققته ادوات الاعراب ، كلام من توكلت عليه واليه متاب * (افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى * .

ويخض على الجهاد في خطبة أخرى من خطبه مرغبا المؤمنين بذلك ذاكرا ثواب الله لكل من باع نفسه في سبيله ، فقال بعد حمد الله والسلام على رسوله : (٢)

أيها الناس ان الله أيه بكم فهل انتم سامعون ، وندبكم الى طاعته فهل انتم اليها سارعون وزجركم عن معصيته فهل انتم عنها راجعون ، وساومكم بنفوسكم فهل لها انتم بائعون ، وجعل اثمانها جنته فهل انتم اليها تازعون ، وانبت لكم من الحبة سبعمائة فهل انتم لها زارعون ، واعد من خالقه عذاب جهنم فما انتم صانعون ، وهو القائل سبحانه لا يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم) ، الا وان الجهاد كنز وفر الله منه ^{اقسامكم} وحرز طهر الله به اجسامكم هجز اظهر الله به اسلامكم ، فان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم . فانفروا رحمكم الله جميعا وثبات ، وشنوا على اعدائكم الغارات ، وتمسكوا بعصم الاقدام ومعامل الثبات ، واخلصوا في جهاد عدوكم حقائق النيات * .

(٢) ابن نباته : الديوان ص ١٨٢ - ١٨٣ .

(١) ابن نباته : الديوان ص ١٨١ .

ثم يستثير حماس المسلمين ببيان الحال التي يجلبها عليهم التقاعس والخذلان من ذل واضمحلال ، ويطلب منهم محاربة الشهوات قبل محاربة الاعداء ، واذا هم فعلوا ذلك فانهم يتسابقون في هذا العمل الى نيل الحياة الخالدة فيقول : (١)

"وانه والله ما غزى قوم في عقد ادهم الا ذلوا ، ولا قعدوا عن صون ذمارهم الا اضمحلوا ، واعلموا انه لا يصلح الجهاد بغير اجتهاد ، كما لا يصلح السفر بغير زاد ، فقدموا مجاهدة القلوب ، قبل مشاهدة الحروب ، ومغالبة الهوا قبل محاربة الاعداء لا يادروا باصلاح السرائر ، فانها من اصلح العدد والذخائر ، وليدفع القاعدون عن المجاهدين بالدعاء ، ومن لم يستطع منكم سبيلا الى اللقاء ، فاعتاضوا بحياة لا بد من فنائها ، بالحياة التي لا ريب في بقائها ، وكونوا من اطاع الله وشمر في مرضاته ."

أما السبيل الى ابتغاء مرضاة الله فهو الجهاد والاعمال الحسنة ، وافتال والثبات فيه فيقول : (٢)

"وسابقوا بالجهاد الى تملك جناته فان للجنة بابا حدوده تطهير الاعمال ، وتشبيده انفاق الاموال ، وساحته زحف الرجال الى الرجال ، وطريقه غممة الابطال ، ومفتاحه الثبات في معترك القتال ، ومدخله من مشرعة الصوامر والنبال ، فواجبوا رحمكم صفقة البيع الرابع ، بالتمسك الجزيل الرابع من الملك المسامح ، فقد ضمن لكم ذلك في نص كتابه ، وبينه في محكم خطابه ، حيث يقول (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة) جعلنا الله واياكم ممن غلب هواه ، وسارع في مرضاة مولاه وكانت الجنة منقلبة ومثواة ، ان احسن القصص والكلام ، وابلغ الفتر والنظام ، كلام ندى الجلال والاكرام ، (يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا) ."

(١) ابن نباته : الديوان ص ١٨٣ - ١٨٤ .

(٢) ابن نباته : الديوان ص ١٨٤ .

ولا بن نباته خطبة في الجهاد وقفها على التند يد بالموقف الذي وقفه المسلمون من سيف الدولة في احدى غزواته ، وخذ لانهم له . فخاطبهم ابن نباته ، مستنكرا موقفهم ، وعودهم عن الجهاد بينما العدو يعيث في ارضهم فسادا ، وقارن بينهم وبين الحيوان الذي يدافع عن مكانه ، ويطلب منهم الاغارة على العدو وقيل ان يغبر عليهم لانهم جماعة الله فقال : (١)

" ايها الناس : الى كم تسمعون الذكر فلا تعون ، والى كم تقرعون بالزجر فلا تقلعون ، كأن اصماعتكم تج ودائع الوعظ ، او كان قلوبكم بها استكبار عن الحفظ ، وعدوكم يعمل في دياركم عمله ، ويبلغ بتخلفكم عن جهاده أمله ، صخ بهم الشيطان الى باطله فاجابوه ، وندبكم الرحمن الى حقه فخالفتموه ، هذه البهائم تناضل عن ذمارها ، وهذه الطير تموت حمية دون اوكارها ، بلا كتاب انزل عليها ، ولا رسول ارسل اليها ، وانتم اولو العقول والافهام ، واهل الشرائع والاحكام ، تندون عن عدوكم نديد الابل ، وتلوعون له مدارع العجز والفشل ، وانتم والله اولى بالغزو اليهم ، واحرى بالمغار عليهم ، لانكم امناء الله على كتابه ، والمصدقون بشوابه وعقابه ، خصمك الله بالنجدة والباس ، وجعلكم خيرا أمة اخرجت للناس ، فابن حمية الايمان ، وابن بصيرة الايقان ، وابن الاشفاق من لهب النيران ، وابن الثقة بضمان الرحمن " .

والله سبحانه ضمن المعونة للمسلمين وضمن لهم النصر مقابل الورع والتقوى ، فقال ابن نباته : (٢)

" فقد قال عز جلاله في الفرقان (بلى ان تصبروا وثقوا ويأتوكم من فورهم هذا يدرككم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين ، وما جعله الله الا بشري لكم ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) فقد اشترط عليكم التقوى والصبر ، وضمن لكم المعونة والنصر ، افتتهمونه في ضمانه ، أم تشكون في عدله واحسانه ، فسابقوا رحمك الله الى الجهاد بقلوب تقية ونفوس أبية ، واعمال رضية ، ووجوه مضيئة ، وخذوا بعزائم التشمير واكشفوا عن رؤوسكم

(١) ابن نباته الديوان ص ١٨٨ - ١٨٩ (٢) ابن نباته الديوان ص ١٨٩ - ١٩٠

عار التقصير ، وهبوا نفوسكم لمن هو أملك بها منكم ، ولا تركوا إلي الجزع فإنه لا يدفع الموت عنكم " .
وينادي ابن نباته بعد ذلك للجهاد ، ويعد بالنصر والجنة ، ويصف أفضال الجهاد
من النصر أو من الشهادة في سبيل الله ، وينهي خطبته بإيراد آية في الحث على الجهاد فيقول : (١)
" فالجهاد الجهاد أيها الموقنون ، والظفر الظفر أيها الصابرون والجنة الجنة أيها
الراغبون ، والنار النار أيها الهاربون ، فإن الجهاد اثبت قواعد الايمان ، واوسع ابواب الرضوان ،
وارفع درجات الجنان ، وان من ناصح الله فيه لبيّن منزلتين مرغوب فيهما ، مجمع على تفضيلهما ،
أما السعادة بالظفر في العاجل ، وأما الفوز بالشهادة في الاجل ، وأكره المغزلتين اليك ، وأعظمها
نعمة عليكم ، فأنصروا الله فان نصر الله حرز من الهلكات حريز ، (ولاولينصرن الله من ينصره ان الله
قوى عزيز) ان احسن ما نطقت به بلغاء الخطاب ، وانور ما اضاءت به ظلماء الالباب كـلام
العزير الوهاب (يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انصروا في سبيل الله ^{نذ} اننا قلتم فسي
الارض) .

وفي احدى خطبه دعا الناس الى السكينة ، عندما بلغهم خبر فتح حلب ، فقال بعد
ان حمد الله وصلى على رسوله ، ان الله لن يخذل قومهم له ناصرون ، ولا يهلك من اعترب به
من عباده بل هو معهم في كل ضائقة ، واذا انتصر العدو على المسلمين فما ذلك الا لان الله
اراد ان يبلوهم . فقال : (٢)

" ان الله جل ذكره وغلب امره اختار لكم الاسلام ديناً ، وكان لكم بالنصر على الاعداء
ضميناً ، بمعانير قدمها اليكم ، وموائيق احكمها عليكم ، فقال وهو اصدق القائلين (وعد الله
الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم
دينهم الذي ارتضى لهم ولا وليد لهم من بعد خوفهم انما) افضمان الله يخفرام نعم الله تكفر

(١) ابن نباته الديوان ص ١٩٠

(٢) ابن نباته الديوان ص ١٩١ - ١٩٣

أم يد الله عن أعدائه تقصر ، أم الوفاء بما وعد الله عليه يعسر ، ما لكم لا تتدبرون القرآن ، وتدرعون
 الايمان ، وتجاهدون في الله حق جهاده وتحادون من حاده من عباده ، وتظنون انه يخذلكم
 وانتم له ناصرون ، ^أ اني تتوهمون انه يسلمكم وانتم في سبيله صابرون ، كلا انه لا تجوز ظلامه ولا تغرب
 عنه قلامه ، ولا يهتك من استتر بعزه ولا يهلك من اعتصم بحرزه . . . وانصروا دينا اكرمكم الله به
 من قبل ان تخلقوا ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، ولا يهولنكم عدو الله ولو طبقت الغبراء
 جنوده وشرقت الفضا بنوده ، فان الغالب الظافر من ثبته الله وكلن معه ، والهارب الدامر من
 شتته الله وقمعه ، وقوموا الله من جهاده باداء الغرض ، ذلك لو يشاء الله لانتصر منهم ولكن
 ليبلو بعضكم ببعض * .

ولابن نباته خطبة في حفر الخندق حول سور ميفارقين سنة ٣٥٢ هـ ويذكر ان هذا
 العمل انما هو اتباع لسنة الرسول عند حفره للخندق ، وكان هذا العمل درعا واقيا يقي المسلمين
 من غزوات أعدائهم . (١)

وفي خطبته التي ذكر فيها وصول نفي خراسان النجدة سيف الدولة يؤكد الحقيقة
 الدينية للحروب بين الامير والروم فقال : (٢) " من الله علينا وعليكم بنصره القريب ، وادال لاهل
 التوحيد من عبدة الصليب * .

وسار الخطيب الفارقي على هذا المنهج في جميع خطبه الجهادية ، ونستطيع ان نتبين
 من النماذج التي اوردتها خصائص خطابة ابن نباته الفارقي التي ميزت كتابته عن كتابة غيره .
 اعبر ابن نباته غزوات سيف الدولة غزوات غايتها وكل همها اعلاء شأن الدين الاسلامي ، على
 غيره من الاديان . وكان يبدأ خطبه بحمد الله ، ذاكرا له من الصفات ما يلائم موضوع الخطبة
 ثم يثني بعد ذلك بالصلاة على محمد رسول الله (صلعم) موردا له من الصفات ما يتناسب

(١) ابن نباته الديوان ص ٢٠٠

(٢) ابن نباته الديوان ص ٢٠٦

وموضوع الخطبة • ويظهر في خطبه التزامه للسجع ، بل انه ربما التزم السجع الطويل في كل الخطبة ، ليدل بذلك على مقدرته الخطابية وهو لما يبلغ الثامنة عشرة من عمره • كما كان يستشهد ببعض الايات القرآنية في خطبه فتراه في منتصف الخطبة يورد الاية ليعزز ما ذهب اليه من القول ، وينتهي هذه الخطب بايراد الاية او الايتين اللتين توافقان في معنيهما ودالتيهما القصد من الخطبة • ولعل هذه الايات كانت من آيات الجهاد التي وردت في القرآن الكريم • وتنوعت اغراض خطب ابن نباته بتنوع الاهداف والمناسبات فاحتوت على تنديد وتوبيخ ولم وتقرير ، كما كانت تدل على الترغيب والتشويق بالحياة الافضل في الآخرة ، ورمت بعض خطبه الى تسكين الناس وتهدئة الخواطر ، وهو في كل ذلك لا يبعد عن الجو الحربي المحيط به ، وما يقتضيه هذا الجو من حماس واندفاع ، وهدوء وارتياح •

وفي ديوان خطب ابن نباته الفارقي خطبة يمكن القول انها عنيت بشؤون سيف الدولة وحكمه وهي خطبته في ولاية الامير ابي المكارم بن سيف الدولة لديار بكر • بدأ ابن نباته خطبته هذه بالقاء المواعظ على الناس ، ويذكر بعد هذه المواعظ سيف الدولة فيصفه بانه حارس الدنيا والدين الذي انعم على اهل ديار بكر بان سلم امرهم الى ابنه ابي المكارم • ويطلب من اهل ديار بكر شد ازرا الامير في اعماله هذه • فقال منها خطبته بالدعاء لسيف الدولة : (١)

”ايها الناس اربأوا بالتقوى صدوع اعمالكم ، وارغبوا عما يوبقكم يوم مآلكم ، واعلموا ان مطايا النعم وحشيه ، فاجمعوا باعلان الشكر نوادها ، وان رزايا النقم مخشية ، فاقطعوا بادمان الذكر موادها ، ولا تجعلوا نعم الله قوة لكم على عصيانه ، واحسنوا معاملة من عمكم باحسانه فما من نعمة جلتتموها سابقة الا شفعتها بكم باخرى لاحقه ، منا منه قد يما لم يزل ديدنه واجريشاه فواصلوا حمده ولا تعبدوا الا اياه ، فمن سني عوارفه ومشهور نعمائه ، وخفي لطفه ومأثور الائه ، حراستكم بحارس الدنيا والدين ، وكفايتكم بسيفه المنقطع القرين ، الذائد عن التوحيد واهله ،

(١) ابن نباته ، عبد الرحيم بن محمد : ديوان الخطب بيروت سنة ١٣١١ ص ٢٧٩ - ٢٨٠

والجامع شمل الاسلام بتبديد شمله ، الامير سيف الدولة ابي الحسن ، الكاشف عنكم غيابة الآفات والفتن . ومن تمام احسانه اليكم ، وعام امتنانه عليكم ، تشریفكم بايداع مهجته ورد اموركم الى سليله وصفوته ، الامير ابي المكارم ، ابن سيف الدولة الصام . فابشروا عباد الله بالعز المؤبد والسلطان المجدد ، والخصب ^{الرمه} بطلوع هذا الكوكب الاسعد ، فهو جوهرة من ذلك البحر . وثمرة من ذلك النجر ، وصباح من ذلك الفجر ، وغطريف من ذلك الصقر ، وشنشنة تعرف من اخزمها ونعممة واجب شكر منعمها ، فاشكروا الله عباد الله على ما خولتموه ، واذكروه كما علمكم ما لم تعلموه ، واقدموا على عدوكم بالجهاد قبل اقدامه ، واخرسوا بحق زئيركم باطل بغامه ، فقد امدكم الله بضيغمه وابن حسامه ، فارغبوا اليه جميعا في حراسة دولته ودوام أيامه ، اللهم اشدد ببقائه عصم اهل التوحيد ، وعرفه وسائر المسلمين بركة هذا التقليد والبسه جنن التقوى والباس الشديد . وبلغ به مبالغ آباءه الجحاحجة الصيد ، واطرف عن دولته عين كل باغ وحسود ، وامتع الاسلام واهله بسترك يا ذا الجود " (١) .

ويحتوى ديوان خطب ابن نباته عدا عن الخطب الجهادية ، على خطب المعاد التي كانت ^{تأكيدها} الحقيقة الموت الذي يجب ان يعد الانسان في حياته ما يرضاه لنفسه حتى يقضي ^{وهو} وطمنئ الى أن اعماله الطيبة ستكون له خير معين ونصير يوم القيامة .

" ذكرت في مقدمة هذا الفصل ان الكتاب الذين كتبوا لسيف الدولة كانوا : الخوارزمي ، الببغاء ، وابن نباته . ودرست خطب ابن نباته الجهادية لاعتقادي انها تبين لنا العلاقة بين ابن نباته وسيف الدولة ، لانصراف الخطيب فيها الى العناية بشؤون سيف الدولة . اما بقية الكتاب فابنت ان رسائلهم لا تعنى بشؤون الامير او بشؤون بلاطه ، كما ان علاقتهم به لم تكن واضحة من خلال آثارهم التي خلفوها لنا . وسأقدم في هذا المقام عرضا سريعا موجزا لهؤلاء الكتاب

(١) ابن نباته ، عبد الرحيم بن محمد : ديوان الخطب بيروت سنة ١٣١١ ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

لان علاقاتهم بالامير لم تكن واضحة وليس في المستطاع استبانتهما من آثارهم .

١ - ابو بكر الخوارزمي (١)

قال الثعالبي (٢) : ٠٠٠ ولم يزل يتقلب في كور العراق والشام ، ويأخذ عن العلماء ويقتبس من الشعراء ويستفيد من الفضلاء حتى تخرج فرد الدهر في الادب والشعر ، ولقي سيف الدولة وخدمه واستفاد من يمن حضرته ، ومضى على غلوائه في الاضطراب والاغتراب وشرق بعد أن غرب .

اعتمد ابو بكر السجع في كتابته وقد وصف الدكتور شوقي ضيف هذا الاعتماد بالتصنع والتصنيع ، فقال في ذلك : (٣) " وكانت صناعة الخوارزمي في رسائله تقوم على التصنيع وما ينطوى فيه من سجع وبديع ، على ان من يتأمل في هذه الصناعة يمس تسرب ضروب من التصنع اليها ، اذ كان الخوارزمي يعمد الى ضروب من التهويلات والمبالغات وكانما قصر الموضوعات التي كان يعالجها هو الذي ادى به الى هذه الصورة من التعبير ، وانظر اليه يكتب الى احد تلاميذه فيصف ايامه الماضية معه فيقول : " كأن تارق من حاشية البرد ومن طلوع السعد واحلى من انجاز الوعد ، واعذب من القند بل من النقد ، واعبق من الورد ، وما اردت الا ورد الخد ، بل من المسك والند ، واطيب من القرب بعد البعد ، ومن الوصل في اثر الصد ، بل كانت ارق من نسيم الزهر في السحر ، ومن فضاء الوطر على الخطر ، بل كانت اقصر من ليل السكرى او نهـر الحيازي " .

ولا شك في ان الدكتور ضيف مصيب في قوله باعتماد الخوارزمي على السجع وتقصده

له ، والقطعة التي اوردها خير دليل على ذلك .

(١) هو محمد بن العباس الخوارزمي ، وابن اخت محمد بن جرير الطبرى صاحب التاريخ ، لقب بالطبر خزمي لان امه من طبرستان وابوه من خوارزم . قيل توفي سنة ٣٨٣ ، ولا يعرف بالضبط عام ولادته . (ابنه فلحان ، ترجمة الخوارزمي)

(٢) الثعالبي : يتيمة الدهر ج ٤ ص ٢٠٤

(٣) ضيف ، شوقي ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، القاهرة سنة ١٩٤٦ ص ١٠٨

ولا يعجب الاستاذ احمد امين باسلوب الخوارزمي ويقول عنه وعن ابي الصابي: " وانا شخصيا استسمح كتابته (كتابه الصابي) وكتابة الخوارزمي ومن نحا نحوهما وأرى انها جعجعة ولا طعم ، والفاظ جوفاء ولا معنى . " (١)

والملاحظ في نشر الخوارزمي انه يتضمن بعض المعاني المطروقة من قبل في رسائله ، فتأثر بالمتنبي وشعره وتنبه الثعالبي الى هذا الامر فأورد امثلة عليه من نشر الخوارزمي وقوله في احدى رسائله: (٢) " وكيف امدح الامير بخلق صن به الهواء ، وامتلأت من ذكره الارض والسما ، وابصره الاعى بلا عين وسمعه الاصم بلا اذن " . وهذا حل نظم ابي الطيب :

تنشد اثوابنا مدائحـه بألسن ما لهن افـراه
اذا مررنا على الاصم بها اغنته عن مسمعيه عيـناه

ولا يي بكر من رسالة اخرى (٣) : " ولقد تساوت الالسن حتى حسد الالبم وافسد القر حتى احمد الصم . وهذا هو قول المتنبي ولا تبال بشعر بعد شاعره قد افسد القول حتى احمد الصم

والشيء المستغرب بالنسبة للخوارزمي هو انه مع اقامته في بلاط سيف الدولة ، فاننا لا نجد في رسائله اى رسالة بعث بها الى الامير الحمداني اطلاقا .

ونظم ابو بكر الشعر ، وتأثر في بعض اشعاره بمدائح المتنبي في سيف الدولة فأخذ معاني المتنبي وصاغها من عنده . قال ابو الطيب (٤) .

فان تفق الانام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال

وللمتنبي في مثل هذا المعنى قوله :

وما انا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام

(١) امين ، احمد - ظهر الاسلام القاهرة سنة ١٩٥٢ ج ٢ ص ٩٦ - ٩٧
(٢) الثعالبي : يتيمة الدهر ج ١ ص ١٢٧ - ١٢٨
(٣) " " " ج ١ ص ١٢٨
(٤) " " " ج ١ ص ١٣٠

وجاء الخوارزمي فاخذ معنى البيتين وقال :

فديتك ما بدا لي قصد حـر
سواك من الورى الا بدا لي
وقال ابو الطيب المتنبي (١) :

وصرت اشك فيمن اصطفيه
لعلمي انه بعض الانام

واخذ الخوارزمي هذا المعنى فقال :

قد ظلمناك بحسن الد
طق يا بعض الانام

٢ - ابو الفرج الببغاء (٢) :

سلك ابو الفرج في كتابته سبيل السجع ، ولكنه في مسلكه هذا اتى بنثر مقبول لا تمجه الاسماع ، وكان في بعض الاوقات يفلت من السجع فلا يسلكه ، ولا تختلف كتابته عن غيره الا في انه كتب بعض الرسائل القصيرة جدا ، كما كتب بعض القصص (٣) التي تشابه في اسلوبها اسلوب اصحاب المقامات في كتاباتهم . وضمن الببغاء بعض رسائله الى سيف الدولة مقطعات شعرية ذكرتها في مقدمة هذا الفصل . اما المصدر الوحيد الذي يمكنني القول بانه اورد معظم رسائل الببغاء فكان صبح الاعشى للقلقشندي . وحوى هذا المصدر رسائل الببغاء في تهنئة بعض اصحابه ممن ولوا بعض الاعمال ، وتهنئة من صرف عن الولاية . وتهنئة من عاد من الحج ، او تزوج او ابل من المرض . وشأنه هذه الامور شأن كتاب الدواوين في ذلك العصر .

(١) الشعالي : يتيمة الدهر : ج ١ ص ١٣١

(٢) عبد الواحد بن نصر بن محمد ، المتقدم ذكره في الفصل السابق بوصفه احد الشعراء الذين اقاموا في البلاط الحمداني ومدحوا سيف الدولة باشعارهم ، بقي في البلاط حتى وفاة الامير فخرج من حلب وتنقل في البلاد وتوفي سنة ٣٩٨ . (ابن تغرى بردى . النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢١٩) .

(٣) الشعالي : يتيمة الدهر : ج ١ ص ٢٣٧ - ٢٤٥

٣ - ابو علي الحاتمي (١) :

خدم ابو علي سيف الدولة الحمداني وهو شاب في التاسعة عشرة من عمره ويقول في ذلك : (٢)

"وقد خدمت في بلاط سيف الدولة - تجاوز الله عن فرطاته - وانا ابن تسع عشرة سنة ، تميل بي سنة الصبا وتنقاد الي اريحة الشباب بهذا العلم ، وقد كان كلفا به علقا علاقة العزم باهله ، منقبا عن اسراره ، ووزنت في مجلسه تكومة وادنا ، وتسوية في الرتبة - ولم تضر خدای عن عذاريهما - بأبي علي الفارسي ، وهو فارس بالعربية وحائز قصب السبق فيها منذ اربعين سنة ، وبأبي عبد الله بن خالويه وكان له السهم الفائق في علوم العربية تصرفا في انواعه ، وتوسعا في معرفة تواعده وواضعه ، وبأبي الطيب اللغوي وكان كما قيل حثف الكلمة الشroud حفظا وتيقظا . وتنازعت العلماء ومدحت في مصنفاتهم وهددت في الافراد الذين منهم ابو سعيد السيرافي ، وعلي بن عيسى الرماني ، وابو سعيد المعلى ، واتخذت بعضا ممن كان يقع الايما عليه سخرة ، وانا اذ ذاك غزير الغرارة ، تميد بي اسرار السرور ، ويسرى علي رخاء الاقبال واختال في ملاءمة العزفي بلهنية من العيش وخفض من النعيم ، وخطوب الدهر راقدة وايامه مساعدة " .

تلك هي الحالة التي كانت عليها الكتابة في بلاط سيف الدولة الحمداني ، وقد اکتف هذه الحالة من الغموض واللبس الشيء الكثير ، وحاولت جهدي ان ابين فيها قدمت صورة واضحة لحالة النثر العربي في بلاط الامير الحمداني ، وارجوان اكون قد حظيت في هذا الامر ببعض التوفيق ان لم يكن كل التوفيق .

(١) محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي ، من الشخصيات القوية ، التي لا يعرفها الا القليل من الناس . الفعدادا من الكتب في اللغة والادب منها حلية المحاضرة في صناعة الشعر والموضحة في مساوي المتنبى ، والهلابة في صناعة الشعر ، وسر الصناعة في الشعر ، والحالي والعاطل في الشعر ، وكتاب المجاز في الشعر . (مبارك - النثر الفني في القرن الرابع الهجري ج ٢ ص ١٥٩) .

(٢) مبارك - النثر الفني ج ٢ ص ١١٣ - ١١٤ .

أثر البلاط في النشر

٣ - اللغة واللغويين

ذكرت في حديثي عن البيئة الأدبية في بلاط سيف الدولة الحمداني أن الشعراء والمنتبهي خاصة كانوا يتحسبون للنقاد مأخذهم على ما يقولون ، فاضطر الشعراء إلى مراجعة قصائدهم حتى يأمنوا مهاجمة النقاد لهم . أما النقاد الذين عنيتهم فلم يكونوا غير اللغويين ، وليس جميعهم بل بعضهم . ترى من من اللغويين كان يقيم في بلاط سيف الدولة ، والجواب على هذا التساؤل ينحصر في ذكر أسما أربعة أقاموا في البلاط مددا متفاوتة . واجتمعوا في فترة واحدة تقريبا ثم فرقهم الدهر بعد ذلك ، وكان هؤلاء الأربعة ابن خالويه ، أبا علي الفارسي ، أبا الفتح بن جني ، وأبا الطيب اللغوي الحلبي ، وما دام اللغويون ينفقون الشعراء وينقسمون فيما بينهم إلى مؤيد ومعارض ، فلا بد من أن تنشط المناقشة والمناقشة فيما بينهم .

١ - ابن خالويه :

هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمداني الأصل ، دخل بغداد ثم فادرها إلى دمشق ثم استوطن حلب . وكان الحمدانيون يكرمونه ويدرسون عليه ويقتبسون منه . (١) واختص بسيف الدولة وأولاده ، وفي حلب انتشر علمه وانتشرت روايته ، وكان له مع العتبي مناظرات . (٢) سأورد بعضها في الفصل القادم من هذه الرسالة .

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٣٣

(٢) السيوطي : جلال الدين ، بغية الدعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، القاهرة

سنة ١٣٢٦ ص ٢٣١

ورد في الاخبار ان ابن خالويه دخل على سيف الدولة ولما مثل بين يديه قال له : اقعد ولم يقل اجلس، فتبينت بذلك اعتلاقه باهداب الادب واطلاعه على اسرار كلام العرب^(١) .

ويذكر السيوطي في بغية الدعاة ان سيف الدولة سأل جماعة من العلماء كانت بحضورته ذات ليلة : هل تعرفون اسما ممدودا وجمعه مقصور ؟ فقالوا : لا ! فقال لابن خالويه : ما تقول انت ؟ فقال ابن خالويه : انا اعرف اسمين ، قال : ما هما ؟ قال ابن خالويه : لا اقول لك الا بالف درهم لثلاث تؤخذ بلا شكر، وهما صحراء وصحارى ، وخذراء وخذارى . ولما كان بعد شهر اصاب ابن خالويه حرفين آخرين ، ذكرهما الجرمي في كتاب "التنبيه" وهما صلفاء وصلاني وهي الارض الغليظة وخبراء وخبارى ، وهي الارض فيها ندوة ، ثم بعد عشرين سنة وجد حرفا خامسا ذكره ابن دريد في "الجمهره" هو سبتاء وسباتى وهي الارض الخشنة^(٢) .

ويذكر ياقوت في معجم الادباء ان رجلا قال لابن خالويه : اريد ان اتعلم من العربية ما اقيم به لساني . فقال له ابن خالويه : انا منذ خمسين اتعلم النحو ، ما تعلمت ما اقيم به لساني^(٣) . ولئن كان ما رواه ياقوت صحيحا فانني استغرب ان يكون ابن خالويه قد قدر على مناقشة اللغويين في البلاط ان كان لم يقوم لسانه بعد .

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٤٣٣

(٢) السيوطي : بغية الدعاة ص ٢٧٢

(٣) معجم الادباء او ارشاد الاديب القاهرة طبعة الرفاعي لا تاريخ ج ٩ ص ٢٠٢ .

وكان لابن خالويه بعض المناظرات مع لغويي البلاط ، وكانت اشد هذه المناظرات ما عقد بينه وبين ابي علي الفارسي . ذكر الانباري ان ابن خالويه سأل ابا علي : كم للسيف اسما ؟ قال : اسم واحد . فقال له ابن خالويه : بل اسما كثيرة ! واخذ يعددها نحو الحسام والمخدم والقضيب والمقتضب فقال له ابو علي : هذه كلها صفات (١) .

ويذكر الدلجي في كتابه " الفلاحة والمفلكون " ان كلاماً جرى بين ابي علي الفارسي وابن خالويه ، فقال ابن خالويه : نتكلم في كتاب سيبويه ، فقال له الفارسي لا بل نتكلم في الفصح . ولابي علي الفارسي في تغليط ابن خالويه كتاب " الهادور قلت " (٢) ولم يكن سيف الدولة يقف محايداً في المناظرات بل كان ضالعا مع ابن خالويه ينصره على منافسيه (٣) .

ولابن خالويه من الكتب : الاشتقاق ، الجمل في النحو ، اطرفش القراءات المبتدى ، اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، المقصور والممدود ، المذكر والمؤنث ، الالفات ، ليس في كلام العرب (٤) . كما شرح ديوان ابي فراس الحمداني ونشر هذه النسخة الدكتور سامي الدهان في طبقة علمية (٥) .

(١) الانباري : ابوالبركات عبد الرحمن بن محمد . نزهة الالباء في طبقات الادباء مصر

سنة ١٢٩٤ ص ٣٨٥

(٢) الدلجي : احمد بن علي : الفلاحة والمفلكون القاهرة سنة ١٣٢٢ ص ١٠٢

(٣) القفطي : جمال الدين ابوالحسن علي بن يوسف : انباء الرواة على انباء النحاة ،

تحقيق محمد ابوالفضل لبراهيم القاهرة سنة ١٩٥٠ ج ١ ص ٣٢٧

(٤) ابن النديم : ابوالفرج محمد بن اسحق : الفهرست القاهرة سنة ١٣٤٨ ص ١٢٤

(٥) ابوفرأس الحمداني : الديوان بيروت سنة ١٩٤٥ .

١٨٩
ولا بن خالويه من الشعر قوله : (١)

اذا لم يكن صدر المجالس سيد فلا خير فيمن صدرته المجالس
وكم قائل مالي رأيتك راجلا فقلت له من اجل انك فارس

وتوفي ابن خالويه سنة ٣٧٠ هـ (٢)

(١) ياقوت: معجم الادباء ج ٩ ص ٢٠٥
(٢) ابن النديم : الفهرست ص ١٢٤

هو الحسن بن احمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن ابا الفارسي النحوي (١) . وكان الملمم الاول لكثير من تأليف ابن جنبي (٣) ، وقد على بلاط سيف الدولة في حلب سنة ٣٤١ هـ (٢) . وكان الامير حينئذ في اوج عظمته اولاً ، ويغدق العطاء ثانياً كما كان سيف الدولة ^{شيعياً} وابو علي شيعي ثالثاً (٤) ولكن تقوم المنافسة بين ابي علي وابن خالويه كما ذكرت في الحديث عن ابن خالويه ، ويرى ابو علي ان سيف الدولة يؤثر ابن خالويه على غيره من علماء اللغة ، فيفضل مضارعة البلاط لتحامل ابن خالويه واقترائه عليه ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، وقلة تحفظه فيما يرمي به ابا علي . وهذا هو ما يذكره ابو علي في " المسائل الحلبيات " ويظهر ان الصلة بين سيف الدولة وابي علي ، بعد مغادرته حلب ، اصبحت قاصرة على الكتابة والمراسلة . (٥)

كتب ابو علي الى سيف الدولة في مقدمة " المسائل الحلبيات " يقول :
 "قرأ - اطال الله بقاء سيدنا الامير سيف الدولة - عبد سيدنا الرقعة النافذة من حضرة سيدنا ، فوجد كثيراً منها شيئاً لم تجر عادة عبده به ، لا سيما مع مثل صاحب الرقعة"

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٦١

(٢) ابن جنبي ابوالفتح عثمان : سر صناعة الاعراب تحقيق مصطفى السقاد وآخرين القاهرة سنة ١٩٥٤ ص ٧ من المقدمة .

(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٦٢

(٤) شلبي ، عبد الفتاح اسماعيل : ابو علي الفارسي القاهرة سنة ١٩٥٨ ص ٥٩ - ٦٠

(٥) شلبي : عبد الفتاح اسماعيل : ابو علي الفارسي القاهرة ص ٦١

ويرد في آخر الكتاب على ابن خالوية بقوله : وليس في الرقعة التي وصلت الى عبد سيدنا شيء حكيم ان يتكلم عليه ، وآخرها حرف لم يبعد فيه وهو قوله : وليس يعرف احد ما يقول فكيف ينقصه ؟

ومما يصدق هذا ان رقعة من ثلاث رقاع وردت حضرة سيدنا الامير سيف الدولة اطال الله بقاءه - - - فمما ذكره فيها قول الشاعر :

قالت الا ليت ما هذام الحمام لنا •

وتعاطى تفسير الرفع والنصب في الحمام فقال : * ومن رفع الحمام جعله خبر

ليت ، وهذا - اطال الله بقاء سيدنا الامير - من العويص الذي يفهمه احد ، ولا يعرفه ولا ينقصه ولا يبرمه وقد نفذ جواب عبد سيدنا في ذلك حل الوجه الذي يعرف • (١)

والجزء الباقي من مخطوطة الحلبيات يحوى ست عشرة مسألة اصلية ، تضمنت مسائل

فرعية وبذلك اصبح مجموع المسائل ما يقرب من الستين • ولا ترابط بربط بين هذه

المسائل ، فهناك ما يتميز بطابعه اللغوى بجانب ما طابعه صرفي ، ويبدو الترابط

في بعضها كالباب الخاص بابنية الافعال فقد تحدث عن الابواب الاتية متتابعة ، وهي :

ا - باب ابنية الافعال الثلاثية الصحيحة التي لا زيادة فيها •

ب - تسكين عين فعل (العين ^{هـ}مكلمة الحركة) تخفيف وكون عينه اذا كانت حرف حلق كان

فيه اربع لغات •

ج - باب ابنية الافعال الثلاثية المعتلة التي لا زيادة فيها •

د - باب ما كانت اليا في اوله نحو (يمن وييمن ويسر وييسر ، وينع ويينع)

(١) شلي : عبد الفتاح اسماعيل : ابو علي الفارسي القاهرة ص ١١٤

هـ - باب ما كانت الياء الواو في ثانيه •

و - باب ما كانت الواو والياء في ثلثه : غزا ورمى •

ز - باب التضعيف •

وبعض المسائل معقود لسيف الدولة اما صراحة واما دلت عليه اشارات • وابو علي في هذه المسائل يحكي عن عدد من سابقه منهم محمد بن السرى ، والتوزى ويعقوب وابو زيد والخليل وسيبويه ويونس وابو عثمان وابن حبيب ، وهو كذلك يحتج بشعر عدد الشعراء منهم الاعشى وابن هرقة ، وحميد ابن ثور • والحجاج وحسان ابن ثابت واوس وطرفة وعلي بن الغدير الغنوى ، وقيس بن الخطيم • وابد ابن عقيل

والكمبت ، وجريير والفرزدق وذو الرمة • (١)

وفي الرسالة عناصر ثلاثة متميزة : (٢)

(١) بيان مكانة ابي علي من علماء عصره •

(٢) دفاع الفارسي عن نفسه برد ما نسب اليه ابن خالويه •

(٣) خلاص الفارسي بعد الدفاع الى المهجوم علي ابن خالويه بتفنيد آرائه وبيان وجه الخطأ فيها •

روى ابن جنبي عن ابي علي قوله : " اخطي في خمسين مسألة في اللغة ولا

اخطي في واحدة في القياس • (٣) ولا يبي علي تصانيف لم يسبق الي مثلها منها :

كتاب الايضاح في النحو ، وكتاب الحججة في القلاآت السبع ، وكتاب المقصور والممدود (٤)

(١) شلبي : ابو علي الفارسي ص ٤٩٩ - ٥٠١

(٢) شلبي : ابو علي الفارسي ص ٥٠٧ - ٥٠٨

(٣) الانبارى : نزهة الالباء ص ٣٨٩

(٤) الانبارى : نزهة الالباء ص ٣٨٧ - ٣٨٨

وأورد القفطي الرواية التالية : " قال ابوالقاسم بن أحمد الأندلسي :
جری ذكر الشعر ، فقال ابو علي وأنا حاضر ، اني لأعيطكم على قول الشعر ،
فان خاطري لا يوافقني على قوله ، مع تحفتي بالعلوم التي هي من مواده ، فقال
له رجل : فما قلت شيئا منه قط البتة ، قال : ما أعلم أن لي شعرا الا ثلاثة
ابيات في الشيب وهي قولتي :

خضبت الشيب لما كان عيبي وخضب الشيب أولي أن يعابا
ولم أخضب مخافة هجر خل ولا عيبا خدشيت ولا عقابا
ولكن العنيب بدا زميما فصبرت الخضب له عقابا (٢)

ولعل ابن جنّي كان أشهر علماء اللغة الذين أخذوا عن أبي علي
الذي توفاه الله سنة ٣٧٧ . ويورد له ابن العماد الحنبلي من الكتب زيادة
على ما أورده الأثيري : كتاب التذكرة ، وكتاب الاغفال فيما أغفله الزجاج من
المعاني ، وكتاب العوامل العائة ، وكتاب مسائل الحلبيات ، وكتاب المسائل
البغداديات ، وكتاب المسائل الشيرازيات ، وكتاب البيصيرية ، وكتاب المسائل
المجسيات . (٣)

(١) الأثيري : نزهة الألباء ص ٣٨٢ - ٣٨٨

(٢) القفطي : انباء الرواة ج ١ ، ص ٢٧٥

(٣) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج ٣ ، ص ٨٨ - ٨٩ -

ابن جني :

هو ابو الفتح عثمان بن جني العالم اللغوي ، الذي ليس لأحد من
 أئمة الأئمة في فتح المقفلات وشرح المشكلات ما له ، ولا سيما في علم الاعراب ، حتى
 قيل فيه انه وقع عليها من ثمرة الغراب ، ومن تأمل مصنفاته وقف على بعض صفاته . (١)
 ويقول الأثبات عنه : " ولم يكن في شيء من علومه اكمل منه في التصريف ، فانه لم يصرف
 أحد في التصريف ولا تكلم فيه أحسن ولا أدق كلاما منه ، كان أبوه جني مملوكا روميا
 وهو في ذلك يقول (٢)

فان أصبح بلا نسب	فعلمي في الوري نسبي
على اني أوول السى	قرور سادة نجيب
اولاك دعا النبي لهم	كفى شرفا دعا نبيي

أخذ ابن جني عن عدد من العلماء هم : أبو علي الفارسي ، أبو صالح
 السليل بن أحمد بن عيسى بن الشيخ ، أبو اسحق إبراهيم بن أحمد القرميني ،
 أبو الحسين علي بن عمر بن عمرو ، بغداد بن عبد الحميد الكرخي ابن دريد أبو بكر
 محمد بن الحسن ، أبو بكر جعفر بن الثاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، أبو بكر محمد بن
 يعقوب بن مقسم ، أبو بكر محمد بن هارون الروماني ، محمد بن سلمة . كما أخذ
 عن جماعة من الأعراب الفصحاء الذين كانوا يردون الحواضر ، ومنهم ، السليل بن
 أحمد السابق ذكره ، ومحمد بن العساف الشجری الجوتي التميمي . (٣)

ابن جني

وتقلد ابو الفتح بعض مهام الدولة فكتب لسيف الدولة الحمداني
وعنده اجتمع باستاذه ابي علي الفارسي ، وكتب لعضد الدولة الديلمي ، والتقى
بأبي الطيب عندهما فأعجب به . (٤)

يروى البعض ان ابا الفتح كان يحضر **بجانب** عند المتنبّي كثيراً ،
وينظره في شيء من الفخر من غير ان يقرأ عليه شيئاً من شعره انفة واكباراً لنفسه ،
وكان المتنبّي يقدره ويحترمه وقال فيه : (٤) " هذا رجل لا يعرف قدره كثير
من الناس . ولكن الحقيقة ان ابا الفتح قرأ ديوان المتنبّي عليه وشرحه وسماه
" الفسر " وورد في شرحه قوله : سأل شخص أبا الطيب عن قوله :

" باد هواك صبرت أم لم تصبرا "

فقال كيف أثبت الألف في تصبرا مع وجود لم الجازمة وكان من حقه
ان تقول : " لم تصبر " فقال المتنبّي : لو كان ابو الفتح هنا لأجابك ، وهذه
الألف هي بدل فون التوكيد الخفيفة ، ونون التوكيد الخفيفة اذا وقف الألسان
عليها ابدلت الفا (!)

-
- (١) الباخريزي ، ابو الحسن علي بن الحسن ، دمية الفسر وعصرة أهل العصر ، حلب
سنة ١٣٤٨ ص ٢١٧ .
- (٢) الانباري - نزهة الألباء ص ٤٠٦ - ٤٠٧
- (٣) طلس ، محمد اسعد ، ابو الفتح باجني . مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق تموز
سنة ١٩٥٥ ص ٤٤٧ - ٤٤٨ .
- (٤) طلس ، محمد اسعد ، ابو الفتح بن جني ص ٤٥٢
- (٥) ياقوت : معجم الادباء ج ١٢ ص ٨٩
-
- (٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤١٢ .

دليل آخر يثبت قراءة ابن جني لديوان المتنبي هو قوله : كنت

قرأت ديوان أبي الطيب عليه فقرأت عليه قوله في كانوا القصيدة :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

حتى بلغت إلى قوله :

ألا ليت شعري هل أقول قصيدة ولا اشتكي فيها ولا أتعتب

ولي ما يزود الشعر عني أقله ولكن قلبي يا ابنة الأرقام قلب

فقلت له : يعز علي كيف يكون هذا الشعر في مدوح غير سيف الدولة ؟

فقال : حذرناه وأنذرناه فما نفع ! ألسنا القائل فيه :

أخا الجود اعط الناس ما أنت مالك ولا تعطين الناس ما أنا قائل

فهو الذي اعطاني كانوا بسوء تدبيره وقلة تمييزه . (٢)

ولما توفي المتنبي رثاه ابن جني بقوله : (٣)

غاض القريض وأودت نضرة الأذب وصدحت بعد ربي دوحه الكتب

(١) ابن جني : سر صناعة الاعراب ص ٣٧ من المقدمة .

(٢) الباخري : دمية القصر ص ٢٩٧ - ٢٩٨

ومن تلامذته محمد بن عبد الله بن شاهويه ، وعلي بن زيد القاشاني ،
 والأبوزر الشاعر عبد الله بن محمد بن سعيد بن سلمان الخفاجي ، وعبد السلام
 بن الحسن بن محمد البصري ، وعلي بن عبيد الله بن عبد الغفار السعني ،
 وأبو عبيد الله الحسن بن أحمد بن نصر ، وثابت بن محمد الجرجاني الأندلسي . (١)

ذكر ابن النديم في كتابه " الفهرست " اسما كتب ابن جني . فصفها
 على النحو التالي : التعاقب في العربية ، المعرب ، التلغين ، اللمع ، الفسر لشرح
 ديوان أبي الطيب ، الفصل بين الكلام الخاص والعام ، العروض والقوافي ، جمل
 اصول التصريف ، الوقف والابتداء ، الألفاظ من المهموز ، المذكر والمؤنث ، تفسير
 المرثي ، القصيدة الرائية للشريف الرضي ، معاني أبيات المتنبي ، الفرق بين
 الكلام الخاص والعام . ويعين كتاب الفهرست تاريخ وفاة أبي الفتح سنة ٣٩٢ هـ (٢)
 وإذا ما علمنا أن ابن النديم عوفي سنة ٣٨٦ فاما أن يكون تعيين سنة وفاة ابن جني
 مدموسا أو أن ترجمة ابن جني بأجمعها مدموسة .

وذكر ياقوت في معجم الأدباء " اجازة أبي الفتح لكتبه : " بسم الله
 الرحمن الرحيم : قد أجزت للشيخ أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن نصر - أدام
 الله عزه - أن يروى عني مصنفاتي وكتبي مما صححه وطبطه عليه أبو أحمد عبد
 السلام بن الحسين البصري - أيد الله عزه - عنده منها . . . " (٣)

(١) طلس : المصدر السابق - ص ٤٥٦ - ٤٥٢

(٢) ابن النديم : الفهرست - ص ١٢٨

(٣) ياقوت : معجم الأدباء - ج ١٢ ، ص ١٠٦ - ١١١ .

ويعدد بعد ذلك الكتب وأوراقها ويزيد ياقوت في الصفحات التالية اسما
كتب لابن جني لم يرد ذكرها في الاجازة . (١)

ابوالطيب اللغوي :

عبدالواحد بن علي ابوالطيب اللغوي الحلبي ، ولد في عسكر مكرم
من نواحي خوزستان ، قدم الى حلب وأقام فيها الى ان قتل وقت دخول الدمشق
واحتلاله لها سنة ٣٥١ ، وهو احد العلماء المبرزين المتقنين لعلمي اللغة
والعربية . (٢) روى الصقلي ، قال : كنت في مجلس ابن خالويه از وردت
عليه من سيف الدولة مسائل تتعلق باللغة فاضطرب لها ودخل خزائنه ، وأخرج
لها كتب اللغة وفرقها على من كان عنده من اصحابه يفتشونها ليجيب عنها .
وتركته وذهبت الى ابي الطيب اللغوي وهو جالس وقد وردت عليه تلك المسائل
بعينها وبيده قلم الحمره فأجاب به ولم يغيره قدرة منه على الجواب . وله من
الكتب : شجر الدر ، الابدال ، مراتب النحويين وكتاب في الفرق ولطيف
الاتباع . (٣) درس ابوالطيب على ابن عمر الزاهد المطرز الوراق فلام ثعلب
وأخذ عن محمد بن يحيى الصولي . (٤)

(١) ياقوت : معجم الأدباء - ج ١٢ ص ١١١ - ١١٢

(٢) الطباخ : اعلام النبلاء ج ٤ ، ص ٣٥

(٣) الطباخ : اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٥ - ٣٦

(٤) التنوخي ، عز الدين : ابوالطيب اللغوي ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق

نيسان سنة ١٩٥٤ ص ٢٨٠ .

وكان ابن خالويه يلقبه قرموطة الكبرتل ، يريد دمر دجة الجمل
 لأنه كان قصيرا . (١) اما كتابه شجر الدر فيدل على تعمقه في اللغة ،
 وتضلعه من مفرداتها ، والأصل فيه مداخلة الكلام بالمعاني المختلفة ، سماه
 شجر الدر لأنه ترجم كل باب منه بشجرة ، وجعل للشجرة فروعاً . وكل شجرة مئة كلمة
 أصلها كلمة واحدة ، تتضمن من الشواهد عشر أبيات من الشعر ، وكل فرع عشر
 كلمات فيها من الشعر بيتان . الا شجرة ختم بها الكتاب لا فرع لها ولا شاهد
 فيها عدد كلماتها خمسمائة كلمة ، أصلها كلمة واحدة وفي آخرها بيت واحد
 من الشعر ، وانعياسي الباب من ابواب الكتاب شجرة لاشتجار بعض كلماته ببعض
 أي تداخله ، مثال ذلك :

الصحن : قدح النبيذ ، والنبيذ : الشيء المنبوز ، والمنبوز :

اللقيط ، واللقيط : النوى ، والنوى : الشحط . . . (٢)

ولأبي الطيب كتاب مراتب النحويين تحدث فيه عن ظهور اللحن في

الكلام كما تحدث عن أبي الأسود الدؤلي ومن أخذ عنه واتبعه بعدد الله ابن أبي

اسحاق وأبي عمرو بن العلاء وهيس بن عمر الثقفي ويوسف بن حبيب الضبي

وشبيل بن عزة الصبغي . . . الخ (٣)

نظم قصيدة من ستة عشر بيتا فانيتها كلمة واحدة تلك هي كلمة " الخال " (٤)

(١) المعري ، أبو العلاء . رسالة الغفران ، تحقيق بنت الشاطئ ، القاهرة سنة ١٩٥٤

١٩٥٢ ص ٩٣

(٢) أبو الطيب اللغوي ، شجر الدر تحقيق محمد عبد الجواد القاهرة ١٩٥٢ - ص ٥٩ - ٦١

(٣) أبو الطيب اللغوي ، مراتب النحويين تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة ١٩٥٢ ص ٥ - ٢٣

(٤) أبو الطيب اللغوي ، مراتب النحويين ، ص ٢٥ - ٢٦ .

كانت مجالس سيف الدولة الحمداني ندوات ادبية يشترك فيها الادباء ويتناقشون ، ويتناولون الشعراء بالنقد ! قال ابن بابك (١) : حضر المتنبي مجلس ابي احمد بن نصر البازيار وزير سيف الدولة وهناك ابو عبد الله بن خالد بن النحوي وفتاريا في اشجع السلمي وابي نواس البصري فقال ابن خالدية : اشجع اشعر اذ قال في هارون الرشيد رحمه الله تعالى :

وعلى عدوك يا ابن عم محمد رصدان ضل الصبح والاضلام
فاذا تنبه رعته واذا غضا سلت عليه سيوفك الاحلام

فقال المتنبي لابي نواس ما هو احسن في نبي برمك وهو :

لم يظلم الدهر ان توالى فيهم مصيباته دراكا
كانوا يجارون من يعادى منه تعاداهم لذا كا

فما دام المتنبي قد شارك في هذه المجالس فمن الطبيعي ان يؤخذ شعره بالجرح والنقد ، بل ان الشعراء والادباء نقدوا اول بيت انشده في حضرة سيف الدولة ويروى الرواة انه حين انشد المتنبي سيف الدولة :

وفاء كما كالربيع اشجاء طاسمه بان تسعدا والدمع اشفاء ساجمه

كان ابن خالويه حاضرا فقال للمتنبي : تقول اشجاء وهو شجاء ، فقال له المتنبي : اسكت ليس هذا من علمك ، انما هو اسم لافعل . . . يريد المتنبي انه اسم

تفضيل اي اشدء شجوا لا كما ظن ابن خالويه انه فعل . (١)

فما دام الحال قد بدأ مع صاحبنا ابي الطيب هكذا فلا بد من انه كان كذلك مع غيره من الشعراء * وكان هؤلاء جميعا يتسقطون اخبار غيرهم ، وللنجاة من هذه النقذات كان لا بد من اعمال القريحة قبل الارشاد . ولعل مرد ذلك يعود في رأيي - الى ما يلي :

لا سبيل الى انكار ما كان عليه ذوق سيف الدولة الادبي ، فللرجل ذوق خاص به يصيب في بعض نقذاته * ويخطئ في البعض الآخر .
روى ان المتنبي حين انشد سيف الدولة :

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهونائم
تمر بك الابطال كلمس هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

قال الواحدى : سمعت الشيخ ابا ماهر الفضل بن اسماعيل القاضي يقول :

سمعت القاضي ابا الحسين علي بن عبد العزيز يقول لما انشد المتنبي سيف
الدولة هذين البيتين انكر عليه سيف الدولة تطبيق عجزيهما على صدريهما
وقال له : كان ينبغي ان تقول :

وقفت وما في الموت شك لواقف ووجهك وضاح وثغرك باسم
تمر بك الابطال كلمس هزيمة كأنك في جفن الردى وهونائم

ثم قال : وانت في هذا مثل امرئ القيس في قوله :

كأنى لم اركب جواداً للذة ولم اتبطن كاعباً ذات خلخال
ولم اسبأ الزق الروى ولم اقل لخيلى كرى كرة بعد اجفال

قال : ووجه الكلام في البيتين على ما قاله العلماء بالشعر ان يكون
عجز الأول مع الثاني وعجز الثاني مع الأول ليستقيم الكلام ، فيكون ركوب الخيل
مع الأمر للخيل بالكر ويكون سبأ الزرق مع تبطن الكاعب :

كأني لم أركب جوادا ولم أقل لخيلى كرى كرة بعد اجفال
ولم أسبأ الزرق الروى للذة ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

فقال ابو الطيب : أدام الله عز مولانا سيف الدولة ، ان صح ان
الذى استدرك على امرئ القيس هذا اعلم منه بالشعر ، فقد اخطأ امرؤ القيس
وأخطأت انا ومولانا يعرف ان الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك لأن البزاز
يعرف جملة والحائك يعرف جملة وتفصيله لأنه اخرجته من الغزلية الى الثوبية ،
وانما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد وقرن السباحة في شرا
الخمير للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء . وانا لما ذكرت الموت في أول البيت
اتبعته بذكر السرى لتجانسه ، ولما كان وجه المهزوم لا يخلو من ان يكون عبوسا
وعينه من ان تكون باكية قلت " ووجهك وضاح وشغرك باسم " لأجمع بين الأضداد
في المعنى . فأعجب سيف الدولة بقوله ووصله بخمسين دينارا من دنانير الصلات
وفيهما خمسمائة دينار " . ويضيف الواحدى رأيه فيقول : " ولا تطبيق بسين
الصدر وللعجز أحسن من بيتي المتبني ، لأن قوله " كأنك في جفن الردى ~~وهو~~
وهو نائم " ، معنى قوله وقفت وما في الموت شك لواقف فلا معدلة لهذا العجز
عن هذا الصدر لأن النائم اذا أطبق جفنه أحاط بما تحته ، وكان الموت قد أظله

من كل مكان كما يحدث الجنين بما يتضمنه مع جميع جهاته ، وهذه هي حقيقة الموت .
وقوله : تمريك الأبطال هو النهاية في التطابق للمكان الذي تكلم فيه الأبطال فتكلم
وتعسس ، وقوله : ووجهك ضاح لاحتفارك الأمر العظيم . (١)

وجرى البحث في بعض المجالس في مسألة لغوية : قال عبد المحسن علي
ابن كوجك ان اياه حدثه قال : كنت بحضرة سيف الدولة وأبو الطيب اللغوي وابو عبد الله
ابن خالويه اللغوي النحوي وقد جرت مسألة في اللغة تكلم فيها ابن خالويه مع أبي الطيب
اللغوي والمتنبي ساكت فقال له سيف الدولة الا تتكلم يا أبا الطيب فتكلم بما قوى كحجة أبي الطيب
اللغوي وضعف قول ابن خالويه ، فأخرج هذا من كه مفتاحا حديدا ليلطم به المتنبي فقال
له المتنبي : اسكت ويحك فانك اعجمي وأصلك خوزي فمالك وللعربية ، فضرب وجه المتنبي
بذلك المفتاح فأسال دمه على وجهه وثيابه فغضب المتنبي لذلك . ان لم ينتصر له سيف
الدولة لا قولاً ولا فعلاً . (٢)

ويروى عن أبي فراس انه قال لسيف الدولة : ان هذا المشدق كثير الادلال
عليك ولا تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار على ثلاث فصائد ، ويمكن ان تفرق مائتي دينار
على عشرين شاعرا يأتون بما هو خير من شعره . فتأثر سيف الدولة من هذا الكلام وعمل فيه ،
وكان المتنبي غائبا وبلغته القصة فدخل على سيف الدولة وأشده : (٣)

(١) المتنبي : الديوان - شرح البرقوقي ج ٤ ص ١٣١ - ١٣٢

" شرح الواحدى ص ٥٥

مندور ، محمد ، النقد المنهجي عند العرب ص ١٦٧ - ١٦٩

البديعي : الصبح ص ٤٣ - ٤٤

الشعالبي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٢١ - ٢٢

(٢) البديعي : الصبح ص ٤٥

(٣) البديعي : الصبح ص ٤٥

الا ما لسيف الدولة اليوم عاتبا فداء الوري أخص السيوف مضاربا
وما لي اذا ما اشتقت ابصرت دونه تغائف لا اشتاقها وسيا سبا
وقد كان يدني مجلسي من سمائه احادث فيها بدرها والكواكبا
حنانيك مسوء ولا ولبيك داعيا ^{وحسبي} موهورا وحسبك واهبا
أهذا جزاء الصدق ان كنت صادقا أهذا جزاء الكذبان كمت كاذبا
فان كان ذنبي كل ذنب فانه ^{هنا} الذنب كل الذنب من جاء تائبا

فأطرق سيف الدولة ولم ينظر اليه كعادته ، فخرج المتنبي من عنده
متغيرا وحضر ابو فراس وجماعة من الشعراء فبالغوا في الوقعة بحق المتنبي وانقطع
ابو الطيب بعد ذلك ونظم القصيدة التي اولها :

واحر قلباه ممن قلبه شميم ومن بجسمي وحالي عنده سقم
وانشدها وجعل يتظلم فيها من التفسير بحقه بقوله :

ما لي اكنم حبا قد برى جسدي وتدعي حب سيف الدولة الامم
ان كان يجمعنا حب لغرته فليت انا بقدر الكعب نفتسم
قد زرتة وسيوف الهند مغمدة وقد نظرت اليه والسيوف دم

فهم جماعة بقتله في حضرة سيف الدولة لشدة الالاف ادلاله لا واعراض
سيف الدولة عنه ، فلما وصل في انشاده الى قوله :

يا اعدل الناس الا في معاملتي فيك الخطام وانت الخضم والحكم

قال ابو فراس سلخت قول دعبل وأدعيتة وهو :

ولست ارجو انتصافا منك ما ذرفت عيني دموعا وانت الخضم والحكم

فقال المتنبى :

اعينها نظرات منك صادقة ان تحسب الضحم فيمن شحمه ورم

فعلم ابو فراس انه يعنيه فقال : من أنت يا دعي كنده حتى تأخذ

اعراض الأمير في مجلسه ، واستمر المتنبى في انشاده ولم يرد عليه الى ان قال :

سيعلم الجمع عن ضم مجلسنا بأني خير من تسعى به قدم

انا الذي نظرا الاعى الى اد بي واسمعت كلماتي من به صمم

فزاد ذلك ابو فراس غيظا وقال : سرقت هذا من قول عمرو بن عروة بن

العبد في قوله :

أوضحت من طرق الآداب ما اشتكلت دهرنا وظهرت اغرابا وابداعا

حتى فتحت باعجاز خصمت به للعمي والصم ابصارا واسماعا

ولما وصل الى قوله :

الخيلى والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

قال ابو فراس : وماذا أيقيت للأمير ان وصفت نفسك بالشجاعة والفصاحة

والرياسة والسماحة تمدح نفسك بما سرقت من كلام غيرك وتأخذ جوائز الأمير ،

انما سرقت هذا من قول هيثم بن الأسود والنجفي الكوفي المعروف بابن
عريان العثماني :

اعاذلني كم مهمة قد قطعته أليف وحوش ساكتا غير هائب
انا ابن الفلا والطمع والضرب والسرى وجره المذاكي والثقات والقواضب
حلیم وقورني البلاد وهيبني لها في قلوب الناس يطش الكتاب

فقال المتنبي :

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره اذا استوت عنده الأنوار والظلم

قال ابو فراس : وهذا سرقة من قول معقل العجيلي :

اذا لم أميز بين نور وظلمة بعيني فالعينان زور وباطل

ومثله قول محمد بن احمد بن أبي مرة المكي :

اذا المرء لم يدرك بعينه ما يرى فما الفرق بين العمي والبصير

وغضب سيف الدولة من كثرة منافقته في هذه الفصيحة وكثرة دعاويه

فيها فضربه بالدواة التي بين يديه ، فقال المتنبي في الحال :

ان كان سرکم ما قال حاسدنا فما لجرح اذا أراضك ألم

فقال ابو فراس : أخذت هذا من قول يشار :

اذا رضيت بأن نجفی وسرکم قول الوشاة فلا شكوى ولا ضجر

ومثله قول ابن الرومي :

إذا ما الفجائع اكسبني رضاك فما الدهر بالفاجع

* فلم يلتفت سيف الدولة الى ما قاله ابو فراس وأعجبه بيت المتنبي

فرضي عنه في الحال وأدناه اليه وقبل رأسه وأجازه بألف دينار ثم اردفه بألف

أخرى فقال المتنبي :

جاءت دنائير مخنومة عاجلة الفا على ألف

أشبهها نعلك في فيلق قلبته صفا على صف

وفي آخر القصيدة يقول :

شر البلاد مكان لا صديق له وشر ما يكسب الانسان ما يصرم

وشر ما قنصته راحتي قنص شهب الجزاة سوا فيه والرحم * (١)

ويعتقد الدكتور مندور أن هذه القصة موضوعة لما فيها من ترتيب لمناسبة

الآبيات والتمهيد بها لتلك الأحداث التي لا تكاد تصدقها كرمي سيف الدولة المتنبي

بالدواة التي كانت بين يديه ، فهذه واقعة لا نعلم كيف توفق بينها وبين ما يروونه عن

أن المتنبي قد أخذته العزة عندما انتصر على ابن خالوية في المناقشة اللغوية التي

أوردتها .

فاذا صح ان المتنبى قد غضب لان الامير لم ينتصف له من ابن خالويه فكيف به لو صدق ما ورد في هذه الحكاية من ضرب الامير نفسه له بالداواة ، وهل يعقل ان يستمر بعد ذلك في الانشاد . ثم ان اتهام ابي فراس له بأنه دعي كنده امر مشكوك به ، وذلك لان المتنبى لم يدع قط ولا ادعى له أحد من معاصريه بأنه من كنده ، وانما هذه نسبة قال بها بعض المتأخرين ، ان خلطوا بين قبيلة كنده ، ومحلة كنده احد احياء الكوفة والتي ولد المتنبى فيها (١)

واذا كانت هذه الحكاية موضوعة ، فانها تحتفظ بدلالاتها العامة وتعزز كل ما ذكرت سابقا من مظاهر لنشاط النقد في بلاط سيف الدولة ونقد شعر المتنبى بوجه خاص .

ويذكر الدكتور عبد الوهاب عزام في كتابه " ذكرى ابي الطيب بعد الف عام " . . . انه لما انتهى المتنبى من انشاد قصيدته هذه اضطرب المجلس وقال ابو الفرج السامري احد كبار كتاب الامير : " دعني اسمع في دمه " (٢) فرخص له بذلك ، وفي ذلك يقول المتنبى (٣) :

أسامرى ضحكة كل را	فطنت وكنت اغبي الاعبياء
صغرت عن المديح فقلت اهجي	كانك ما صغرت عن الهجا
وما فكرت قبلك في محال	ولا جررت سيفي في هبا

(١) مندور ، النقد المنهجي عند العرب ص ١٦٦ - ١٦٧
 (٢) عولم : ذكرى كذا ولعلها " دمه "
 (٣) عزام : ذكرى ابي الطيب بعد الف عام القاهرة سنة ١٩٥٦ ص ٩٩ .

وكاد ابو الطيب يهلك في هذه القصة .

والواضح من هذا الامر الذي بينت ، ان النقد انصبَّ اكثر ما انصبَّ
على شعر ابي الطيب ، فكان شعره مشارا للنقد الادبي في بلاط سيف الدولة ، وبقيت
هذه الموجات النقدية الى ما بعد وفاته ، فنقد المتنبي نقاد كثيرون ، قدامى
ومحدثون ، واختلف هؤلاء في نقدهم بين نصير وخصم ، وقلة هي التي وقفت موقف
الحكم بين الجانبين ، فكثرت المصادر التي بحثت في ابي الطيب وشعره حتى عدت
قول الفائل : " وجاء المتنبي فعلا الدنيا وشغل الناس " .

خاتمة

=====

والآن ، بعد ان فرغت من هذا البحث الذى صحبته عاما وبعض العام ، لا أزم اني وفيته حقه وأتيت به على الصورة التي أتمناها ، وكيف أزم هذا وهناك صعوبات وعقبات وفتت بي عن ادراك ما أرجو ، وأول هذه الصعوبات تشعب اطراف الموضوع وامتدادها حتى لو يمكن القول ان كل فصل منها حقيق بدراسة وافية ، وأنى لي ان ألم اطراف هذا الموضوع في دراسة واحدة ، وثانيها صعوبة الوصول الى المصادر ، فهناك كثير من المخطوطات عز علي منالها ، وهناك المصادر الأجنبية كالفرنسية مثلا - التي اجهد لغتها - ربما كانت ذا فائدة اكبر لو استطعت قراءتها بنفسى بدل الاعتماد - كما فعلت - على ترجمات قام بها بعض اصدقائي وزملائي ، وثالثها صعوبة تختص بالموضوع ذاته ، وهي ان المصادر لا تروى غل الباحث في مسائل كثيرة ، فمثلا ترى ان الخوارزمي قضى مدة طويلة في بلاط سيف الدولة ، ومع ذلك لا نجد في المصادر رسالة واحدة له موجهة الى سيف الدولة او يدور موضوعها حوله . وقد حاولت جهدى ان استبين هذه العلاقات المختلفة ، ملتزما حدود المسئوليات البحث العلمي ، غير مستطرد الى نتائج لا تسندها حجة قوية او حقيقة ثابتة .

كان نشوء الدولة الحمدانية أمرا طبيعيا لما كان يعتور الخلافة العباسية من ضعف وتراخ اطمعا فيها اعداءها الكثر ، فقامت الدولة الحمدانية سدا منيعا في وجه الروم ، وكان على رأسها رجل قوى تركت حوله الحياة السياسية ،

والأدبية في القرن الرابع . ولم يخيب سيف الدولة أمل الأدباء ، فأغدق عليهم العطاء ما وسعت يده ، فجاءت إليه افواج الأدباء واللغويين ينهلون ويعلون من أنهار جوده ، فسار الشعر في فلكه لا يحيد عنه ، وأكثر الشعراء من مدحه والتغني بصفاته في الحرب والسلم ، فكانت شخصيته القوية الجامعة مادة خصبة لموضوعات شعرهم ، فجعله بعض مداحيه البطل الذي يمكن ان يجمع شمل الأمة تحت الراية الاسلامية ، وأسهب بعض شعرائه في وصف حروبه ، فكانت اوصافهم سجلا صادقا لما دار في هذه الحروب . واعتبروها حروبا دينية كانت نقطة الانطلاق للحروب الصليبية . وتأثر البعض بالبيئة الطبيعية المحيطة بالبلاط ، فوصف الطبيعة ومظاهرها ، من فصول وازهار ، ووصف الحياة الاجتماعية وما اشتملت عليه من شعر في الخمر ، ووصف للديارات والغلمان . ووجد بعضهم في البلاط الحمداني مكانا ينفسون فيه ما في نفوسهم من هوى شيعي ، وما كانوا يجروا على ذلك في غير هذا المكان ، وتشيع سيف الدولة وساعدهم على ذلك .

واكتفت
والعلاقة الكتاب بسيف الدولة بعض الغموض وما كان بالامكان تحديد هذه العلاقة وتبيانها ، وكذلك كان الحال بالنسبة للغويين . ولم يشذ عن هذا الامر الا ابن قتيبة الخطيب ، فقد تمكنت من تحديد صلته بسيف الدولة ، فكان خطيب سيف الدولة وخطيب الجهاد . وتأثر النثر بالشعر ، فانتهج هذا الشعر الغزير حركة من الفقد الأدبي تناولت في اكثرها شعر المتنبي ، فكانت هذه الحركة نقطة الانطلاق لنقد المتنبي فيما بعد .

ولعل الجديد الذي أتت به هذه الدراسة هو أنها حددت العلاقة القائمة بين سيف الدولة وشعرائه ، فأزالت الكثير من اللبس والغموض الذي انطبع في أذهان البعض عن علاقات الأمير بالأدباء ، ولعل هذا الانطباع يعود في الغالب إلى مبالغة المؤلفين القدماء الذين هم ذكروا نبذاً من أخبار سيف الدولة ، واتضح هذا الأمر جلياً في علاقة سيف الدولة بالكتاب والخوارزمي خاصة ، وباللغويين وابن خالويه وابن جني وأبي الطيب اللغوي بوجه خاص . فنحن لا نرى في آثار هؤلاء نصاً يمكن القول بأنه يقودنا إلى تحديد العلاقة بينهم وبين الأمير الحمداني .

هذه هي الأمور التي اجتهدت في أن أعطي صورة واضحة وصادقة لها ، ولعلي في هذا الاجتهاد أصيب مرص الحديث الشريف القائل " من الاجتهاد فأصاب فله اجران ، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد " . وأرجو أن أكون ممن قدر لهم الصواب في اجتهادهم . -

ثبت مصادر البحث

الدواوين الشعرية

- ١- ابو فراس الحمداني : الديوان ،
 أ - شرح ابن خالويه ، تحقيق الدكتور سامي الدهان ، بيروت
 سنة ١٩٤٥ .
 ب - رواية ابن خالويه ، طبعة دار بيروت ودار صادر بيروت
 سنة ١٩٥٩ .
- ٢- السرى الرفاء : الديوان ،
 القاهرة سنة ١٣٥٥ هـ .
- ٣- كساجم : الديوان ،
 بيروت سنة ١٣١٢ هـ .
- ٤- المتجني : الديوان ،
 أ - تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام
 ب - شرح الواحدي
 ج - شرح البرقوقي
 هـ - الأراء دمشقي : الديوان ،
 تحقيق الدكتور سامي الدهان ، دمشق سنة ١٩٥٥

المصادر التاريخية والأدبية

- ٦- ابن الأثير ، علي بن احمد :
- الكامل في التاريخ ، بولاق سنة ١٢٢٤ .
- ٧- ابن تغرى بردى ، جمال الدين ابوالمحسن :
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . القاهرة سنة ١٩٢٣ .
- ٨- ابن جني ، ابو الفتح عثمان :
- سر صناعة الاعراب ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين بالقاهرة سنة ١٩٤٥ .
- ٩- ابن حوقل :
- كتاب المسالك والممالك ، ليدن سنة ١٨٧٣ .
- ١٠- ابن خلكان ، شمس الدين :
- وفيات الاعيان وابناء ابنا الزمان ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد
القاهرة سنة ١٩٤٨ .
- ١١- ابن رشيقي ، ابو علي الحسن
- العمدة في صناعة الشعر ، القاهرة سنة ١٩٥٥ .
- ١٢- ابن الشحنة ، محمد
- الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، بيروت سنة ١٩٥٦ .
- ١٣- ابن الطقطقي :
- الفخرى في الآداب السلطانية ، القاهرة سنة ١٩٢٣ .

١٤- ابن العديم ، كمال الدين :

• ويدة الحلب من تاريخ طبه تحقيق الدكتور سامي الدهان ، دمشق سنة ١٩٥١

١٥- ابن العماد الحنبلي ، عبد الحي :

• شذرات الذهب في اخبار من ذهب القاهرة سنة ١٣٥٠ .

١٦- ابن كثير ، عماد الدين ابوالفداء اسماعيل بن عمر :

البداية والنهاية ، القاهرة لا تاريخ

١٧- ابن نباته ، عبد الرحيم بن محمد :

• ديوان الخطب ، بيروت سنة ١٣١١ .

١٨- ابن النديم ، ابوالفرج محمد بن اسحاق :

الفهرست ، القاهرة سنة ١٣٤٨

١٩- ابوالفداء ، الملك المؤيد اسماعيل :

المختصر في اخبار البشر ، مصر ، المطبعة الحسينية ، لا تاريخ

٢٠- امين ، احمد

• ظهر الاسلام ، القاهرة سنة ١٩٤٥ .

٢١- امين ، احمد

فيض الخاطر ، القاهرة سنة ١٩٤٩

- ٢٢- الامون ، السيد محسن
ابونراس الحمداني ، دمشق سنة ١٩٤٥
- ٢٣- الامون : السيد محسن
اعيان الشيعة ، دمشق سنة ١٩٤٤
- ٢٤- الانباري ، ابوالبركات عبد الرحمن بن محمد
نزهة الالباء في طبقات الادباء ، مصر سنة ١٣٢٢
- ٢٥- الانطاكي ، يحيى بن سعيد :
التاريخ : تبعاً لتاريخ سعيد بن البطريق
نشر كراتشكوفسكي وفازيليف ، باريس سنة ١٩٣٢
- ٢٦- الباخرزي ، ابوالحسن علي بن الحسن :
دمية القصر وعصرة اهل العصر ، حلب سنة ١٣٤٨
- ٢٧- البديعي ، يوسف :
الصبح المبني عن حيثية المتنبي ، دمشق سنة ١٣٥٠
- ٢٨- البصير ، محمد مهدي :
في الادب العباسي ، بغداد سنة ١٩٥٥
- ٢٩- البغدادي ، عبد القادر :
خزانة الادب وللب لباي لسان العرب ، بولاق سنة ١٢٩٩ .

٣٠- بينز ، نورمان :

الامبراطورية البيزنطية ، ترجمة حسين مؤنس ومحمود زايد ، القاهرة

سنة ١٩٥٠ .

٣١- التنوخي ، ابو علي المحسن بن علي :

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، باعتناء مرجوليت ، القاهرة سنة ١٩٢١

٣٢- الثعالبي ، ابو منصور :

تكملة اليتيمة ، تحقيق عباس اقبال ، طهران سنة ١٣٥٣

٣٣- الثعالبي ، ابو منصور :

نثر النظم ، دمشق سنة ١٣٠٠

٣٤- الثعالبي ، ابو منصور :

يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر ، تحقيق محي الدين عبد الحميد

القاهرة سنة ١٩٤٧ .

٣٥- جبرى ، شفيق :

المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس ، دمشق سنة ١٩٢٠

٣٦- حسن ، حسن ابراهيم :

تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، القاهرة سنة ١٩٥٥

٣٧- حسين ، طه :

مع المتنبي ، القاهرة سنة ١٩٢٦

٣٨- الحصرى :

زهرا الآداب ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة سنة ١٩

٣٩- الحموي ، ابن حجة :

ثمرات الاوراق ، مطبع علي هاشم المستطرف ، القاهرة سنة ١٣١١

٤٠- الخوارزمي : ابوبكر محمد بن العباس :

رسائل الخوارزمي ، بولاق سنة ١٢٢٩

٤١- الدبحي ، احمد بن علي :

الغلاظة والمغلوكون ، القاهرة سنة ١٣٢٢

٤٢- الدوري ، عبد العزيز :

دراسات في العصور العباسية المتأخرة - بغداد

٤٣- رستم ، اسد :

الروم - بيروت

٤٤- السيوطي ، جلال الدين :

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - القاهرة سنة ١٣٢٦

٤٥- الشابشتي ، ابو الحسن علي بن محمد :

الديارات ، تحقيق كوركيس عواد - بغداد سنة ١٩٥١

- ٤٦- شاكرو ، محمود محمد ،
المتنبي ، مجلة المقتطف - القاهرة يناير سنة ١٩٢٦
- ٤٧- الشكعة ، مصطفى ؛
فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين - القاهرة سنة ١٩٥٨
- ٤٨- شلبي ، عبد الفتاح اسماعيل ؛
ابو علي الفارسي - القاهرة سنة ١٩٥٨
- ٤٩- ضيف ، شوقي ؛
الفن ومذاهبه في الشعر العربي - بيروت سنة ١٩٥٦
- ٥٠- ضيف ، شوقي ؛
الفن ومذاهبه في الشعر العربي - القاهرة سنة ١٩٤٦
- ٥١- الطباخ ، راغب ؛
اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء - حلب سنة ١٩٢٢
- ٥٢- الطبرى ، محمد بن جرير ؛
تاريخ الرسل والملوك - القاهرة سنة ١٣٢٦
- ٥٣- عزام ، عبد الوهاب ؛
ذكري ابي الطيب بعد الف عام - القاهرة سنة ١٩٥٦

٥٤- الغزولي ،

مطالع البدور في منازل السرور - القاهرة سنة ١٢٩٩

٥٥- القفطي ، جلال الدين ابو الحسن علي بن يوسف :

انباء الرواه على انباء النحاء - تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم

القاهرة سنة ١٩٥٠

٥٦- القلقشندي ، ابو العباس احمد :

صبح الاغشى في كتابة الانشا - القاهرة سنة ١٩١٦

٥٧- الكتبي ، ابن شاعر :

فوات الوفيات - القاهرة سنة ١٩٥١

٥٨- كشاجم :

المصايد والمطارد - تحقيق الدكتور محمد اسعد طلح - بغداد سنة ١٩٥٤

٥٩- كتار ، ماريوس :

نخب تاريخية وأدبية جامعة لأخبار الأمير سيف الدولة الحمداني

الجزائر سنة ١٩٣٤

٦٠- اللغوي الحلبي ، ابو الطيب عبد الواحد بن علي :

شجر الدر ، تحقيق محمد عبد الجواد - القاهرة سنة ١٩٥٧

- ٦١- اللغوى الحلبي ، ابوالطيب عبد الواحد بن علي ؛
مراتب النحويين - تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم - القاهرة سنة ١٩٥٤
- ٦٢- مبارك ، زكي ؛
الغتر الفني في القرن الرابع الهجرى - القاهرة سنة ١٩٥٧
- ٦٣- مقر ، آدم ؛
الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى - ترجمة محمد عبد الهادى
ابوريد - القاهرة سنة ١٩٤٧
- ٦٤- المحاسني ، زكي ؛
شعر الحرب في ادب العرب - القاهرة سنة ١٩٤٧
- ٦٥- مسكويه ، علي بن احمد ؛
تجارب الأمم - مصر سنة ١٩١٥
- ٦٦- المعرى ، ابوالعلاء ؛
رسالة الخفران - تحقيق بنت الشاطئ - القاهرة سنة ١٩٥٠
- ٦٧- مندور ، محمد ؛
النقد المنهجي عند العرب - القاهرة - لا تاريخ
- ٦٨- نوفل ، سيد ؛
شعر الطبيعة في الأدب العربي - القاهرة سنة ١٩٤٥

٦٩- الفيوري ، شهاب الدين :

نهاية الأرب في فنون العرب - القاهرة سنة ١٩٢٣

٧٠- الهمداني ، ابوالحسن بن عبد الملك :

كتاب التكملة - نشره البرت يوسف كنعان - مجلة المشرق - بيروت

كانون ثاني - شباط سنة ١٩٥٨

٧١- ياقوت :

معجم الأديب - طبعة الرفاعي - القاهرة - لا تاريخ

٧٢- ياقوت :

معجم البلدان ، نشره وستنفيلد - ليزج - سنة ١٨٦٧

المقالات

٧٣- البستاني ، نؤاد انرام :

حلب عاصمة الأديب بالحمداني ، صحيفة البشير - بيروت ، كانون ثاني - تموز ١٩٣٨

٧٤- التنوخي ، عز الدين :

ابو الطيب الغوي ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق - نيسان سنة ١٩٥٤

٧٥- طلس ، محمد اسعد :

ابو الفتح بن جني - مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق - تموز سنة ١٩٥٥ .

المصادر الأجنبية

Blachere, R.

- ۷۶

Une Poete Arabe du 1V eme. Siecle de L'Hegira About-
tayyib al Mutanabbi,
Paris 1935

Institut Francaise du Damas

- ۷۷

Al-Mutanabbi; Recueil Public a L'Occasion de Son Mil-
lenaire,
Beyrouth 1936

Schlumberger, G.

- ۷۸

Une Empereur Byzantin du dixieme siecle, Nicephor Phocas
Paris 1890

فهرس الرسالة

ص	
ج	المقدمة
	القسم الأول : نظرة في التاريخ الحمدانيين
٢	١- الدور الأول - دور الفشأ - في الجزيرة العراقية
٧	٢- الدور الثاني - دولة الحمدانيين في ديار الشام
١٥	٣- سيف الدولة
	القسم الثاني : اثربلاط سيف الدولة في الأدب
١٩	مقدمة
	<u>اثربلاط في الشعر والشعراء</u>
٢٥	١- المديح
٥٣	٢- الرثاء
	٣- شعر الحرب
٦٥	(١) حروب سيف الدولة ضد القبائل العربية
٧٦	(٢) الروميات
١٢٨	٤- شعر الوصف
١٥٧	٥- الشعر الشعبي
	<u>اثربلاط في النثر</u>
١٦٨	١- الكتابة والكتاب
١٧٤	٢- الخطابة
١٨٤	٣- اللغة واللغويون
٢٠٠	٤- النقد الأدبي
٢١٨	خاتمة
٢١٣	ثبت مصادر البحث